(كلمات قيمة قيلت في تثمين علم النفس العسكري)

قال احد السيكولوجيين :

تستطيع كل أمة اقامة علم نفس حربي سليم يكون أشد فتكا من أضخم المدافع

وقال احد فحول الشعراء في هذا الصدد ايضا :

وعادة السيف أن يزهو بجوهره ... وليس يعمل الا في يدي بطل

وقال شاعر آخر في قصيدة يرثي بها احد قادة ثورة العشرين :

وكنا حوله هرماً كبارا ... نرى أيماننا أمضى سلاحا

وختاما قال من هو على كل شيء قدير :-

(إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم) .

حقاً قيلت هذه الكلمات القيمة ، لأن التسليح قد تطور الى الآلية الميكانيكية ، بحيث أصبح الجيش منظمة معقدة يتطلب العمل فيها قدرات على مستوى عالٍ من التخصص وأصبحت الوحدة المحاربة هي (الرجل والآلة) لا الآلة وحدها ولا الرجل وحده ، وذلك لأن الآلة لا تستطيع أن تؤدي وظيفتها بنجاح الا اذا أدى الرجال الذين يعملون عليها وظائفهم بنجاح أيضا .

(فهرست المواضيع)

ـ علم النفس العسكري

الباب الاول

الباب الثـاني

الفصل الثالث : الخوف ، سيكولوجية الضبط ، الانفعالات ، طبيعتها ، مظاهرها ، تأثيرها ، ووسائل السيطرة عليها •

التوافق ، وسائل التوافق المفيدة والضارة ، الامراض النفسية والعقلية الناتجة عن سوء التوافق •

الفصل الرابع سيكولوجية التعليم وأساليب التعليم الحديث •

الباب الثالث

الحرب النفسية ، الاشاعات ، النشرات ، الاذاعة ، وسائل الدفاع في الحرب النفسية •

الفصل الاول : الحرب النفسية ، وسائلها ، تأثيرها ، مكافحتها •

الفصل الثاني : الاشاعات ، أساليب شن الحرب النفسية •

الفصل الثالث : النشرات ، أساليب دراسة نفسية العدو •

الفصل الرابع الاذاعة ، تنظيم ادارة الحرب النفسية ووسائل الدفاع في الحروب النفسية •

الباب الأول

الفصل الأول

محاضرة تمهيدية

لمحة تاريخية مقتضبة عن علم النفس وتعريفه ومراحل تطوره كعلم :

تتعاون العلوم الحديثة على تحقيق هدف مشترك عام ، وهو توجيه الحياة الى ما يؤدي لاسعاد أكبر عدد ممن من بني الانسان ، وذلك بالانتفاع من الامكانيات الطبيعية وحسن تنظيم الوقت وتوجيه الطاقة البشرية لتؤدي الى تحقيق تلك السعادة ، وعلم النفس من أهم العلوم التي تساهم في تحقيق هذا الهدف ، وبالرغم من أنه علم حديث في صورته التي نعرفها الآن الا أن بذوره متصلة وموجودة منذ أن وجد الانسان . لان حقائقه ومباحثه من النوع الذي يهم كل فرد مهما كان جنسه أو أصله . وأنت اذا فحصت أية لغة أو لهجة أو قاموس من قواميس اللغات ، ستجد كثيرا من العبارات والكلمات ذات الاصل السيكولوجي ، كالحب والكره والامل واليأس والطموح والتراجع والتفكير والانفعال والاحساس وغير ذلك ، بل أن التأمل في طبيعة النفس وخصائص السلوك ودوافع التصرفات المختلفة أمر معروف منذ الخليقة الاولى ، ويمكن ان نلمس آثار هذا التأمل من تفسيرات البدائيين ومن آراء علماء الفراسة ومن تعبيرات الفلاسفة وأخيرا من بحوث العلماء ونظرياتهم .

ودراسة علم النفس محببة الى كل انسان ، والواقع أن كل واحد منا يحمل في نفسه (معمله الخاص) الذي يستطيع به أن يتأمل ما يجري

في نفسه ويقارنه بما يجري في نفوس الغير ، بما يلاحظ من سلوكهم وأن يطابق بين احساساته وبين الآراء والتفسيرات العلمية التي يصادفها • وكلما زادت قدرة الشخص على الملاحظة والمقارنة المبنية على الخبرة بطباع الناس وأساليب سلوكهم كلما زادت قدرته على الحكم من تصرفات نفسه ، وتصرفات غيره وكلما أمكنه تحسين أساليب سلوكه بما يحقق له مزيدا من السعادة في حياته • غير أن التصرفات الظاهرية للافراد والجماعات ليست دائما على درجة من البساطة بحيث يستطيع أن يفسرها الشخص العادي الذي لم يسبق له دراسة علم النفس ذلك لأن كل مظهر من مظاهر السلوك يعتبر نتيجة لجملة عوامل تفاعلت مع بعضها في نفس الشخص بحيث ينتج عن تفاعلها ذلك السلوك • وغالبا ما تكون هذه العوامل معقدة وغير واضحة حتى لصاحبها نفسه ، لان بعضها شعوريا ومرتبطا بارادة الشخص والبعض الآخر يكون لا شعوريا ولا سلطان لصاحبه عليه • وبعض هذه العوامل يكون له أصل بيولوجي مرتبط بوظائف أعضاء الجسم وتفاعلات التكوين الكيماوي والغددي والدموي للجسم ، بينما يكون البعض الآخر له أصل نفسي مرتبط بالدوافع والحاجات النفسية والاستجابات الغريزية والعاطفية ، أو مقتضيات التوازن النفسي التي يتطلبها الموقف الراهن للشخص في البيئة المحيطة به وفي الزمان والمكان الذي صدر فيه هذا التصرف • ونظرا لتعقد النفس البشرية وتشعب بواعث السلوك ودوافع تصرفات الانسان فقد أصبحت دراسة علم النفس أمرا ضروريا • ويميل الكثير الى دراسة علم النفس لانهم يريدون أن يدرسوا أنفسهم ويقفوا على أعمال عقولهم ، وكلما شعر مثل هؤلاء الناس بمشكلاتهم النفسية ، كلما زادت رغبتهم في هذه الدراسة وكلما زاد اهتمامهم بالاطلاع على الكتب النفسية ، ويتميز علم النفس عن الكثير من

العلوم الاخرى بأن البدء بدراسته يشجع على الاستزادة منه ، ومتابعة هذه الدراسة • فالمعلومات الاولية تساعد على مواصلة التوسع فيالدراسة• ونظراً لان علم النفس يبحث الحقائق النفسية على حقيقتها في شيء من الحرية العلمية فانه يطرق كثيرا من خفايا النفس وأخطائها التي قد تقف أمام ابرازه ومحاولة دراستها تقاليد ومعتقدات معينة ، وبسبب ذلك نجد ان بعض من يتعمقون في دراسة علم النفس ، ومن يدرسونه دراسة سطحية يتهمون هذا العلم اتهاما خاطئا بانه يشجع على الخروج عن المألوف أو بأنه يخالف تعاليم الدين أو النظم الاجتماعية ، والواقع أن علم النفس يتفق في كل حقائقه العلمية مع ما تنادي به تعاليم الدين الصحيحة • و خيرا من الممكن أن نلمس المراحل المختلفة لتطور علم النفس بدراسة مجتمعاتنا الحالية حيث نجد أن التفكير البدائي القديم لا يزال موجودا في بعض المجتمعات جنبا الى جنب مع التفكير العلمي الحديث ، فكما أن الانسان الراشد يحمل في نفسه أيام طفولته بما كان يسودها من أنانية وصفات اخرى بجانب ما لديه من قدرة على التفكير المتزن والنظرة الاجتماعية التقدمية ، فكذلك المجتمع يحمل ماضيه بما فيه من تأخر وتقدم • وكما أن الرجل الراشد يظهر في سلوكه بعض التصرفات البدائية كالاندفاع وغيره فكذلك المجتمع تظهر فيه أيضا بعض المعتقدات البدائية كالخرافات وغيرها •

ونحن لا زلنا نرى في مجتمعنا الحضر بعض الاساليب البدائية في التفكير كالدجل والشعوذة والاعتقاد بالجن والحكم على الناس بالفراسة بجانب أساليب البحث العلمي الحديث من علاج طبي ونفسي ومن بحوث علمية متقدمة وكلها موجودة في هذا العصر جنبا الى جنب : ويمكن تلخيص مراحل تطور علم النفس فيما يلي :

١ ـ مرحلة التفكير البدائي •
٢ ـ مرحلة التفكير الفلسفي •
٣ ـ مرحلة التجريب والقياس •
٤ ـ تشعب المذاهب ومدارس علم النفس •
٥ ـ علم النفس الحديث •

١ ـ مرحلة التفكير البدائي

منذ أن وجد الانسان كان يفكر في نفسه ويحاول أن يفهم سلوكه ويفسر أسباب تصرفاته • ومن أهم التفسيرات البدائية التي لا تزال لها آثار موجودة لحد الآن هي اعتقاد أجدادنا القدامى بوجود كائن صغير يسيطر على عملنا فكانوا يتصورون أن (مخلوقا صغيرا) يسكن جسم الانسان ويتحكم فيه ، وأحيانا يكون هذا المخلوق الصغير قاسيا شريرا وأحيانا يكون طيبا خيرا ، وأحيانا يترك المخلوق الصغير الجسم وقد لا يعود له ثانية ، وكان هذا هو تفسير ظاهرة الموت ، وكان لهذا المخلوق الصغير صفات خاصة لا نعدها في الجسم المادي ، اذ يستطيع أن يخترق أي عائق ولا تحد حركته قوانين الحركة أو الاحتكاك أو الصوت الذي نعهده ، بل له القدرة العجيبة على أن يوجد في أي مكان وفي أي وقت يريد ، بل من الممكن له أن يوجد أحيانا في مكانين معا في آن واحد ، وهذه الخواص ساعدتهم على تفسير ظاهرة الاحلام حيث نجد أن الحلم الواحد الذي يتم في زمن قصير يمكن أن تتم فيه أحداث خطيرة من حيث الزمان والمكان • والذي يتأمل حياة قدماء المصريين كما تبدو في آثارهم ومعاملتهم للموتى يجد الكثير مما يتمشى مع هذه المعتقدات ، فالصور والنقوش التي ترى في

المعابد تدل على اعتقاد المصريين القدامى بأن الموت لا يخرج عن كونه انفصال المخلوق الصغير عن الجسم وأن ذلك الكائن الصغير لا يزال حيا ، واذن فلابد من تزويده بالطعام والملبس وكل ما فيه ضمان لراحته في الحياة الآخـرة .

٢ ـ مرحلة التفكير الفلسفي

كان الاعتقاد السائد عند الأغريق منذ خمسمائة سنة قبل الميلاد أن هناك كائنا آخر غير مرئي متحدا مع الجسم المرئي وسمي هذا الكائن غير المنظور (الروح) ولما كانت الروح في نظرهم قادرة على ترك الجسم ولا تخضع في حركاتها لزمان ومكان فقد فسروا بها بواعث السلوك من أحلام وتفكير وحس وحركة وكانت هذه التفسيرات أساس (علم الروح) الذي أصبح الآن (علم النفس) ونظرا لغموض معنى الروح وصلتها بالمعاني الدينية الروحانية التي تخرج عن مباحث علم النفس عند استبدل لفظ الروح بلفظ العقل وبدأ الفلاسفة يضعون النظريات عن العقل وعلاقته بالجسم وكانت تصوراتهم للعقل لا تخرج عن تصوراتهم للروح في أنها مثلا نوع من اللهب الداخلي أو البخار الرقيق الخفيف أو أنها نوع من الحركة ، كما قال البعض أنها نوع من نسمة الريح أو هـواء التنفس لأن وقوف التنفس معناه خروج الروح أو ترك العقل للجسم فيصبح ميتا . ومن أهم الباحثين في العقل من الفلاسفة : أفلاطون وأرسطو ثم ديكارت ومن أعقبه من علماء الفلسفة الحديثة .

ولهؤلاء جميعا آراء شيقة نقتطف مما تصوره افلاطون شيئا منهـا . كان افلاطون يرى أن هناك عالمين : عالم (المثل) الذي يتكون من المعاني

الدائمة ومنه تكون النفس : (وعالم الحس) أو العالم المادي ومنه يتكون البدن أو الجسم • وكل من هذين العالمين يختلف في طبيعته عن الآخر اختلافا جوهريا • وعندما تهبط النفس من عالم المثل الى العالم المادي لتحل في الجسم تنشأ منها ثلاث نفوس وهي : النفس العاملة ومركزها الرأس والعصبية ومكانها القلب ، والشهوانية وموضعها البطن • ويختلف الناس فيما بينهم بحسب اختلافهم في هذه النفوس • وعلى هذا الاساس بنى فلسفته في تنظيم الجمهورية المثالية ، بتقسيم الناس الى طبقات ثلاث وهي طبقة المتميزين بالعقل ، وطبقة الذين تغلب عليهم النفس العصبية ، والطبقة الثالثة أصحاب النفس الشهوانية ، ويلاحظ هذا الشبه الكبير بين هذا التقسيم الثلاثي للنفس وبين تقسيم محتويات الشعور في علم النفس الحديث الى :ـ

١ ـ النواحي الادراكية :ـ وتقابل النفس العاملة التي يمكن أن توصف بالعلم أو الجهل •

٢ ـ النواحي الوجدانية :ـ وتقابل النفس الشهوانية التي يمكن أن توصف بالتطرف أو الاعتدال •

٣ ـ النواحي النزوعية :ـ تقابل النفس العصبية التي يمكن أن توصف بالسيطرة والارادة أو الاستلاء •

وقد أوضح افلاطون فلسفته في عدد من الاساطير ومن أمثلة ذلك أسطورة العربة التي يشبه النفس فيها بعربة يجرها جوادان ويقودها سائق فقال أن النفس الانسانية تكون أحد الجوادين فيها سلس القيادة وهذا يرمز للارادة أو النفس العصبية ، ويكون الجواد الثاني عصيا ميالا الى الجموع وهذا يرمز الى النفس الشهوانية • وأما السائق فيرمز الى النفس

العاملة وأذن يتوقف توجيه العربة وحسن قيادتها على ما يكون للسائق من قدرة على التحكم والتوفيق بين طبيعة الجوادين •

٣ ـ مرحلة التجريب والقياس

وتطور علم النفس كعلم

يعرّف العلم بأنه مجموعة منظمة من الحقائق الموثوق بصحتها لكونها مبنية على أسس الطريقة العلمية التي يمكن تلخيصها بما يأتي :ـ

١ ـ أن تبنى الحقائق على الملاحظة الموجهة والمتمظة لا على مجرد الملاحظة العابرة التي لا يكون لها غرض •

٢ ـ أن تكون هذه الملاحظة من النوع العام الممكن أن يتفق عليه أكثر من باحث بحيث تخرج عن الملاحظات الشخصية التي قد تتأثر بالتعصب لرأي معين وبهذا تكون حقائق من النوع الذي يتفق عليه الكثيرون تكون لها صفة موضوعية •

٣ ـ أن تساعد هذه الملاحظات على افتراض بعض الفروض والاحتمالات التي تثير التفكير للموازنة بينها واستخلاص الصحيح منها •

٤ ـ أن تكون من السهل أخضاع هذه الفروض للتجريب واعادة التثبت من صحتها تحت نفس الظروف بدون تغير في النتائج •

٥ ـ أن تخضع هذه الحقائق للقياس ووسائل التقدير وطرق الاحصاء المختلفة •

٦ ـ يمكن أن تصل بعض الفروض الى مرتبة النظريات اذا تأكد الباحثون من اثبات صحتها وأتفقوا على النتائج التي وصلوا اليها مستقلين عن

بعضهم البعض ولما كانت البحوث النفسية تتعلق في أغلبها بأمور معنوية كالتفكير والانفعال مما يجعل اخضاعها للتجريب أمرا صعبا اذا قورن بالتجارب والطبيعة أو الكيمياء مثلا . فان حركة التجريب والبحث العلمي في علم النفس ، جاءت متأخرة عن العلوم الاخرى كالطبيعة والفسيولوجية . ويمكن أن تعتبر العوامل الرئيسية الآتية قد ساعدت على تطور علم النفس بحيث أصبح علما بالمعنى الصحيح :

أ ـ حركة التجريب في المانيا وانكلتره وفرنسة وأمريكا ومعمل (فونت) لسنة ١٨٧٩ .

ب ـ الدراسة الاحصائية للفروق الفردية والقياس العقلي .

ج ـ التجريب في علم الحيوان .

٤ ـ تشعب المذاهب ومدارس علم النفس

مر علم النفس في مرحلة هامة من مراحل تطوره ، ظهرت بوضوح شديد في الربع الاول من القرن العشرين ، حيث ظهرت اتجاهات ومذاهب متعددة كل منها له وجهة نظر من حيث النواحي التي يركز فيها الاهتمام ، ومن حيث الطرق التي تتبع في الدراسة ومن حيث النظريات التي اتخذت لتفسير السلوك ومن أهم هذه المذاهب ما يأتي :

١ ـ المدرسة التكوينية : قامت هذه المدرسة في المانيا على يد (فونت) الذي كان عالما من علماء الفسيولوجيا وبدأ من بحث الظواهر النفسية بالطرق التجريبية ، وفي أمريكا كان العالم (تتشنز) خير ممثل لهذه المدرسة . وقد كان لهلاء المدرسة فضل كبير في تطور علم النفس الى علم تجريبي مما ساعد عن انفصاله عن الفلسفة .

٢ ـ المدرسة الوظيفية :ـ لم يقبل بعض العلماء اعتبار الحياة العقلية مجرد عناصر ووحدات متجمعة ومتراصة مع بعضها ، فلا يكفي ذلك لتفسير الحيوية والنشاط والتعبير الذي يميز الحياة العقلية ، فقام (جون ديوي) بأمريكا يؤكد أن علم النفس يجب أن يتجه الى بحث الحياة العقلية من الناحية الوظيفية وهي التكيف مع البيئة حسبما تقتضيه ذلك من تعلم وتحسين لاساليب السلوك ، وقد كان لهذه المدرسة أثرها في تطور أساليب التربية والتعليم •

٣ ـ المدرسة الترابطية : قامت هذه المدرسة لتفسير السلوك باعتباره سلسلة متصلة من العمليات العقلية المترابطة التي يحدث بعضها من أثر بعض ويرجع أصلها الى تفسير علماء الفسيولوجيا للتصرفات الحسية والحركية باعتبارها سلسلة من التوصيلات المتلاحقة التي تنتقل في أجزاء الجهاز العصبي وأجهزة الحس والحركة • وبناء على هذه الفكرة وضع قانون الترابط بالاقتران : أي أن حدوث شيئين في آن واحد أو مكان واحد يوجد في الذهن آثارا يترتب عليها استدعاء أحدهما اذا أثير لآخر • وكذلك قانون التشابه وغيرها من القوانين •

٤ ـ المدرسة السلوكيه : ـ ويرى أصحابها أن آراء المدرسة التكوينية والوظيفية لا تكفي لتفسير السلوك من حيث الاعتماد على طريقة التأمل الباطني وحدها • كما يقول السلوكيون بأن الحياة النفسية لا يمكن دراستها بمجرد تحليل الحياة الشعورية خصوصا وأن من الصعب علينا أن نعرف ما يجري في نفوس الآخرين واذن لابد من الاعتماد على (ملاحظة السلوك) الظاهري • والدراسة الموضوعية لتصرفات الكائن الحي كما تبدو لنا •

٥ ـ مدرسة الجشتالت وكلمة جشتالت معناها تكوين كلي أو

تنظيم عام وتقوم هـذه المدرسـة على أساس اعتبار السلوك وحده كليـه ، وليست مجرد أجزاء مترابطة ومتصلة بعضها في تسلسل آلي أو تعتبر هذه المدرسة أن الكل أكثر من مجرد مجموع مكوناته ، وأن أي تغيير في الجزء يتبعه تغيير في الكل العام • وقد قامت (نظرية الجشتالت) بثورة على آراء المدرسة التكوينية والوظيفية والسلوكية التي تعتبر أن العقل أو السـلوك يمكن النظر اليه كما لو كان مكونا من عناصـر جزئية منفصلة عن بعضـها ومتجمعة بشكل يمكن تحليله • وقد كان لهذه المدرسة وتجاربها وبحوثها في الادراك والتعليم أثر كبير في التربية وفي علم النفس التطبيقي ، كالنظر الى شخصية التلميذ كوحدة ، والنظر الى حالة الشخص المصاب بمرض نفسي نظرة عامة تتناول كل ظروف حياته •

٦ ـ مدرسة التحليل النفسي : وقد قامت بقيادة (سيجموند فرويد) أحد علماء الطب العقلي في (فينا) الذي وجه الاهتمام الى الحياة اللاشعورية على اعتبار أن الكثير من دوافع السلوك لا يمكن تفسيرها على أساس شعوري فقط • وقد أكد (فرويد) أهمية الرغبات والحاجات النفسية وما ينتابها من مقاومة وما ينشأ عن ذلك من ضغط وكبت وخصوصا في أيام الطفولة ، حيث تنشأ الكثير من الدوافع اللاشعورية التي تؤثر في حياة الفرد المستقلة •

٧ ـ المدرسة الغرضية ـ وتؤكد أهميـة الغرض وتحقيق السلوك لاهداف معينة بما يميز السلوك الحيوي عن الحركة الآليـة لغير الاحيـاء (مكدوجل) صاحب نظرية الغرائز هو قائد هذه المدرسـة الغرضية •

مدارس علم النفس

المدرسة	أهم موضوعاتها	طريقتها	قادتها	تاريخها التقريبي
١ ـ التكوينية	مكونات الشعور	التأمل الباطني	فنت • تتشنر	١٨٧٩
٢ ـ الوظيفية	التكيف مع البيئة	التجريب والتأمل	ديوى • ودورت	١٨٩٨
٣ ـ الترابطية	التداعي والتذكر	الملاحظة الداخلية والخارجية	مل • براون	١٨٩٠
٤ ـ السلوكية	الفعل المنعكس	الملاحظة الخارجية	بافلف هل	١٩١٢
٥ ـ الجشتالت	الادراك والتذكر	الملاحظة والتجريب والتأمل	وريثمر • كفكا	١٩١٢
٦ ـ التحليل النفسى	الاضطراب النفسي	البحث الاكلينيكي	فرويد • أدلر	١٩٠٠
٧ ـ الغرضية	الغرائز	الملاحظة والتجريب والتأمل	مكدوجل	١٩٠٨

أما عن تعاريف علم النفس فهي متمشية في تطورها مع تطوره وتقدم دراسته ففي أيام فلاسفة الاغريق كان التعريف السائد هو (علم الروح) ثم استبدلت لفظة الروح بكلمة (العقل) فأصبح هـذا العلم يعرف بأنه (علم دراسة الحياة العقلية) وعندما بدأ علم النفس يستقل عن الفلسفة ويأخذ طريقه كعلم ، اتخذ التعريف صورة أكثر دقة كما في قول (فنت)

عام ١٨٩٢ (علم النفس هو الذي يبحث فيما يسمى بالحياة العقلية الداخلية) أي العلم الذي يختص ببحث المشـاعر والاحساسات الداخلية تمييزا له عن العلـوم الطبيعية التي تبحث الخبـرات الخارجية المحيطة بالكائن الحي ، وبهذا يصبح تعريفه (العلم الذي يبحث في الحياة الشعورية) • ولكن هذا التعريف قد رفضه علماء التحليل النفسي الذين يرون أن الحياة النفسية تشمل الشعور واللا شعور معا ، وان اللا شعور أقوى أثرا في حياة الانسان ، اذن فتعريف علم النفس بأنه علم الشـعور يعتبر تعريفا جزئيا ، وظهر تعريف آخر وهـو (علم الحيـاة العقليـة الشعورية واللا شعورية) • وفي عام ١٩٠٨ عرف (مكدوجل) علم النفس بأنه العلم الايجابي الذي يبحث السلوك العقلي بجميع مظاهره ووسائل عمله أي أنه (العلم الايجابي لدراسة السلوك) •

وهنـاك تعاريف أخرى لعلم النفس ويمكن الوصـول الى تعريف مختصر كالآتي

« علم النفس هو العلم الذي يبحث دوافع السلوك ومظاهر الحياة العقلية الشعورية منها واللاشعورية ، دراسة ايجابية موضوعية ، تساعد على افساح المجال للقوى والمواهب النفسية كي تنمو وتستغل فيما يساعد على حسن التكييف مع البيئة ، وما يؤدي الى تحسين الصحة النفسية للافراد والجماعات » •

٥ ـ علم النفس الحديث

لقد رأينا كيف تطور علم النفس من فرع للفلسفة الى علم قائم بذاته يعتمد على التجريب والقياس وأشرنا الى المرحلة الهامة التي مر بها في الربع الاول من القرن العشرين وهي مرحلة تشعب الآراء واختلاف وجهات النظر بين الباحثين في علم النفس حيث تفرقوا شيعاً وأحزاباً كل له نظرياته والنواحي التي يؤكدها ويهتم بها . فمنهم من اهتم بالسلوك الظاهري ومنهم من أهتم بتحليل الحياة الشعورية ومنهم من أكد أهمية السلوك كوحدة كلية ... وهكذا . واليوم لم يعد هناك مثل هذا التحزب بل اتجه علماء النفس الى مرحلة وفرت عليهم الخلاف في الرأي ، وهي مرحلة التخصص في فروع علم النفس المختلفة . ولذا نجد الاهتمام اليوم للبحث في علم النفس قد اتخذ مظهرا يتفق مع النمو والتطور، وهو التعمق في ناحية معينة من نواحي البحث في الحياة النفسية، ولهذا نجد أنه بينما كانت بعض الكتب التي ظهرت في الربع الاول من القرن العشرين تتناول مدارس علم النفس ، أو مقارنة بين بعض هذه المدارس ، أصبحنا نجد كتب علم النفس الحديث تتناول فروع العلم وميادينه المختلفة . فهذا كتاب في علم النفس التعليمي ، وهذا كتاب في علم نفس الحيوان ، وهذا كتاب آخر في علم النفس الصناعي ، وهذا كتاب يبحث في نفسية الاطفال وآخر يبحث في نفسية الكبار ، وكتاب آخر يتضمن علم النفس العسكري ... الخ كما تجد بحوثا في علم النفس المقارن الذي يقارن بين سلوك البنين والبنات أو يقارن بين سلوك الاجناس المختلفة .

الفصل الثاني

علم النفس الحربي احد ميادين علم النفس

ذكرنا فيما سبق أن علم النفس يدرس السلوك الانساني ، ولما كانت أنواع السلوك للانسان كثيرة ومتنوعة ، فقد أصبح من الطبيعي أن تتسع أبحاث علم النفس فتشمل جميع الميادين التي يظهر فيها سلوك الانسان • وقد أدى ذلك الى ظهور فروع كثيرة لعلم النفس • وسنحاول فيما يلي أن نشير الى أهم هذه الفروع :ـ

١ ـ علم النفس العام General Psychology يعني علم النفس العام بدراسة المبادىء والقوانين العامة لسلوك الانسان الراشد السوي ، وهو يحاول أن يستخلص الاسس السيكولوجية العامة للسلوك الانساني التي تطبق بوجه عام على جميع الافراد ، بصرف النظر عن الحالات الخاصة أو المواقف الاجتماعية التي قد تختلف من فرد الى آخر •

٢ ـ علم النفس الفسيولوجي : Physiolologicol Psychology

يعني علم النفس الفسيولوجي بوجه عام بدراسة الاساس الفسيولوجي للسلوك الانساني • فهو يهتم بدراسة الجهاز العصبي ووظائفه المختلفة ، فقد يحاول مثلا أن يعرف كيف يحدث الاحساس • •

٣ ـ علم نفس الحيوان Animal Psychology يعني علم نفس الحيوان بدراسة الاسس السيكولوجية العامة لسلوك الحيوان •

٤ ـ علم النفس الفارق : Differential Psychology يهتم علم

النفس الفارق بدراسة الفروق بين الافراد أو الجماعات أو السلالات المختلفة .

٥ ـ علم نفس الطفل Ghild Psychology يعنى علم نفس الطفل بدراسة نمو الطفل والعوامل المؤثرة فيه ... الخ .

٦ ـ علم النفس التربوي Educational Psychology يعنى بدراسة الخصائص الرئيسية لمراحل النمو المختلفة لكي يتسنى للمربين وضع المناهج الدراسية التي تتناسب مع مستويات النضج المختلفة للاطفال كي تستطيع هذه المناهج تحقيق أهدافها .

٧ ـ علم النفس الاجتماعي : Social Psychology يهتم بعلاقة الفرد بالجماعة ، وعلاقة الجماعات بعضها ببعض .

٨ ـ علم النفس المرضي : Anormal Psychology يهتم بدراسة السيكولوجية العامة لسلوك الشواذ والمنحرفين ويحاول أن يعرف أسباب الشذوذ والانحراف .

٩ ـ علم النفس الصناعي Industrial Psychology يعنى بتطبيق مبادىء علم النفس في ميدان الصناعة لزيادة الكفاءة الانتاجية للعامل .

١٠ ـ علم النفس التطبيقي Applied Psychology ان كثيرا من فروع علم النفس التي سبق أن ذكرناها هي في الواقع فروع لعلم النفس التطبيقي : فعلم النفس التربوي مثلا يقوم بتطبيق مبادىء علم النفس في ميدان التربية . ولعلم النفس تطبيقات أخرى كثيرة لم يشملها عرضنا السابق لفروع علم النفس : ومنها تطبيق علم النفس مثلا في دراسة الجريمة وفي ميدان التجارة والآداب والفنون والسياسة . وعلى العموم فان علم النفس يمكن في الواقع أن يطبق على كل ميدان يبذل فيه الانسان نشاطا ، لانه يدرس سلوك الانسان في أي ناحية من نواحي حياته وفي أي ميدان من ميادين نشاطه .

والميدان الاخير والمهم والذي نحن بصدد دراسته هو علم النفس الحربي Militory Psychology يعنى علم النفس الحربي بتطبيق مبادىء علم النفس في الجيش لزيادة كفاءة القوات المحاربة ، وهو يستخدم الاختبارات السيكولوجية لاختيار أصلح الجنود والضباط وتوزيعهم على الوحدات المختلفة بما يتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم ، وهو يطبق أيضا مبادىء التعليم على برامج التدريب العسكري ليضمن نجاح هذه البرامج وتحقيق أهدافها • وهو يبحث كثيرا من المشكلات السيكولوجية المتعلقة باستخدام الحواس في ميدان القتال حتى يستطيع المقاتلون أن يستخدموا حواسهم في ميدان القتال على أحسن وجه ، وهو يدرس أيضا سيكولوجية القيادة والروح المعنوية والدعاية والحرب السيكولوجية • ويعنى علم النفس الحربي أيضا بعلاج المصابين بصدمات نفسية ناشئة عن أهوال القتال ، وبتوجيه العائدين من القتال وخاصة المشوهين منهم وتأهيلهم للحياة المدنية • وخاصة بعد التطور الهائل في أسلحة الدمار والتي منها الاسلحة النووية والذرية والهيدروجية • لم تعد الحرب الحديثة حربا موضعية بل أصبحت حربا شاملة تشمل المقاتلين في ميادين المعركة تعاونهم الدولة تعاونا وثيقا وتعبيء لهم جميع مواردها البشرية والاقتصادية والمعنوية ولقد أثبتت الخبرة المكتسبة من الحروب القديمة والحديثة أن الحرب النفسية سلاح فعال في المعركة فهو وسيلة مدعمة لباقي وسائل النضال تعمل على استغلال النجاح ودفع عجلة الحرب سريعا نحو النصر وتوفر كثيرا من الخسائر في الرجال والعتاد ، وليست الحرب النفسية سلاحا مستحدثا في ميدان المعركة ، فالدعاية قديمة قدم التاريخ وانما الجديد في الحرب النفسية هو في تطور أساليبها طبقا لقواعد منظمة مدروسة • ونحن لو نظرنا الى الحياة العسكرية لوجدنا أن المجتمع العسكري مجتمع متعاون

متكامل يتمم الجزء فيه عمل الكل ويعتمد نجاح المعركة أساسا على مدى التعاون الوثيق بين القوات المسلحة المتحاربة ، كما أن القدرة على الحب والثقة المتبادلة التي تظهر من حب القائد الاكبر لجنوده ومرؤسيه وكذا ثقة المرؤوسين والجنود بقائدهم كل هـذا سيؤدي الى بودقة النصر التي تصهر فيها عواطف الحب والثقة وتؤدي في النهاية الى رفع الروح المعنوية في الفريق الذي يتدرج من أصغر وحدة الى الامة جمعاء .

وتتميز الحياة العسكرية بالقدرة على التحكم في الذات المنبثقة من التفكير والتخيل وربط الاهداف الماضية بالحاضرة والمقبلة ، ثم التحـكم في السلوك ، وهو ضرورة أساسية في جميع الواجبات العسكرية سواء وقت السلم أو الحرب وهو سبيل هام لاقرار الضبط والربط وهو أعظم ما يتحلى بهٔ النظام العسكري . كما أن القدرة على تحمل المسؤولية وتقديرها حق قدرها من الصفات البالغة الاهمية لدى القادة العسكريين على جميع المستويات الصغرى والكبرى . ومما لا شك فيه فان الفترة التي يقضيها الجندي اثناء خدمته العسكرية لها أثرها الفعال في التحرير النفسي في شخصيته وغرس صفات جديدة فيه ، من أهمها حب الطاعة والثقة بالنفس وحب الجماعة وتحمل المسؤولية ... الخ . وعليه لم يفت للواقع العسكري وهو معقد ومتعدد الجوانب أن يحتضن بما في علم النفس من نفع وفـائدة ووضـع لاساليبه موضع التجريب والنتائج التي حصل عليها في هذا المجال . فقد قام قبيل الحرب العالمية الثانية جهد منهجي شـامل أخذ نفس الأتجـاه السـائد فنقلت القوات المسلحة كل ما تحتاج اليه من تطبيقات مدنيـة ، واتخذت لذلك أجهزة للافادة من علم النفس العسـكري ، وفاقت معظم النتائج التي أمكن الوصول اليها أكثر الآمال تفاؤلا ، فاستفادت أهم الفوائد التي جناها الوضـع العسكري من استعماله للاسـاليب الحديثة في البحث والقياس النفسين .

الفصل الثالث

علم النفس في خدمة القوات المسلحة

حينما سئل الدوق ونجنتون أن يبين صفات القائد العسكري العظيم : قال : ـ (لابد له أن يفهم بناء الجندي الفرد وطاقته ثم بناء الفصيلة وطاقتها ثم الكتيبة فالفرقة وهكذا ... من قبل أن يقوم بجمع التجمعات العسكرية أو يحرك جيشا) وفي كلام له عن السير جون مور قال (كان شجاعا كسيفه ولكنه لم يكن يحيط بما يستطيع أن يفعله رجاله وما يعجزون عنه) وقال ولجنتون هذا الكلام في القرن الماضي ولم يكن التسليح قد تطور بعد تطوره الهائل . ولم تكن الخدمة العسكرية قد اتخذت طابعها الفني والتخصصي الدقيق الذي نراه اليوم . ولكنه (أي ولنجتون) كقائد عسكري ججح درس من حرب خبرته في الميدان أن شجاعه لا تكفي وانما ينبغي أن تصحبها المقدرة على استعمال السلاح . والجندي الشجاع لن يستطيع أن يفعل شيئا ان لم يكن ماهرا في استعمال سيفه ، فاذا حلت البندقية محل السيف أصبح عمل الجندي أكثر تعقدا لان البندقية آلة ميكانيكية يتطلب اطلاقها واستعمالها نشاط أعظم تنوع من النشط اللازم لاستعمال السيف حتى اذا استبدلت البندقية العادية مثلا بالبندقية الصاروخية يتطلب استعمالها قدرات ومهارات أرفع مستوى من تلك التي يتطلبها استعمال البندقية العادية ، وقس على ذلك جميع الاسلحة الاخرى المدفع مثلا كان في بادىء الامر يوجه بالبصر وحده ويطلق بواسطة اشعال فتيلة . فأصبح اليوم له رادار يحدد مدى هدفه واتجاهه وآلة التحديد (التنشين) وآلة أخرى للتعمير وثالثة للاطلاق ، تعقد جهاز المدفع فتعقدت واجبات العمل به

وتطلب بذلك مجموعة متنوعة من المهارات لابد من توافرها في أفــراد الطاقم كل فيما يخصه فالتسليح قد تطور الى الآلية الميكانيكية بحيث أصبح الجيش منظمة معقدة يتطلب العمل فيهـا قدرات على مسـتوى عال من التخصص • وأصبحت الوحدة المحاربة (الرجل والآلة) لا الرجل وحده ولا الآلة وحدهـا ، بمعنى أن الآلة وحدها ، لا تسـتطيع أن تؤدي وظيفتهـا بنجاح الا اذا أدى الرجـال الذين يعملون بهـا ويديرون وظائفهم بنجاح أيضا • ولنفهم ذلك نضرب مثلا ان أجهزة المدفعيـة المدمرة الانكليزية من طراز (Calass Destroyer) ومن يعملون على تلك الاجهزة •

أ ـ برج ادارة النيران (Director Control Tower) ويوجد به

١ ـ آلة ايجاد المسافة Ranger Finder : يديرهـا عامل آلة ايجاد المسافة •

٢ ـ جهاز ارتفاع البرج يديره عامل الارتفـاع Dirictor Elevator .

٣ ـ جهاز اتجاه البرج يديره عامل الاتجـاه Director

ب ـ غرفة توجيه المدافع :Gun Director Room وبها جهـاز رادار ٢٩٣ وطاقمه •

ج ـ غرفة التصحيح T. S. Room وبهما

١ ـ ماكنة الضرب السطحي Admiraly Fire Control وعليهـا طاقم يتولى ادارة جميع آلاتها الحاسبة •

٢ ـ ماكنة الضرب الجوي بطاقمها أيضا : Fuse Keeping Clock

٣ ـ لوحة رادار ٢٨٥ مع من يعملون بواسطتها •

٤ ـ آلتي تصحيح الدرفلة الطويلة والعرضية (تأرجح السفينة بتأثير الموج طوليا وعرضيا) Gyro Level Correctors

د ـ طابية المدفع Gun Mounting بأجهزتها التي يعمل عليها طاقم المدفع لتوجيهه الى الهدف وتعميره واطلاقه في حالة اطلاق من الطابية ذاتها (ففي معظم الاحيان يكون الاطلاق من البرج أو من غرفة التصحيح) جميع هذه الاجهزة لابد لها أن تعمل بدقة حتى يستطيع المدفع أن يتجه الى الهدف ويصيبه فبرج ادارة النيران يحسب مسافة الهدف واتجاهه حسابا تقريبيا ثم يرسل هذه المعلومات الى غرفة التصحيح لتصحيحها وتحويلها الى تقديرات مضبوطه ثم ترسلها بدورها الى طابية المدفع ليتجه الاتجاه الصحيح ويرتفع بزاوية الارتفاع المطلوبة لاصابة الهدف.ولكي تؤدي جميع الاجهزة السالفة عملها أداء سليما لابد لعمالها Operators أن يجيدوا عملهم

كل في حدود اختصاصه ، فعامل الاتجاه في البرج مثلا (Director Trowier) عليه أن يدير منجلة أمامه لكي يدور البرج كله متجها صوب الهدف وعليه أن يتبع هدفه بعينيه من خلال منظار مقابل لهما بينما يداه تديران منجلة الاتجاه • ولو أخطأ درجة واحدة فان اتجاه البرج سيصبح خاطئا وبالتالي اتجاه المدفع ، فاتجاه الطلقة فتسقط يمين الهدف أو يساره ولا تصيبه • كذلك عنصر السرعة مطلوب فقد يكون الهدف مسرعا في سيره كطائرة نفاثة مثلا ، وحينئذ لابد للبرج والمدفع أن يتبعاه بسرعة كبيرة حتى يمكن اصابتها • أضف الى ذلك التآزر الحركي • فالعامل هنا يتبع الهدف بعينيه ويداه تعملان في نفس الوقت في اتجاهين متعاكسين لادارة منجلة الاتجاه وأخيرا يأتي الاتزان الانفعالي اللازم للقيام بهذا اللون من النشاط في محيط ضاغط كمحيط المعركة الحربية •

يبين لنا هذا المثال طابع الخدمة الفنية العامل للنشاط العسكري في أوج صورته (القتال) فهو طابع يحمل مفهوم (الرجل زائدا الآلة) (ويمكن الأحاطة بتفاصيل أكثر في الموضوع هذا في كتاب)

Bray : Psychology and Wlitory profeciency nanal guns and engineering crems .

وليس من شك في أن الرجال يتفاوتون فيما بينهم على حسب هذا المفهوم وبالنسبة الى المثال السابق ، يتفاوتون مثلا في اتزانهم الانفعالي وفي حسن استعمالهم للبصر واليدين وفي تآزرهم الحركي الذي يجمع هذه الالوان من النشاط في وحدة متكاملة . لنفرض اننا الآن بصدد اختيار عدد من الرجال من بين مجموعة كبيرة ليعملوا كعمال اتجاه في برج ادارة النار أو طابية المدفع فعلى أي أساس يكون اختيارنا ؟ لقد حددنا بعض الشروط خلال تحليلنا لطبيعة العمل نفسه وبقي علينا أن نختبر أفراد المجموعة التي أمامنا وفق هذه الشروط لنختار أكثرهم ملائمة لها ، فهم بالطبع اكثر مقدرة على أداء هذا العمل ، هذه هي المشكلة الاساسية التي تصادفنا لدى اعتبار العمل الفني العسكري معرفة طبيعة هذا العمل لتحليل مقتضيات أدواته ووسائله ثم معرفة طبيعة الافراد الذين سيعملون على هذه الادوات والآلات لكي يعين الاصلح منهم ليقوم بالعمل الذي يتناسب مع قدراته . وهي نفس المشكلة التي واجهت السلطات العسكرية للجيوش القاتلة في الحربين العالميتين ، فحينما قامت الحرب العالمية الاولى كان كثير من الاسلحة المعقدة قد برزت الى الوجود كالطائرات والدبابات والغواصات والاجهزة اللاسلكية كما كانت الاسلحة القديمة كالمدفعية قد تطورت فبلغت هي الاخرى مستوى أعلى من التركيب . وثبت لدى القيادات المختلفة أن اداء

هذه الاسلحة الآليــة وظائفها يتفاوت في جودته بتفاوت القائمين بأدائهـا وحسن استعمالهم لها ٠ فكان من الطبيعي أن تلجأ هذه القيادات الى علماء النفس ليتولوا بوسائلهم العلمية مهمة انتقاء الافراد وتوزيعهم على الاعمال المختلفــة ففي ألمانيـا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة وبريطانيـا عمـل السيكولوجيون على وضع اختبارات لبعض الخدمات الحربية مثل وظائف المراقبين الليليين **Nnght Look outs** والملاحين **Navegators** والسائقين والعاملين على آلات التلغراف وأجهزة مكافحة الغواصات ٠ وفي الولايات المتحدة بالذات قام نشاط كبير من جانب علماء النفس بتطبيق علم النفس ووسائله الاختبارية في مضمار القوات المسـلحة وانشأت سبع عشرة لجنة لبحث المشاكل السيكولوجية العسكرية تحت اشـراف المجلس القــومي للابحاث وقامت هذه اللجـان ببحث كثير من الموضوعات الهـامة كان من بينها اختيار المجندين من حيث الذكاء أو المقدرة العقلية لمعرفة صلاحيتهم أصلا للخدمة العسكرية على وجــه العموم ثم اختبارهم فيمـا لديهم من استعدادات خاصــة حتى يمكن اجراء الانتقاء من بينهم ٠ وتوزيعهم على الخدمات المختلفة ويماثل ذلك انتقاء الضباط ومن يتولون مراكز القيـادة والطيارين والملاحين الجويين ٠ يضاف الى ذلك عدة أبحاث تتعلق باستخدام الوظائف الاساسية كالبصر والسمع وما يتعلق بهذا الاستعمال من وسائل سيكولوجية ٠

والحياة العسكرية حياة اجتماعية ذات طابع معين يختلف الى حد كبير عن طابع الحياة المدنية ٠ ويمكننا توضيح طبيعة هذه الحيـاة بفهمنا لطبيعة المجتمع العسكري وبنائه ٠ تلك الطبيعة التي نستمدها من مقتضيات وظيفته العــامة وما يندرج تحتها من وظائف جزئيــة ٠ فكل مجتمــع يتكون من مجموعة من المنظمات الاجتماعية **Social Orgamsations** تؤدي أنواعا

مختلفة من النشاط ، ينشأ عنها ثبات كيان المجتمع واستمراره وبقاؤه •
والقوات المسلحة منظمة من هذه المنظمات تقوم بالعمليات الحربية اللازمة
للدفاع عن المجتمع أو تحقيــق مصـــالحه بالهجوم عـلى مجتمـع آخر
Ogburn and minkoff : A Hand book of Sociology

وتتطلب هذه الوظيفة تمييز المنظمة العسكرية ببعض الخصائص عن
غيرها من المنظمات الحديثة الاخرى أهمها :

St anffer, Suchm and, Deinney, Star and Wlliams : the american Soldier, vol. I adyustment During army life . P 55

١ ـ انها منظمة مسيطرة Authoritative تتطلب من أعضائها طاعة
شبه مطلقة •

٢ ـ وجود التمايز الرسمي الشديد بين مختلف الرتب بحيث يمكن
اعتبارها منظمة ذات نظام طبقي معين • تتحدد طبقاته بواسطة فواصل الرتب
ويترتب على ذلك تحديد دقيق للواجبات والحقوق والوظائف •

٣ ـ وجود التقاليد والانظمة العسكرية التي تختلف في الغالب عن
تقاليد معظم المنظمات المدنية ، والتي تتجه الى تحديد فردية العضو وعدم
السماح لها بالانطلاق حسب طبيعتها ، ويترتب عليها نوع من السلوك هو
السلوك العسكري • نفهم من هذا ان الحياة العسكرية فيما تتميز به من
صلابة وخشونة وبما تناول من أعضائها الجدد من تغير وتطـوير لكـي
تحولهم من الطابع المدني الى الطابع العسكري انما هي حياة ضاغطة كفيلة
بأن تعرض تماسك الشخصية وتكاملها باضطراب بالغ ان لم تكن له بهـا
(الشخصية) اتزان انفعالي ومرونة تكيفية يجعلانها تواجه موقفها الجديد،
مواجهة سليمة ، أضف الى ذلك أن سمة الضغط هذه تبلغ أشدها فيالمواقف
التي تتطلبها بعض المهام العسكرية وخاصة وقت المعركة ، حينما يتعرض

كيان الشخصية وسلامتها للخطر وتثور صراعات نفسية شديدة بين الرغبة في الفرار طلبا للامن والبقاء أو تأدية للواجب أو خوفا من العقاب أو العار يهتز بناؤها واتزانها وتصير عرضة للتفكيك والانهيار • واذا كان المـــرء قائدا أصبحت المشكلة أعظم اذ المفروض ان القائد مثل لجنوده وانه جزءاً كبيراً من شجاعتهم وتماسكهم كوحـدة محـاربة مستمدة مـن شخصيته وهيمنتها على الامور • ونحن نقرأ في التاريخ عن معارك هزمت فيها جيوش كبيرة أو انسحبت وهي على وشك الانتصار لمجرد موت القائد الذييقودها في المعركة •

Freud : Grop psychology and the analysis of the ego, P. 41 : two Artificial groups, the church and the arwy

ولنتصور قائد الطائرة النفاثة ذات السرعة الهائلة والاجهزة الدقيقة لنتصوره في معركة حربية وقد نال منه الاضطراب مناله ، وطاشت حركاته وتعثرت تصرفاته • فلم تستطع يداه أن تقوم باطلاق النار وقيادة الطائرة في نفس الوقت • أو لم تستطع عيناه تركيز مدى الهدف تحت اضطرابه فيعجز عن متابعته أو الانقضاض عليـه أو الارتفـــاع لمواجهته فاضطربت طائرته الدقيقة اضطراباً ، وأحاط بها خطر جسيم • ولنتصور ضفدعاً من الضفادع البشرية وهو غاطس يسبح تحت الماء وفي يديه عبوة مفرقة يريد أن يثبتها في قاع سـفينة العـدو لتنفجر فيهـا بعد زمن معين وتفرقعها ، ولنتصوره وقد اعتراه الخوف أو التوتر فعجز عن ضغط توقيت الإنفجار فانفجرت العبوة فيه وقضت عليه أو انفجرت في السفينة قبل موعدها المحدد، أي قبل ابتعاده عن منطقة الخطر ، فأصابه انفجارها أو كشف للعدو عن وجوده ودلّ على موقعه • ويبرز لنا هذا العرض الموجز لطبيعـة الحياة العسكرية الاجتماعية ولطبيعة بعض المهام العسكرية أهمية دراسة الشخصية

ومنها مشكلة التوافق النفسي الاجتماعي وفي تعيين الافراد للمهام الخاصة التي تتطلب توافر صفات شخصية معينة على نحو ما رأينا •

وكما اننا أوضحنا من قبل أهمية قيام الانتقاء على اختبار القدرات والمهارات والاستعدادات بالنسبة للنشاط العملي فاننا نشير هنا الى أهمية قيام الانتقاء أيضا على اختبار الشخصية بالنسبة للمهام والوظائف المختلفة بل بالنسبة للنشاط العملي أيضا • فلا نجاح هناك لاستعمال القدرات وللنشاط العملي بأكمله ان لم توجد الشخصية المتماسكة المتزنة التي تستطيع أن تفيد من قدراتها على الوجه الاكمل وثمة ناحية أخرى تبرز فيها أهمية فهم الشخصية ودراسة طبيعة نموها الحاضر هي الناحية المرضية ، فقد يزيد الاضطراب واهتزاز الاتزان الانفعالي الى درجة المرض • وفي ظروف القتال والمعارك تتولد كثير من المؤثرات التي تبلغ في ضغطها حدا يجذب الشخصية من مجرد الانحراف البسيط أو الاضطراب السلوكي العادي الى ميدان المرض الذي يقعدها عن متابعة نشاطها القتالي بل عن أي نشاط آخر سوي فاذا تساءلنا لماذا يحدث المرض لبعض المقاتلين ولا يحدث لجميعهم يبرز لنا على الفور تأثير النمو الماضي للشخصية وما تؤدي اليه طبيعة هذا النمو من تنمية الاستعداد للتأثر بصدمة القتال من عدمه •

استعرضنا حتى الآن المجالات الاساسية للنشاط العلمي النفسي في خدمة القوات المسلحة ويهمنا في هذا الصدد ان تبرز بعض المفهومات الهامة التي تتعلق بهذا الموضوع وتثير الاذهان عن طبيعة هذا النشاط ، فهناك من يعتقد أن علم النفس الحربي فرع مستقل عن البحث النفسي له مناهجه وطرائقه ونتائجه التي تتعلق به وحده ، والحقيقة أنه لا يعدو ان يكون تطبيقا للمناهج العلمية النفسية المتعمدة ومفهومات هذه المناهج وتصوراتها في ميدان معين للنشاط الانساني • واذا كانت الوظيفة العامة لهذا الميدان

وخصائصه كمنظمة اجتماعية تختلف عن غيره من المنظمـات المدنية قـد اقتضت احداث شيء من التعديل والتطوير على هذه المناهج لتحقق أهدافها بنجاح وأن ذلك التعديل لا يتناول الاسس المبدئية والمفهومات الاساسية • مفهوم آخر ينبغي ابرازه هو المفهوم التكاملي الـذي ينص عـلى ترابط الوظائف المختلفة لدى الكائن الانساني النفسية منها والعضوية واندماجها جميعا في بناء متفاعل هو شخصية هذا الكائن بحيث يمكن القول بأن أي سلوك يقوم به الفرد انما هو ناتج لشخصيته كلها يحمل خصائصها ومميزاتها واختلافها عن الشخصيات الاخرى ، وتبدو أهمية هذا المفهوم عند الكلام على استخدام الوظائف الحسية والحركية والعقلية المختلفة • فنجاح الفرد في اختبـار النظر يعني ان عينيه سليمتان يمكن استخدامهما بنجاح ولكن ذلك لا يعني أبدا أن لديه من المقدرة على حسن هذا الاستخدام ، فقد يكون ضعيف المقدرة على الانتباه أو قليل المثـابرة لا يستطيع ان يركز انتباهـه لمدة طويلة أو يكون بناؤه الانفعالي مهتزا الى درجة تشوه استخدامه لوظائفه الحسية والحركية والعقلية في موقف ضاغط كموقف المعركة الحربية ، مع سلامة هذه الوظائف لديه • تظهر أيضا أهمية المفهوم التكاملي عند الكلام عن الكثير من الظواهر الاجتماعية في المحيط العسكري ونحن نسمع كلاما كثيرا عن القيادة العسكرية الناجحة والروح المعنوية العالية وعلاج الشذوذ أو الانحراف وهو كلام لا طائل له طالما يتجـاهل حقيقة بسيطة هامة وهي أننا بصدد كائنات انسانية لها شخصياتها التي تحمل من المثيرات والدوافع والسمات ما يجعل سياستها تحت قيادة ناجحة أو جميعها في بناء اجتماعي ذي روح معنوية عالية أو علاج حالات الانحراف فيها أمور لا بد لها أن تقوم على فهم هذه الشخصيات ووضع الوسائل التربوية لصياغتهـا صياغة اجتماعية سليمة • والمفهوم الاخير هو المفهوم المدني ــ العسكري

ومعناه أن المنظمة العسكرية ليست مجتمعا منفردا بأداء وظيفة الحرب منفصلا عن المجتمع المدني في عمله . فالمدنيون يتعرضون الآن لنفس ما يتعرض له المقاتلون وبذلك أصبحت تعبئة الجبهة المدنية الداخلية لا تقل أهمية عن تعبئة الجبهة العسكرية المقاتلة وأصبح الرأي العام المدني له كلمة تكاد تكون فاصلة في توجيه الحرب ، يقتضي هذا المفهوم اذن قيام تعاون وتأثير متبادل بين الابحاث النفسية في الحياة المدنية والحياة العسكرية . فدراسة اتجاهات الرأي العام المدني تساعد على حمايته من دعايات العدو المغرضة ، ان علم النفس في تناوله للنفس الانسانية بين لنا قدراتها واتجاهاتها ودوافعها الى التصرف كما أن في دراساته التفاضلية بين لنا الحقائق الشخصية المفرد بالذات والاسباب التي يتصرف من أجلها على هذا النحو أو ذاك . ونحن لا نستطيع تغيير الطبيعة الانسانية وكل ما نستطيعه هو تغيير وسائل التعامل مع هذه الطبيعة بحيث نقدر على توجيهها نحو غايات نريدها ونستفيد على قدر الامكان من طاقاتها وقدراتها . وحينما نعلم حدود الطاقة الانسانية ومستوى امكانياتها فاننا لن نطلب المستحيل ، وستكون نظرتنا أكثر فهما وواقعية وحينئذ تصبح وسائلنا اكثر نجاحا وأعظم فائدة . وفي محيط كالمحيط العسكري تبرز فيه الحاجة الشديدة الى الانتاج والنشاط الفني المعقد والتوجيه الشخصي الاجتماعي ، نجد انفسنا أحوج ما نكون الى الفهم الصحيح والواقعية العلمية .

الفصل الرابع

دور عالم النفس في الجيوش

ومستقبل علم النفس الحربي

اذا اعتبر وجود عالم النفس ضروريا أثناء اجراءات التجنيد وتشغيل الافراد وفي مدارس التخصص ومعاهد الضباط وفي معامل اختبار المعدات الحربية فلا بد من وجوده أيضا في الوحدات العاملة دون أن يتعرض لفقد صلته بالواقع أو أن يهمل عدة مظاهر أساسية لوظيفته ،ومن الاعمالالكثيرة التي ننتظرها في الميدان ما يتصف بالاهمية الكبرى ويمكن جمعها في فئتين رئيسيين : هما الحفاظ على الروح المعنوية ومراجعة صحة القياس،ويتطلب العمل الاول من اخصائي في علم النفس العسكري له خبرات اجتماعيةخاصة والاستعانة بأساليب ملائمة • أما العمل الثاني وعليه تتوقف سلامة المقاييس المستعملة ويتطلب منه استعمالا منهجيا للجهاز الاحصائي • أما بالنسبة الى الحفاظ على الروح المعنوية فنرى أن الحرب الحديثة تميل الى الموازنة بين اسهام الفئات المختلفة للمواطنين كل على قدر امكانياته وقابلياته ، فلم تعد المخاطرات والمسؤوليات من نصيب قلة مقاتلة وحدها لذلك نرى أن في أحصائيات الحرب العالمية الاخيرة زيادة كبيرة في الخسائر المدنية عنها في عدد الوفيات بين العسكريين « ١٨ مليون مدنيا بينما سبعة ملايين مقاتلا في ميدان العمليات الاوروبية وحدها » مما يدل على امتداد بعض الواجبات التي كانت قاصرة على المقاتلين وحدهم الى الامة المحاربة بأكملها •

تزخر المؤلفات العسكرية بالشروح الوافية لمبدأ الروح المعنوية ، وبالتعاريف الكثيرة التي حاولت تحـــديد معالمها ، ومع ذلــك لم يتفق

الاخصائيون منذ وقت قريب بعد تطور أساليب علم الاجتماع على مواجهة هذه المشكلة بمكونيها الحقيقيين وهما المعنويات الفردية والمعنويات الجماعية : ترجع المعنويات الفردية الى حالة معينة من الراحة البدنية والعاطفة تسمح للفرد بالامل في الحياة وبالعمل بطريقة سليمة مع اشتراكه في الاهداف الرئسة للجماعات التي تكونها (م ن مهنية واجتماعية) أما المعنويات الجماعية فتتعلق بالاشتراك الواعي في الاهداف الجماعية ، وهكذا تظهر ارادة الجماعة في كل متماسكة ، وتوجيه مشاعر العدوان والكراهية الى القوة التي تهاجم الجماعة لا الى الافراد الذين يكونون الجماعة المعارضة وقد وجدت في السنوات الاخيرة أساليب لبحث وقياس المعنويات ، وتهدف استبدال التجريب التقليدي بالمعلومات المؤكدة وتختلف هذه الاساليب بطبيعتها ودرجة دقتها تبعا للاساس النظري لها ، ولاستخدامها مع الافراد أو الجماعات ، ويمكن حصرها فيما يلي

١ ـ الأستفتاءات ومقاييس التقييم •

٢ ـ طريق القياس الاجتماعي •

٣ ـ الطرق المعاونة •

ثم عوامل اضعاف الروح المعنوية ، تسمح النتائج التي يحصل عليها عن طريق هذه الاساليب المختلفة منفردة أو مجتمعة بالكشف عن وجود وتأثر عدة عوامل ذات أثر سلبي على المعنويات العسكرية أو بالتحديد على معنويات المقاتل ، وتؤدي طبيعة السلوك العسكري نفسها الى فعالية هذه العوامل المضعفة للروح المعنوية ، فان المرور من الحالة المدنية الى الحالة العسكرية وهي ظاهرة حقيقية للمقاطعة الاجتماعية يتطلب من الفرد ليس تكيفا وانما يتطلب منه أطارا جماعيا جديدا يخضع لقوانين خاصة ، ومن العوامل التي تؤدي الى اضعاف الروح المعنوية وهي : الاضطرار الى القتل

والقيود العسكرية ـ العرف والعبودية ـ ، ولهذه العوامل الضارة بالروح المعنوية التي تنجم عن الواقع العسكري نفسه تأثير نسبي على مدى قبول الجندي ، أي أنها تختلف تبعا للاستعدادات التكوينية للفرد ، ونجد أخيرا أن الخوف ، كعـــامل على درجة أعلى بكثير من الشـــدة والاضطراب على الروح المعنوية ، والدوافع العميقة للخوف كثيرة : ومنها أن يقترف الفرد أخطاء ضارة بنجاح المهمة بأن يخيل اليه الجبن ، أن يُقتل أو أن يجرح أو أن يؤسر ، وأما التكرار النسبي لمختلف المظاهر الفسيولوجية والنفسية للخوف هي سرعة ضربات القلب والنبض ، التوتر العضلي ، الشـــعور بالتهيج جفاف الحلق والفم ، العرق العصبي ، والعرق البارد ، واضطراب حركة المعدة والشعور بالبعد عن الحقيقـــة ، والحاجـــة الدائمـــة للتبول والارتعاد ، والشعور بالارتباك والضعف العام ، وفقدان الذاكرة وألم في القلب ، وضعف التركيز العقلي ، ومن جهـــة أخرى يترك الخوف أثناء المعركة آثاراً قد تؤثر على الانتاج العام ويستلزم في بعض الحالات علاجاً نفسيا خاصا كما في الاجهاد العـام والاضطراب والتهيج ، وازاء اتســاع أساليب البحث المستعملة في مختلف ظروف الحياة العسكرية مع فئات كثيرة التنوع من المقاتلين سيتمكن عالم النفس من افادة القيادة عن الحالة المعنوية للقوات ، وتعتبر هذه الاساليب مقدمة لكل محاولة للتحسين ، أما عوامل رفع الروح المعنوية وهي أول طريق للاصلاح بالاساليب العسكرية والقتـــال فتعقد الندوات التوضيحية للقضاء على الاساليب التي تضعف الروح المعنوية وتجتهد القيادة كلما أمكن من اخفاء الآثار العامة لهذه الروح ، أما القيود العسكرية فتخف بكل أسباب الترفيه مثـــل البريد والاجازات والرياضـــة ... الخ . وكذلك يجد من النظام والعرف العسكري القدر الضـــروري

ويقدم عنها تعليقات مبررة ، ويقهر القلق المستتر والخوف بعرض البطولات التي وقعت فعلا ، ودعمها بالاحصائيات . ولكن كل هذه المسكنات ليست ذات قيمة كبيرة اذا ما تعرضت للنقد في حالات كثيرة ، ولذلك يجب عدم استعمالها الا عن علم بنتائج استعمالها ، كما يجب اللجوء الى أساليب اخرى أقل زيفا وأكثر فائدة ومنها اثارة الدوافع وذلك باقناع المواطن بأهداف الحرب والقيمة التي يعطيها لاسهامه الشخصي فيها ، ولهذا يجب أن ينصب مجهود العالم النفسي العسكري على التفسير الصحيح لاهداف الحرب ،وقد أظهرت التحقيقات العديدة في هذا المجال عن طريق الاستفتاءات الضرورية الملحة لقيام برنامج للدعاية المناسبة ، ويعتمد على أدوات كثيرة كالصحافة والراديو وصحف الوحدات والمحاضرات .. الخ لسد نفقات الضعف في الدوافع النفسية العسكرية أو المدنية وهكذا يظهر ان مهمة العالم النفسي العسكري فيما يختص بالمشكلة الكبرى لاثارة الدوافع النفسية يمكن ان تجمل في المواد الآتية

١ ـ تكرار التحقيقات في فترات مختلفة وعلى فئات متنوعة من المقاتلين مدنيين وعسكريين لبحث تكوين الدوافع اللازمة لمتابعة العدوان على أحسن وجه .

٢ ـ المداومة على نقض الدعاية المعادية .

٣ ـ اقامة برنامج سليم على هذه الاسس للتعليم والاعلام وانشاء منهج لمقاومة الدعاية وقياس النتائج التي يحصل عليها .

ولا يعفي اقامة هذا الجهاز العام للقياس والمراجعة عالم النفس من العمل المباشر ، وقد ترتب على الاهتمام بأعلام يقوم على الواقع الحالي للحوادث وبالتأثير الشخصي ، ولذلك أنشئت في عدة جيوش وظيفة

خاصة اطلق عليها (المندوب السياسي) كما في الجيش السوفيتي ، والاخصائي النفسي للوحدة في الجيش الالماني ، وضابط العلاقات الانسانية في الجيش الامريكي . ونرى أن علماء النفس العسكري اجتهدوا لغرض تكوين الوحدات المختلفة على أساس من اتقان الميول الاجتماعية والثقافية الخ . والتي يظهرها الجنود من خلال المعلومات التي تعطيها استفتاءات الميول ويرون وجوب عدم الوقوف الى اظهار هذه الخطوة بل يستطيع تكنيك القياس الاجتماعي بالحصول على معلومات دقيقة في هذا المجال ، ولذلك فان احد الادوار الهامة للعالم النفسي في الجيوش هو أن يحلل التنظيم الداخلي للمجموعات وأن يمد القيادة بالمعلومات المحدودة عن امكانيات التحسين بالجمع بين الميول وبتوقع أسباب التفكك . ومما يسترعي نظر عالم النفس استخدام عوامل أخرى لتحسين الروح المعنوية وهكذا يمكن اللجوء الى الشعور بالعزة الفردية والجماعية . أما بتوزيع المكافئات (الترقيات) والاوسمة .. الخ وأما باتخاذ نظام للمنافسة بين مجموعات ذات طبيعة واحدة (في ظروف أشبه بتلك التي يستعان بها في بعض المدارس) وتخضع سلامة الطرق المختلفة (من قياس فسيولوجي ونفسي واجتماعي ... الخ) لتكييف الافراد لاعمالهم (أو لتكييف الآلات للانسان) ليس فقط للمهارة التي يبديها عالم النفس بل أيضا لمطابقة الحلول المقترحة للواقع ويحدد حساب معاملات الارتباط بين نتائج الاختبارات المختلفه والنجاح الفعلي ويلزم اذن أن يظل عالم النفس على اتصال دائم بالواقع العسكري وان يتعمق في دقائقه الخاصة وان يتتبع تطورها ويجب عليه كذلك أن يجتهد لمد القيادة بالنتائج التي روجعت فعلا .

ولم ننته في الموضوعات التي عالجناها في الفصول السابقة من بحث

دور عالم النفس وعلاقاته بالنشاط العسكري فما زالت هناك مسائل لم نتطرق لها مكتفين بالمشكلات الاكثر اهمية .

وأما فيما يخص مستقبل علم النفس الحربي فقد أدت مجهودات علماء النفس في الميدان الحربي الى كثير من البحوث العلمية المفيدة ، لا يزال أغلبها ممنوعا عن الرأي العام ، لاسباب تقتضيها السرية العسكرية التي تحيط بهذه البحوث ، وكل دولة تخشى تسرب هذه المعلومات الى الدول الاخرى فتستفيد منها في مجهودها الحربي وتتأهب الدول الكبرى الآن لحرب عالمية ثالثة لا شك وانها ستكون أشد هولا من الحربين العالميتين السابقتين ، وهي تتأهب لهذه الحرب بجميع الوسائل الممكنة وبجميع الاسلحة التي يمكن ان يتوصل اليها العقل البشري ، وليست الاسلحة والمهمات الحربية المادية من بنادق ومدافع وقنابل ذرية وهيدروجينية ، وطائرات ودبابات وغواصات الى غير ذلك من مهمات الحرب هذا كل ما تعنى به الدول الكبرى الآن . فقد أصبح من الآراء المعترف بها حاليا ان هذه الاسلحة والمهمات الحربية لا تكون ذات فائدة تذكر إن لم تعن الدول عناية كبيرة بالرجال الذين سيوكل اليهم استخدام هذه الاسلحة والمهمات ، فالانسان والآلة يكونان وحدة فعالة لذا يجب أن تهيء الآلة وتعد اعدادا خاصا يتناسب مع الرجل الذي سيقوم باستخدامها ويجب كذلك أن يهيء الرجل ويعد اعدادا خاصا لاستخدام الآلة . وبهذا وحده يمكن أن نجعل من الرجل والآلة وحدة فعالة تحقق الاغراض المطلوبة بنجاح وكفاية ،

فاذا فشلنا في اعداد الرجل واعداد الآلة لم يكن من الممكن تحقيق تلك الوحدة الكاملة الفعالة التي نرجوها • وأصبح من العسير أن ننجح في تحقيق أغراضنا • ولهذا السبب تعنى الدول الكبرى الآن بتحسين صناعة الاسلحة الحربية بحيث يراعى في صناعتها ذلك العامل الانساني وهي تعنى أيضا بزيادة كفاءة الافراد الذين يستخدمون تلك الاسلحة وتستعين الدول الكبرى بجمهرة كبيرة من علمائها فيما بينهم علماء النفس للبحث في جميع الوسائل التي يمكن بها زيادة كفاءة الجندي المحارب ، ولعلماء النفس خبرة خاصة بطبيعة الانسان ولهم وسائل علمية خاصة لاختبار الرجال واختبارهم وتدريبهم وتعليمهم وتغيير سلوكهم وزيادة كفاءاتهم وتقوية معنوياتهم ، ويجري علماء النفس الآن في جميع الدول الكبرى كثيرا من البحوث العلمية الهامة التي لا يمكن التكهن بمضمونها وأغراضها ، ولكنها لا شك ستضيف الى معلومات الانسان ثروة لا تقدر بثمن •

الباب الثاني

صفات القائد وسيكولوجية القيادة ـ الروح المعنوية ومقوماتها
الانفعالات ووسائل السيطرة عليها ، التوافق ووسائله
سيكولوجية التعليم واساليبه

الفصل الاول

صفات القائد (الرئيس) الخلق والشخصية والجدارة الخلقية
والمكانة الشخصية (المؤهلات الفكرية والحرفية)
الشخصية والخطابة وسيكولوجية القيادة

ان الحياة العسكريه تتميز بالصرامه والخشونة وبما تتطلب به اعضاءها الجدد من تغيير وتطوير لكي تحولهم من الطابع المدني الى الطابع العسكري وعليه انهنا حياة ضاغطة كفيلة بأن تعرض تماسك الشخصية وتكاملها لاضطراب بالغ ان لم تكن تدبها (الشخصية) اتزان انفعالي ومرونة تكييفية تجعلانها تواجه موقفها الجديد مواجهة سليمة ، أضف الى ذلك أن سمة الضغط هذه تبلغ أشدها في المواقف التي تتطلبها بعض المهام العسكرية وخاصة وقت المعركة . فحينما يتعرض كيان الشخصية وسلامتها للخطر وتثور صراعات نفسية شديدة بين الرغبة في الفرار طلبا للامن والبقاء تأدية للواجب أو خوفا من العقاب أو العار يهتز بناؤها واتزانها ويصبح عرضة للتفكك والانهيار .

واذا كان المرء قائدا أصبحت مشكلته أعظم اذ المفروض بالقائد مثل" لجنوده وأن جزءاً كبيرا من شجاعتهم وتماسكهم كوحدة محاربة مستمدة من شخصيته وهيمنتها على الامور • ونحن نقرأ في التاريخ عن معارك هزمت فيها جيوش كبيرة أو انسحبت وهي على وشك الانتصار لمجرد موت القائد الذي يقودها في المعركة كما قلنا سابقا • اذ أن شخصية القائد ومن يعمل تحت أمرته من الضباط عامل مهم لاثارة روح المعنوية سواء كانت عالية أو منخفضة ، اذ أن جهاز القيادة انما هو رمز السلطة التي تدفع بالجنود الى القتال • فاذا استطاع هذا الجهاز أن يؤدي واجبه الفني من حيث الكفاءة العسكرية ، واذا استطاع أن يؤدي واجبه الانساني من حيث العناية بالجنود والاهتمام بمتاعبهم ومشاكلهم وحاجاتهم واتاحة الحلول والاشباعات لها • فانه يكتسب بذلك ثقتهم في قدرته وأرتياحهم له كمصدر للرعاية • والضابط الذي يتعرض للتأثر بالمؤثرات السيئة على الروح المعنوية كالخوف أو تصديق الاشاعات يصبح مركزا هاما لنشر هذه الانفعالات الضارة بين الجنود • كما أن الضابط الذي ينسى أنه بحكم منصبه مثل أعلى لجنوده في الخلق العسكري وتحمل التدريب ومشاق القتال لا يصبح فقط معرضا لسخريتهم به ولكنه يثير فيهم ايضا روح الأستخفاف والتراخي واليأس • وقد يعتقد بعض الضباط أن من أصول الحزم وحفظ النظام والاستحواذ على احترام الجنود أن يحتفظ لنفسه بمنزلة منعزلة عنهم بحيث لا يتباسط معهم • وهذا صحيح الى حد ما ولكن الضابط ينبغي الا يغفل انه مطالب بأن ينزل الى مستوى حياة الجندي لكي يفهم مشاكله ومتابعه ويدرك وجهات نظره ومن ثم يستطيع التعامل السليم معه • والقائد الحاذق لا يترك مناسبة تمر دون الاختلاط بجنوده والتناقش معهم في أحوالهم وشكاواهم • وهو لا يقتصر في عقد المؤتمرات مع ضباطه

والاجتماعات مع جنوده يفهمهم فيما سياسته في القيادة والأسباب التي تدعوه الى اتخاذ بعض القرارات التي تبدو غريبة على الاذهان • وفي حالة القتال يفهمهم حقيقة الاوضاع المحيطة بهم ويفند لهم الاشاعات التي تصل اليهم • وقد يضطر الى مصارحتهم ببعض الحقائق المؤلمة ويجد ذلك أهون شأنا من تركهم للاشاعات التي قد تسبب عصيانا أو تمردا وربما انهيارا في كيان الوحدة كلها • واذا كان الكثير من الامور قد ينبغي اخفاؤها عن الجنود لسر فيها فليس من بأس أن يفهم الجندي ذلك على أن يعرفوا حكمة السرية ومغزاها • مع الاخذ بالاعتبار أن الافراط في السرية بدون داع يثير التوجس والخوف • والقائد الحاذق ايضا لا ينزعج كثيرا اذا رأى بوادر الروح المعنوية المنخفضة تسري بين قواته فان مثل هذه الروح المنخفضة تعكس بلا شك مشاعر الجنود ومخاوفهم وما ينشر من اشاعات ومعتقدات باطلة الامر الذي يبرز حقيقة المشاكل القائمة وطبيعتها • ودراسة هذه المشاكل تؤدي الى العثور على مثيرات تشير الى نقط الضعف في التشكيل العسكري وعلى منافذ للعلاج والارتفاع بمستوى الروح المعنوية من جديد والقيادة أو الزعامة أحيانا تظهر في مجتمع عسكري روح معنوية عالية مزيفة اذ انها تكون تحت تأثير قيادة مسيطرة تلوح بالثواب والعقاب فتدفع الافراد الى الانتظام الظاهري في نشاط الجماعة • كما نستطيع أن نمضي في مثالنا عن الجماعة التي تركب سيارة عامة فتفترض أنه ظهر حين أحاق بها الخطر شخص من الافراد الموجودين كانت له دراية أو خبرة سابقة بمقاومة الاخطار أو استطاع بما له من صفات شخصية أن يفهم الموقف أكثر من غيره وبالتالي أحاط بمقتضيات النجاة منه • وان يظهر مقدرة على تنظيم نشاط الجماعة نحو هدفها • فحينئذ سيندفع الافراد الى الخضوع له ومطالبته بتولي زمام الموقف • واظهار استعدادهم للقيام بما يكلفهم به من

أعمال • وحينئذ سيقوم بشرح ما ينبغي عمله للخلاص ويقسم بينهم العمل تقسيما يؤدي الى تناسق نشاطهم في صورة موحدة هادفة • وهو قد ظفر بموقف الزعامة هنا لانه أظهر استعدادات وقدرات شخصية يتطلبها موقف الجماعة ويقتضيها تحقيق هدفها • وكذلك الامر في الجماعة السيكولوجية (جماعة الاصدقاء مثلا) فقد يظهر من بينهم شخص يكون أقدر من الجميع من تعامله الانساني ومقدرته الاجتماعية فيحوز ثقة أفراد الجماعة وحبهم ويصبح بحكم موقفه هذا مرجعا لهم يرجعون اليه في التشاور في أمورهم وما يثور بينهم من مسائل ونزاع فيبذل لهم النصح أو يصلح بين المتنازعين فهو هنا موقف يحقق لافراد الجماعة اشباعات لكثير من الحاجات التي تصادقوا واجتمعوا من أجل اشباعها •

أما في المنظمة الاجتماعية فالامر مختلف أيضا بحكم اختلاف طبيعة البناء الاجتماعي ووظائفه وأهدافه ـ فمن الناحية الصورية الشكلية لا يشترط في قائد أو رئيس المنظمة ان يكون حائزا على صفات يعجب بها أفراد المنظمة ويتخذونه زعيما أو قائدا من أجلها • بل انهم في معظم الاحيان لا يقومون هم بانتخاب الرئيس أو القائد • اذ تقوم السلطة التي أمرت بانشاء المنظمة ووضعت لها قوانينها ونظمها بتعيين القائد وتحديد اختصاصاته وسلطاته وكلها اختصاصات وسلطات تتعلق بتنفيذ سياسة المنظمة وخطواتها نحو تحقيق الاهداف المطلوبة منها والتي رأينا انها تخدم المجتمع كله اكثر من اقتصارها على خدمة الافراد المنظمة • والشروط الاساسية لتعيين مثل هذا القائد هي ما يتوافر لديه من كفاءات ومهارات تؤهله لان يضع سياسة التنفيذ • فالقيادة ظاهرة أساسية في الجماعة وهي من حيث كونها قوة تنفيذية تعتبر من أهم العوامل التي تؤثر في الروح المعنوية التي تؤدي بها

الجماعة نشاطها • وأن طبيعة هذه الظاهرة تختلف باختلاف طبيعة بناء الجماعة وأهدافها فبينما يقوم أفراد الجماعة في بعض الجماعات بانتخاب قائدهم ، اذ بالقائد يفرض عليهم في جماعات أخرى • وبينما تقوم شروط انتخاب القائد في صفاته الشخصية أحياناً اذ بها تقوم في كفاءاته الفنية أحيانا أخرى • ومن هنا لا نستطيع أن نقوم بتحديد مطلق لواجبات القائد الناجح وصفات قيادته فهذه أمور تتبع حاجات افراد الجماعة وأهدافها • ولكننا سنقتصر في كلامنا هنا على قيادة معينة وفي منظمة بالذات هي المنظمة العسكرية • فالقيادة العسكرية قيادة رسمية بمعنى ان السلطة الآمرة في المجتمع هي التي أنشأتها ووصفت لها شروطها واختصاصاتها وواجباتها التنفيذية • وهي تتميز بنظام تدرجي تسري فيه السلطة متسلسلة من القيادة العليا حتى ضابط الصف وهو ما يدل عليه الاصطلاح العسكري (تسلسل القيادة) والقائد العسكري مهما كانت رتبته لا يحوز منصب القيادة نتيجة لقدرته الاجتماعية في مجال التعامل الانساني كما هو في الجماعة السيكولوجية ، وانما هو قد يعين لكفايته العسكرية الفنية • وربما يكون قد وصل منصبه بعد اجتياز اختبار الترقية الذي يؤهله للمنصب • كما أن وظائفه محدودة له بواسطة السلطات العليا وواجبه يتلخص في تأديته لهذه الوظائف • وهو يستمد سلطته من السيطرة من هذا التعيين الذي يمنحه سلطة قيادة مجموعة من الافراد • ومن هنا جاء المثل العسكري القائل (انك حينما تحيي الضابط فأنت لا تحيي شخصه وانما تحيي رتبته)• وهو مثل يتعلمه الجنود المستجدون في بداية حياتهم العسكرية كتقليد من التقاليد العسكرية • ومعناه أن الجندي في تحيته للضابط لا يحيي شخصه وانما يحيي رتبته العسكرية أي يحيي السلطة التي منحته هذه الرتبة فوضعته بذلك في منصب القيادة •

ما هي خصائص مثل هذه القيادة ؟ لقد وضعت تصنيفات كثيرة لانواع القيادة وخصائص كل نوع منها • ولكن أهمها بلا شك هو ذلك التصنيف الذي يميز بين نوعين أساسيين من القيادة وهو الانتخاب أو التعيين : ومن ثم ينشأ نوعان للقيادة القيادة الديمقراطية والقيادة الاوتقراطية أو المسيطرة •

فالقائد الديمقراطي يختاره أفراد الجماعة وغالبا ما يكون واحدا منهم• بينما يعين القائد الاوتقراطي من قبل سلطة خارجة عن الجماعة ليقوم فيها بدور القائد • ويستتبع هذا الاختلاف بين طبيعتي القيادتين وجود اختلاف بين خصائصهما • أو بالاحرى بين خصائص دور القائد من حيث هو ديمقراطي أو اوتقراطي •

فالقائد الديمقراطي يتجه الى اشراك افراد الجماعة أو المنظمة في رسم سياسة الجماعة وتحديد الخطوات التنفيذية نحو الوصول الى الاهداف• وهو يشعر الأفراد بأهمية فردياتهم حينما يتبع سياسة المشورة كما يشعر كلا منهم بمساهمته في نشاط الجماعة بأن يجعله يتحمل جزءاً من مسؤولية أعباء العمل فيشركه في سلطة التوجيه • وهو لا يركز السلطة في يده بحيث يصبح الآخرون مجرد أدوات العمل وتنفيذ ما يرسم لهم • بل هو ينشر هذه السلطة بينهم بحيث يشعر كل فرد بأهميته • ونظرا لما يتبعه من سياسة التوجيه هذه فانه يجد نفسه المدير الاول لشبكة العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين أعضاء الجماعة ، اذ أنهم لتشاركهم في التشاور والمسؤولية يرتبطون مع بعضهم البعض بمجموعات من العلاقات المتبادلة • والقائد الديمقراطي يتجه دائما الى بث روح التعاون والترابط في شبكة العلاقات التي تنشأ في جماعته • وهو نفسه يضرب المثل على ذلك حينما يجعلهم يشاركونه في التدبير والتنفيذ • ومحل نجاح القائد الديمقراطي

في مهمته كقائد هو استمرار الجماعة في الترابط والعمل والنشـاط في غيابه نظرا لاقتناع الافراد بمـا يفعلونه وشعور كل منهـم بأنه يساهم في خطوات النشاط العام ويدلي بدلوه فيه • وعلى العكس من ذلك نجد القائد الاوتقراطي الذي يتخذ جميع القرارات دون الرجوع الى أحد وهو يحدد نظام العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الافراد • ويجعل من نفسه مركزا رئيسيا لها • فهم لا يستطيعون التعامل مع بعضهم البعض الا عن طريقـه وبواسطته • وهم يرجعون اليه في كل صغيرة وكبيرة في شـؤون نشاط الجماعة ولا يستطيع واحد منهـم أن يتصرف من تلقاء نفسـه أو يشاور زملاءه في التصرف • فالقائد هو المرجع والمصدر كذلك لا يستطيع واحد منهم أن يحيط بأهداف الجماعة وخطتها التنفيذية•فذلك أمر من اختصاص القائد وحده أما كل فرد فلا يعرف الا واجبه الجزئي المحدد له • ومحل نجاح القائد الاوتقراطي هو استطاعته أن يكون مركزا لجميع القوى العاملة في الجماعة وعمادا رئيسيا لاستمرار وجودها وثبات كيانها بحيث اذا غاب لم تستطع الجماعة أن تفعل شيئا بدونه • فهي كوحدة لا تعرف السياسة العامة التي رسمها • اذ انها لم تشترك في رسمها • وبالتالي هي لا تعرف الخطوات العامة للتنفيذ • بل يعرف كل فرد فقط ما يراد منه عمله دون أن يدرس ارتباط ما يفعله بالنشاط العام للجماعة • أو دون أن يؤدي عمله على ضوء معرفته للاهداف الكبرى • ومن الطريف ان نتبين استجابات الجماعة ازاء نوعي القيادة هذين ولان نميز بينهما•ولدينا عدة تجارب مباشرة في هذا الصدد قام بها « ليبيت وهويت (Lippitt and White) » فقد وضعا جماعات من الاولاد تحت نمط القيـادة السالفتي الذكر ثم أخـذا يلاحظان استجابات الجماعات وهـي تعمل في مشروع وسجلا الملاحظات الآتيـة

١ ـ اتجهت الجماعة التي تعمل تحت قيادة أوتقراطية الى أن تكون أكثر عدوانية من الجماعات الديمقراطية أو تقف موقف الخضوع السلبي الذي يصطبغ بصبغة اللامبالاة • فاذا أظهرت اتجاهاتها العدوانيـة فانهـا تظهرها في صورة غير مباشرة فهي لا تتجه الى الهدف المباشرة وهو القائد الاوتقراطي الذي انفرد بالسلطة وحرم الافراد من التعبير عن ذواتهم • ولكنها تتجه نحو أفراد الجماعة أنفسهم فيتبادلون النزاع والهجوم •وكثيرا ما يحدث أن يتحد أفراد الجماعة ضد فرد أو فردين منها • وقد يحدث أن يتدخل القائد ويمنع صدور أية استجابة عدوانية بين الافراد وحينئذ تقف الجماعة موقف الخضوع السلبي نتيجة للقوى القامعة التي استعملها القائد في كبح جماح العدوان • فاذا حدث وغاب القائد عن الجماعـة عاد العدوان يظهر في صورة انفجارية •

٢ ـ ظهرت في الجماعة الاوتقراطية استجابات ازاء القائد تختلف عن استجابات الجماعة الديمقراطية ازاء قائدها • فقد اتجه أفراد الجماعة الاولى الى التقرب من القائد وطلب عطفه واهتمامه بينما اتجهوا في الثانية الى مصادقته والتفاهم معه •

٣ ـ ظهر بوضوح الشعور بال « نحن » في الجماعـة الديمقراطية نظرا لقيام الافراد بالتعاون والتشاور في نشاط الجماعة واحساس كل منهم بانفساح المجال أمامه للتعبير عن ذاته • بينما ظهر في الجماعة الاوتقراطية الشعور بال « أنا » ، اذ أصبحت فردية كل منهم محبوسة المجال في النشاط العام فظهر بذلك التناقض بين الموقف الفردي والموقف الاجتماعي •

٤ ـ والنتيجة الطبيعية لكل هذه الاستجابات السالفة أن ظهر على الجماعـة الديمقراطية ارتفـاع مستواها في التماسك والروح المعنوية •

فنظرا لقلة الاستجابات العدوانية المتبادلة بين الافراد واحساس كل منهم بالجماعة في نفسه تضاءلت القوى المفككة التي تعبث بالترابط وتؤدي الى بعثرة الجماعة . وكان من أثر ذلك أن استمرت الجماعة الديمقراطية تعمل بنفس المستوى تقريبا عندما غاب قائدها بينما هبط مستوى العمل بشكل ملحوظ في الجماعة الاوتقراطية عند غياب القائد وخلاصة الامر أن الروح المعنوية العالية تسود في نطاق الجماعة الديمقراطية بينما تنخفض في ظل القيادة الاوتقراطية . فكأن هذه القيادة الاخيرة عامل محدد لانخفاض المستوى المعنوي للجماعة .

والمشكلة التي تثار أمامنا الآن هي أنه من السهولة بمكان أن نتبين أن القيادة العسكرية مثال واضح للقيادة الاوتقراطية ، فبحكم طبيعتها وطبيعة الوظائف التي تؤديها وارتباطها بطبيعة المنظمة العسكرية بوجه عام وتأدية هذه الاخيرة لخدماتها ، لا تستطيع هذه القيادة الا أن تكون قيادة أوتقراطية ، فهل يتأتى من ذلك أن وجود القيادة العسكرية يتعارض مع قيام الروح المعنوية العالية في المنظمة العسكرية .

لقد بحثت هذه المشكلة على نطاق واسع في الجيش الامريكي وخاصة على ضوء خبرات القتال في الحرب العالمية الثانية . فقد وجد ان بعض الجماعات المقاتلة وخاصة تلك التي تؤدي مهمات خطيرة مثل جماعات الفدائيين أو أطقم زوارق الطوربيد تنجح في أداء مهمتها لان القادة فيها يتنازلون عن مركزهم الاوتقراطي ويقودون جماعاتهم قيادة ديمقراطية . حتى أن احدهم أمر ضباطه أن يلبسوا ملابس الجنود ويأكلوا من طعامهم ويمارسوا نفس التدريبات ويحيوا نفس الحياة . بل لقد أمر بالغاء الفروق الناشئة عن اختلاف الرتب وجعل شعارا لمجموعته مثلا صينيا هو (اعملوا معا ـ واعملوا متآزرين) ووجدوا في حالة زوارق الطوربيد وهي في وضع

القتال أنُ فواصل الرتب لم تكن تجدى أزاء ما يتطلبه الموقف من تعاون الجميع في سبيل الهدف المطلوب •

كذلك برزت ظاهرة التمرد في الجيش النـازي في نهـاية الحرب وهو الجيش الذي كان معروفا بقيادته الاوتقراطية المتطرفة • ووجد أن كثيرا من الجنود المخلصين لقادتهم قد انقلبوا عليهـم بعد الهزيمة • اذ انطلقت ميولهم العدوانية التي كانت كامنة لديهم ازاء قادتهم •وكان انطلاقها من العوامل التي يقنت التفكك في الجيش الالماني وعجلت هزيمته •

وجاء في دراسة أجراها علماء النفس في الجيش الامريكي وظهرت نتائجها بعـــد استفتاء آلاف من الجنود أن القائـد الناجح في نظرهـم هو الذي يجمع بين الكفاءة العسكرية ومجموعة من الصفات الشخصية التي تجعله مقربا من جنوده ، كقدرته على فهمهم وتبين مشاكلهم والصعاب التي يواجهونها • واتجاهه الى ممارسة القيادة لا لمجرد الرئاسة أو السيطرة أو الصدارة على فاصل الرتبة بل الهدف التوجيه والاصلاح والرعاية • وجاء في مقال نشر في مجلة المشاة الامير كية ان الضـابط الناجح هـو الذي يضع نفسه بالقرب من جنوده ما أمكن دون أن يضر ذلك برتبته أو يضعف من سلطته ، من ناحية أخرى يصر الخبراء العسكريون على أن الحالات التي اقتضت الغاء الآثار الناشئة عن اختلاف الرتب انما هي حالات استثنائية • وحجتهم في ذلك أن القوات المسلحة مجتمع يقوم على الضبط والربط قبل أي شيء آخر • وأنه اذا كان هنالك بعض الضباط يستطيعون التنازل قليلا عن صورية قيادتهم ورسميتها في سبيل الاقتراب الشخصي من الجنود دون أن يضر ذلك بسيطرتهم على جنودهم ، فان معظم الضباط لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك دون ان يفقدوا احترامهـم لدى الجنـود وخضوع هؤلاء الآلاخرين لهم •

والمسألة لا زالت موضع البحث ولكن الاتجاه يغلب الى تطعيم القيادة العسكرية الاوتقراطية بعناصر ديمقراطية • فالجنود على أي حال كائنات انسانية لها شخصياتها ودوافعها واتجاهاتها • وينبغي لأي قائد يقود جماعة انسانية أن يكون على شيء من البصيرة بنفوس من يعملون تحت أمرته وعلى شيء من الخبرة بالتعامل الانساني السليم ان أراد أن ينجح في مهمته من حيث توجيه الجماعة التي يقودها نحو أهداف يحققونها وهم متحمسون لقيامهم بهذا التحقيق •

والسؤال الذي يبرز أمامنا الآن هو : الى أي حد ينبغي تطعيم القيادة العسكرية بعناصر ديمقراطية دون أن يضر ذلك بالضبط والربط وهو سؤال تحتاج الاجابة عليه الى دراسة تجريبية مستفيضة ، والتي تدفعنا بصورة غير مباشرة لدراسة التأثير الشخصي للفرد ومعرفة قوانين ذلك التأثير ومظاهره تمثلاته ، ثم امكان توجيهه بطريقة فعالة مفيدة •

يحكى أن السلطان عبدالحميد العثماني الشهير ، كان يستغل (هيبته الشخصية) في درس وزرائه وأعوانه وجنوده ، والنفاذ الى سرائرهم ، وتكوين فكرة عن طباعهم وأخلاقهم • علم ذات يوم أن الجيش العثماني في حاجة الى قائد ، وأنه أختير أحد الضباط لهذا المنصب ولم يبق لتعيينه النهائي غير قبول السلطان به • ودعا عبدالحميد القائد الجديد ، ليمثل بين يديه ، ولكن بعد أن لبس تاجه ، واستوى على عرشه وتزين ولبس الثياب التي توليه وقاراً على وقار ، فما أن دخل القائد حتى اضطرب وارتبك أمام شخصية سلطانه وأرتج عليه فلم يملك أن يقول كلمة •••
فما كان من عبدالحميد الا أن أمر بتنحيته عن قيادة الجيش ، ذلك هو سحر الشخصية الذي سنبين اسرارها حتى تصل حين تطبقها الى نتائج ايجابية قيمة في بناء شخصيتك وفرضها على الآخرين بصورة عفوية هادئة •

والسؤال الذي يواجهنا في هذه المناسبة أولا هل أن التأثير الشخصي سلطة خاصة يحرزها القلة الافذاذ من البشر ؟ أم هي نتائج سرية خفية يقوم بها المرء في معزل عن المجتمع ، ونجوة من أعين الرائين ؟

الحقيقة أنه ظاهرة عامة شاملة ، يمكن أن تظهر في حياة كل فرد من أفراد الانسانية فلا يختص به أحد ، ولا يتميز به شخص دون الآخرين : لانه ينبع دوما من النفسية الفردية ، فهو كالفكر نفسه الذي يصدر عنه • وكل أمرىء منا ، يؤثر في من حوله عن وعي أو غير وعي ، بواسطة اشعاع خاص يمتد على مسافات تقصر أو تطول حسب الاشخاص والظروف ••• ولقد أوتي كل شخص مغناطيسيته التي ينفرد بها ، كما أوتي الحياة نفسها، بيد أن هذا المغناطيس يختلف بين كائن وآخر ، بما فيه من شدة ، واستمرار ، وانسجام •

تكاد الابحاث والدراسات النظرية والتجريبية في هذا الموضوع تجمع على شيء أكيد هو أن تطبيق الارشادات الى تحصيل النفوذ الشخصي ، والمراس المستمر الدائب لكل ما من شأنه أن يقوي المرء في تحصيل المغناطيسية ، يؤديان دوما الى زيادة تأثير الشخص ، وتوسيع دائرة نفوذه على الآخرين •

يحسب بعض الباحثين أن ينبوع الاشعاع الفردي قائم في الكيان الحيوي (البيولوجي) • ولا ريب أن حيوية قوية صارخة ، وجسما ممتلئا يفيض بالعافية ، وصدرا واسعا ، وانتظاما في الاجهزة التنفسية والغدائية والهضمية والدموية والعصبية ، تؤدى كلها ، اذا اجتمعت ، الى ايلاء صاحبها مغناطيسية حيوانية قوية • والناس ينشدون عشرة (الاقوياء) ويشعرون معهم بالاطمئنان والسرور ، ويقتربون منهم كما يقترب المقرور

من الموقد الدافيء في أيام الشتاء القارسة . ولكن هناك أشخاصا لا يملكون من ضخامة الهيكل ، ولا من العافية الظافرة ما يملكه غيرهم ، وتراهم مع ذلك ، على نحولهم ونحافتهم وضآلة قواهم الحيوية ، يسيطرون على الآخرين ، ويستحوذون استحواذا تاما ، بما أوتوا من صفات نفسية ، ومعاني خلقية أهمها الشجاعة والانطلاق .. ومن الباحثين من يعتقد أن (المظهر الخارجي) هو المؤثر الاعظم في أكثر المواقف ، ويلح تبعا لهذا الاعتقاد ، على ضرورة العناية بالهندام ، والاناقة والحلاقة ، ونبرة الصوت وثبات النظرة ، ومراقبة الحركات والسكنات ، ووضوح العبارات وبيان الاشارات ، وامتلاك الانفعالات . ويرى آخرون أن بعض الرجال ليسوا على شيء من حسن المظهر ، واناقة الهندام ولهم ، مع ذلك سلطة على النفوس لا تقاوم وجاذبية لا يدفعها دافع . كما ان هناك من عرفوا بالدمامة والعنف والغلظ ، وفيهم الى ذلك كله ، مغناطيس عجيب . هذا يردنا الى القول بأن سحر الشخصية ينبع اكثر ما ينبع ، من الحياة الداخلية التي يحياها المرء ، وبعبارة ثانية ، ينبع من فكرة جريئة ، دقيقة ، صارخة عنيدة ، تغتلي وتغتلي حتى تطبع الشخصية كلها بطابعها الجريء الصارخ . لقد اجمع الباحثون على أن تشديد النشاط النفسي يعني تشديد المغناطيسية الشخصية ، وتعنى بالنشاط النفسي حرارة الارادة وقوتها . وهي لا تنفصل عن حرارة الولع بأمر أو مطلب ، وحرارة النفرة من أمر أو مطلب ، ولا يكون المطلب هذا ماديا أو شهوانيا بالضرورة ، وانما ينتظم جميع مناطق الحياة العاطفية والذهنية ، والروحية . ذلك يفيد ان أي امرىء كان يستطيع أن يكون ذا نشاط نفسي ، وبالتالي ذا مغناطيسية خاصة ، مهما كان مظهره حقيرا ، ومهما كانت منزلته الاجتماعية وضيعة في نظر غيره حتى ليبلغ من النفوذ عن بعد ، درجة عالية مستقلا بها عن الكلام والنظرة والنبرة

والحركة والاشارة ويصبح غيره من النـاس خاضعا لما ينتظره هو منه ، حين يسلط عليه ـ من بعد ومن قريب انتباهـه ، وعواطفه ، والهـاماته وانطباعاته • ويؤثر في كثير من الاحيان حتى في أشخاص لا يعرفهم ولا يحمل أدنى فكرة عن وجودهم ، عندما تكون عقليتهم ومعرفتهم وموقعهم الاجتماعي ، مما يعينهم على الاتصال الفكري بـه ، ويؤهلهم للعمل معه •

ويرى كثير من رؤساء المدارس النفسية الحديثـة أن الاهمية الكبرى ، والمنزلة الاولى في تكوين الشخصية النافذة ونحوها انما هي للمزايا النبيلة والصفات الشريفه والشمائل الناعمة الوديعة من استقامة ، الى طيبة الى مثالية الى علو في الهمه ورفعه في النفس • مع العلـــم أن لهـذه الصفات أثرها الذي لا ينكر في اعطاء شخصية صاحبها نفوذا خاصا ، ولكنها ليست أساسا له ولا هي الينابيع الكبري التي تمد الشخص به ، وتعتقـد ان وظيفتها (ايجاد الانسجام في الشخصية) لا قوتهـا ولا شدتها • ولنـا في الواقع شواهد وأدلة ، فانا نرى رجلا عاطلا من كل فضيلة ، ضعفا في حسه الاخلاقي شرسا عنيفا غليظا ، قاسيا ، اعتباطيا في احكامه ، يفرض نفسه على مجتمعه ولو موقتا وغالبا ما يكون موقتا ويوفق الى نيل كثير من رغباته وأوامره ومطالبه بينما نجد ذلك الوديع الرقيق ، ذا العواطف النبيلـة ، المستقيم المنصف ، الاريحي يخفف فيما يسعى اليه ، ويرد الى الطبقة الثانية او الثالثه في الحياة العامه على الرغم من كفاءاته واخلاصه ونزاهته •••

لقد أرانا التاريخ ، في أحدث ما يسجل وما سجل ، أن أشد الطغاة عمادة ، ممن لا يحرمون شيئا ، ويستحلون كل حرام ، ويستعملون أقبح الوسائل وأعنف المظالم الفردية والجماعة ، ولا يتورعون عن أي منقصة أو رذيلة ، يحظون الى أمد بجاذبية خاصة تمكنهم من أعناق النـاس وتجعلهم سادة يتحكمون ويقودون الكبار والصغار على السواء • هـذا المثل يوضح أن

مغناطيسية الشخصية ليست وقفا على أصحاب المروءات وذوي الاخلاق الرفيعة العالية ، والمزايا النبيلة .

واذا كنا نسجل هذا الواقع ، فلكي نقابله بواقع آخر ، هو أن أصحاب العزائم القديمة ، الحازمين ، الاشداء ، الشجعان من المثاليين ، الاريحيين هم الذين يؤثرون في نفوس من يحيط بهم ، وهم ذوو النفوذ الأمضى والاقوى في تعديل الظروف وتطويرها وبناء مصير أسمى وأغنى وأشرف من مصائر أولئك الوصوليين الانتهازيين ...

ثم انه من الافضل أن تكون شخصية المرء اكثر قسوة وانسجاما فالانسجام في الشخصية الاخلاقية ، امتياز يتمتع به ذوو الطباع النبيلة ، والعباقرة الموهوبين الذين يقفون صامدين أمام ذوي النفسيات اللئيمة ، الهزيلة في بنائها الاخلاقي على عظم نفوذها وقوة شوكتهم . ذلك بأن العواطف النبيلة تبث في الآفاق اشعاعات لطيفة ، منعشة ، خافتة ، تؤثر تأثيرا لطيفا في الناس ، وتوجههم توجيها هادئا لما فيه خيرهم ، ولا تسيء الى أحد منهم ، أو تتجرحه ، فهي تضع من تنبثق عنه ، على صلة بذوي العقليات الرصينة ، الحالمة المتيقظة ، التي تحميه عادة من عوادي القدر . فاذا فرض الرقيق ، الوديع على نفسه بذل الجهد اللازم لزيادة نشاطه النفسي ، وانعاش استعداداته المعنوية والاخلاقية بالثقافة والجد ثم المثابرة والعزم استطاع أن يحصل من هذا التجمع في عناصر مغناطيسية الشخص ، قوة يحسد عليها لانها تجمع الشدة الى الانسجام . ان استعمال القوة من قبل الاقوياء ، دون مراعاة منهم للانصاف والعدالة ، أو تقيد بقواعد الاخلاق الاساسية يسوقهم كما يسوق أعمالهم نحو الاضمحلال ، لان استعمال القوة يحتم كوارث أكيدة ، قد تأتي ببطء وتدرج ، ولكن لا بد من وقوعها ،

وهي تعظم وتشتد كلما عظم نفوذ القوى الذي يستعمل قوته • وهذا هو معنى قول العرب القدامى (على الباغي تدور الدوائر) وقول شاعرهم الجاهلي (والظلم مرتعه وخيم) • هذه هي القواعد الفكرية والابحاث التجريبية والوقائع العملية التي تبرز نظرية التأثير الشخصي ولكن لا بد من ملاحظة الفارق بين نوعين من التأثير الشخصي الاول هو (التأثير الخارجي) وهو المنظور أي الذي تقع عليه العين ويمكن درسه بالملاحظة والثاني (المغاطيس الشخصي) وهو الذي يكون عن بعد ويجري به التأثير عن طريق الفكر والخيال والعاطفة •

فالعوامل التي تجعل المرء ذا نفوذ عند الآخرين من الخارج أو في الظاهر هي : الهدوء ـ الثبات ـ النظرة ـ الايحاء ـ اللفظ ـ المظهر المعنوي (التربية ، الذوق ، التعبيرات فالصمت أو الاشارات والابتسامات) ـ المثابرة وروح النضال • وعندما تستغل هذه العوامل الخارجية بعد تثقيفها يمكن المرء

١ ـ من خلق فكرة ايجابية عن شخصه عند الآخرين ، دون اللجوء الى اطراء الناس ، وتملق الكبار ، والاعتذار والاستعطاف ، فان مجرد حضور الانسان بكل بساطة ، يكفي عندما يكون ذات تأثير شخصي لان يميل الناس اليه ، وأن لا يعارضوه سلفا •

٢ ـ من تحصيل عادة في الاقناع تستند الى قوانين الايحاء ، حتى يكسب الآخرين للتمسك بآرائه وعواطفه وقراراته واستعداداته التي يحاول الآخرون ايحاء ما يعارضها •

٣ ـ من ممارسة سلطة خاصة فردية ، متميزة عن تلك التي يحققها اللقب أو الرتبة أو الوظيفة أو المقام الاجتماعي •

٤ ـ من الاعتداد بالنفس ، وصلابة الموقف أمام أي كان ، وفي أي ظرف كان حتى عندما تجنح العداوات التي يلاقيها الى زعزعة مقاومته وتحطيم صلابته •

٥ ـ من الاستمرار في تنفيذ ما نوى تنفيذه ، والمضي في القرارات التي أنضجها درسا وتمحيصا رغم كل القيود والايحاءات المعاكسة الطارئة •

هذه نتائج قيمة ثمينة فاذا حصلت عليها وسعيت لبلوغها لا يغيب عن بالك أن النفوذ الخارجي معنى منفصل كـل الانفصال عن الحياة النفسية ونشاطها وانسجامها وحرارتها ، فالانتظام الذاتي من الضروريات لانماء عناصر التأثير الشخصي الخارجي ، وحكم النفس يقتضى حدا أدنى من الأرادة أو استعدادا للقيام بالاعمال الادارية المدروسة ، وما من أحد على هذه الارض وهو يحمل في مطاوي ذاته هذا الاستعداد • هـذا الانتظام الذاتي يحرك الانتباه ومراقبة النفس وينزع الى وضع الغرائز والانفعالات والخيالات في ربقة العقل ، فهو يؤلف بذلك ضربا من التدريب الناجح على تقوية مغناطيسية الشخصية وحسن استعمالها • وان قيمة المعرفة النظرية المتأتية من مطالعة كتب الثقافة النفسية تؤدي الى أن المرء يعيـد النظر الى كيانه النفسي ، وتحمله التفكير في تحسين وسائله الذاتية للعمل والاجتهاد ورعاية انتباهه وارادته • وان مجرد تمثل المرء للدور الذي يلعبه التأثير الفردي في حياته العامة والشخصية ، ومعرفة قوانين هذا التأثير وطرائقه وتظاهراته ، أمران ينيران أمامه السبيل نحـو شخصية ساحرة ويفتحان له أفقا جديدا لا يعهده من قبل ، ويضعان في يده مفتاحا فكريا لتفسير التفوقات التي يشهدها عند المتفوقين وادراك الـدور الذي تؤديـه الاقدار في نسج مصائر الناس ••• وعندما نذهب الى تطبيق ما قلناه عمليا للحصول على

النفوذ الشخصي نرى ان الموضوع يحتاج الى جهد ، أي انفاق طاقة ومنابع هذه الطاقة تأتي من الولع وهو أغنى ينبوع من ينابيع الطاقة النفسية ، فمن أولع بالفن أو بالادب أو بالعلم أو بالفلسفة أو بالاختراع أو الاكتشاف كان حريا به أن يجد الطاقة العظمى لبلوغ ما يصبو اليه والينبوع الثاني هو الكراهية فمن شعر بكراهية كبيرة نحو تصرف ، نحو حالة من حالات الفرد أو المجتمع وكانت كراهيته هذه أو (نفرته) قوية عارمة قبض على الطاقة اللازمة لتجنب ما يكره ، وابعاد ما ينفر منه . هذا يعني أن (الاندفاع) الضروري لبذل مثل هذه الجهود الجبارة متوقف قبل كل شيء على شدة ولعك ، في جانب ، وعرامة نفرتك في الجانب الآخر . عليك وحدك اذن أن تمثل بوضوح أهمية النفوذ الشخصي في تحقيق أغراضك ، وفوائده في عملك وقيمته في الحياتين الاجتماعية والخاصة وما يقتضيك من جهود .

ان من يقترب من الثقافة النفسية وهو يتصور انها تمكنه من النجاح دون جهد يبذله ، يصل الى اخفاق اكيد ، وهو لا يشعر بمصيره .

ابدأ من الآن اذن ببذل الجهد ضع لائحة بالامور التي تنفر منها ، والامور التي يستهويك أن تنالها . وقرر أن تعمل لتحقيقها وأن تمضي فيها مهما كانت الصعاب ، ومهما وقفت في طريقك العقبات . اذ أنك أنت أهل للنجاح بعد أن عرفت ما تريد وحللت ذاتك تحليلا دقيقا ، وصممت على بذل الجهد ، ومضيت في وضع منهج تطبقه لمقاومة العراقيل التي تحول بينك وبين نفوذك الشخصي .

والحجر الاساس في بناء الشخصية المؤثرة النافذة هو الهدوء والهدوء ركن ترتكز عليه جميع الدراسات والرياضات والتمارين في كل تكوين

نفسي صحيح • والهدوء نفسه أكبر عامل مؤثر في تحصيل التأثير في الآخرين • ونحن نأتي جميعا الى هذه الدنيا ولكل منا مزاج خاص، يسيطر عليه لون خاص من ألوان الهدوء أو القلق أو البرودة أو الحدة • لا مفر للجميع من تحصيل السيطرة على النفس ودراسة وسائل هذه السيطرة ، والقيام بما تقتضيه من جهود بغية الوصول الى الهدوء النفسي • فالهدوء الذي ندعو اليه هو الموقف الذي تتخذه في داخلك ، في سريرتك ، في قرارة نفسك رغم المعارضة التي تقلومك والمصاعب التي تواجهك ،والاحزان والمصائب التي تتألب عليك ، سانحة أو ظرفا أو زمنا • انه ضرب من (التماسك) الذاتي الصميم يجعلك تجاه الحادث المؤلم ، كأنه لم يحدث •

هذا الهدوء لا يتم في أن تحلم به ، ولا في أن تصلي من أجله ، وانما يتحقق بالاجتهاد الدائم الدائب في كل لحظة ، والانصراف الى العمل والانتاج • ثم يجب أن لا تخلط بين الهدوء واللا مبالاة أو بين الهدوء وبلادة الحس ، فالهادىء هو الذي يضع السدود أمام احساسه ، ويحفر لها القنوات التي تسير فيها ، ويوجهها لما فيه سروره وسرور الناس من حوله • والولع بالهدوء أفضل ما يساعدك على بلوغ هذا الهدوء التي تمثل وما الفوائد التي تعود عليك منه والمتاعب التي تتجنبها بواسطته • هذا التمثل الذهني يوقظ في نفسك العزم والطاقة اللازمتين لبذل الجهود التي تتطلبها تربية الذات ، والانتظام الذاتي • اذا حدث للهادىء خطب رهيب يشل جهود أعوام ، أو يقضي على آمال جسام ، لا يذهب به الحزن في مجاهل لا رجعة له منها ، ولا يوغل به العذاب في عتمة التشاؤم الخاذل المخذل ، وانما يحتفظ بثقة في نفسه ويستجمع قواه لتلافي النتائج السيئة • والهادىء يسيطر على ما قد يشعر من فراغ صبر أو غضب أو حدة ويحتفظ

في جميع محادثاته باعتدال موزون كي يتمكن من التأثير في رؤسائه وزملائه والخاضعين له ٠

أعصاب الهادىء وعضلاته مرنة شديدة وهي تحتفظ دوما بتوازن عادي ، ودرجة معتدلة من الراحة والاسترخاء ، وذلك مما يسهّل عليه اداء وظائفها الطبيعية في داخل الكيان الجسمي ٠ والهادىء يفكر باستقامة نحو هدف تلتقي عنده جميع الافكار الفرعية ويظل انتباهه منصباً على ما ينفذ من قرارات ولا يبذر طاقته الفكرية سدى ٠ استقامة الهادىء تبدو في عاداته وتتمثل في مسلكه اليومي فهو يبدأ عمله في ساعة موقوتة ، ويسير فيه دون اسراع ، ويستغل بما يعود بالنفع عليه وعلى غيره ، وينال اقصى ما يستطيع من انتاج بأقل مما يمكن من التعب ٠ لا يتقبل الهادىء شيئا مما يعرض عليه من أفكار وآراء ، الا ويجيل النظر فيها ، ويثبت من صحة ما يوحى اليه ، كائنا ما كان الموحي ٠ ولا يوافق أحدا الى فرض اقتناع عليه أو انتزاع قرار منه ، فهو في يقظة دائمة يتيح له تدبر الآراء وتأمل العواقب المفاجئات والمعاكسات وخيبة الامل والصدامات وما اليها من الاحداث لا تنفصل عن الحياة ، أشياء لا تزعزع كيانه ولا تضعضع توازنه ويتخذ بكل برودة التدابير الضرورية لمقاومة المفاجئات ٠ وتحوير الاحداث ونزع ما فيها من أذى وينصرف الى ما تبقى له من وسائل العمل والانتاج ٠

الهادىء يتألم موضوعيا لا ذاتيا ، بمعنى أنه لا يعطف على نفسه في الملمات الكبار ، ولا يحنق من اجلها ، وانما يعيد النظر دوما في الماضي ، بكل روية وأناة ، الى أن يستعيد قوته رويدا رويدا ، وتشتد معنوياته يستأنف خوض المعركة وهو مسلح بالعبر الماضية والمواقف السابقة حتى اذا واجه معركة جديدة قال في نفسه (لقد عرفت غيرها من قبل) اذا أصيب المضطرب بكارثة حقيقية ، يفقد القليل مما عنده من برودة الدم ، ويرد على

المصيبة فورا دون تأمل أو استيضاح ويضيع صفاء ذهنه ، ويزيد الحالة خطورة ، والموقف تعقدا أكثر مما يخفف من سوء نتائجه . ليس بين المضطربين من يمكن ان يكون ذا شخصية نافذة ومؤثرة وان كان فيهم أصحاب كفاءات وقيم رخيصة ، فالمضطرب مهما علا منصبه ، وتعددت مواهبه لا يحظى بما يستحق ولا ينال التقدير اللازم وعليه يجب أن تكون اولى خطواتك هي تحصيل الصلابة والهدوء . اشرع من الآن في اعادة تنظيم مصيرك على جميع الجهات والجبهات ، رغم كل عائق ورغم كل مانع ورغم كل خاذل ومثبط ، كن شجاعا وكن هادئا فأنت قادر على الظفر فالذين ظفروا لم يكونوا أحسن منك حالا .

وللنظر أيضا تأثير قوي في الآخرين هذا هو الشائع المعروف ولكن الاصح أن نقول (للنظر تأثير قيم في بعض الاحوال والظروف والمواقف) .

والواقع ان العين لا تؤثر بنفسها ، ولا تملك خصائص مؤثرة ، نافذة الا بمقدار ما للمصباح الكهربائي من خاصية الانارة أي أن العيون تستقي كهربائيتها أو قوة تأثيرها ، من التيار النفسي ، كما يستقي المصباح نوره من القوة المولدة للكهرباء ، فهناك وراء الآلة البصرية (العين) ينابيع الطاقة التي تمدها بالعاطفة والحرارة العاطفية وما في كل واحدة من قوة تتجمع وتتفاعل ، ويولد من تجمعها وتفاعلها قوى مغناطيسية شخصية .

كان البحث عن قوانين النفوذ الشخصي ، يسير بادىء ذي بدء ، جنبا الى جنب مع البحث عن قوانين المغناطيسية ، وكان الباحثون يرون ان (لتركيز النظرة) وتثبيتها في نقطة معينة أمرين ضرورين لحصول الجذب المغناطيسي ولم تقو هذه النظرية على معارضيها ، أي لم تصبح ذات قيمة الا

بعد تجارب وتمارين عديدة ، أثبتت أن الاحتفاظ بالنظر ثابتا عند نقطة ، والاحتفاظ ثابتا عند فكرة يؤديان دوما الى اجتذاب الموجَّه ، ويسيره في خط الفكرة التي تريدها له ، فيفقد بذلك ارادته وينام .

هذا لا يعني أن النظرة لا تحتوي على قوة مغناطيسية ، وانها لا تؤثر في أشخاص معينين خلال مجرى الحياة اليومية ، دون أن يشعروا بالتأثيرات التي يخضعون لها . وانما هو يفيد أن للنظرة قوتها التأثيريه في حدود النشاط النفسي والتقائه بالنية . ذلك يدعو الى تربية جديدة للنظرة ، بحيث يفيد المرء منها في تكوين تأثيره الشخصي ، وتلافي الاثر الذي تخلقه في نفسه ، على غير وعي منه ، نظرة الآخرين اليه . ثم الاثر الذي تحدثه نظرة شخص آخر ، هو قبل كل شيء دليل على درجة قابلية الانفعال عند المتأثر ، قد تنظر شزرا لاحد جنودك تريد توبيخه وتوفق معه بغيتك من النظر الشزر وحده ، ولكن هذه النظرة نفسها تبدو مضحكة مع غيره ، كما انها اذا تكررت مع شخص آخر تحت رئاستك تعودها ووقف أثرها فيه .

فمثلا اذا رأيت امرءاً يحاول ان يؤثر فيك بما يضرب اليك من نظرات فلا تدر رأسك عنه ووجه نظرتك فوق مخاطبك ، أو تحته أو يمينه أو شماله مسافة ثلاث سنتمترات لتتمكن بعد ذلك من وزن عباراته ، وتأمل ما يقول دون ذهول ، اذ يمتنع في هذه الحالة ، كل انحراف أو اضطراب يعتري حسة النقد لديك ويظل تمييزك محتفظا بصفائه الطبيعي فاذا أصبح ذلك عادة فيك بدأت بتطبيق أول مبدأ من مبادىء تربية النظر ، هذا في المنزلة الاولى . والثانية تكون في أن صوب نظرك عندما يأتي دورك في النظر نحو النقطة المتوسطة الواقعة بين عيني من تخاطب ، واصفا في ذهنك أنك لا تريد التأثير فيه ، بمعنى انك لا ترغب السيطرة عليه ، وانما تريد

اجتذاب انتباهه وحصر ذهنه عند نقطة معينة . ومعاني الالوان التي تظهر في مختلف العيون ، يمكن استظهارها وملاحظة الانطباعات التي تولدها فيك وفي غيرك من الناس ، ثم يمكنك أن تلمس تأثير النظرة بما حول العينين من جفون وأهداب وما فيها من حور واتساع بعد ذلك . العيون السوداء تخفي وراءها حرارة نفسية فائقة غير عادية ، وهذه الحرارة تنشأ عمّا هو ملح ـ بالمعنى الاخلاقي ـ وعنف في الاحساس يتمالك ولا يتهالك، فكن واثقا أمام هذه العيون أن صاحبها لا يستطيع أن يحب أو يكره الا بشكل حار شديد أعمى ، فهي ذات طبع كامل ، غامض ، حساس ، نزاع الى فرض وصايته على كل من يحيط به من الناس ، فمن الافضل الا تقف عائقا دون أغراضها بشكل مفتوح مكشوف ، والا تثيرها وتزيد في حدتها . والعيون الزرقاء تنبيء عن رجل حازم ، ذي عزم متين صارم شديد . أما العيون الزرقاء ، الباهتة في زرقتها ، فهي للحالمين العاطفيين السابحين في الخيال ، اللامبالين بالدنيا وهمومها ، فهم سطحيون لا يعترف لهم بفضل ، ولا يقدمون على مغامرة . وأما العيون التي تراوح بين السمرة والسناوية في عديد من الالوان ، فهذه لذوي الاستعدادات المثالية . واكثر أهل الفكر يدخلون في هذه الافاريق اللونية من ألوان العيون . والعيون الخضراء تعني غرابة الميول العقلية والعاطفية والشهوانية ، فهي طورا عبقرية وطورا هوائية وطورا غير اعتيادية . ومثلها العيون التي تضرب حدقاتها الخضر الى اصفرار . والعيون الرمادية تشير أكثر ما تشير الى استعدادات موضوعية ، دقيقة ، تجريبية ، واعتدال في الطباع ، واتزان نادر المثال . وكل سطح لماع يسترعي الانتباه ويجنح بمن يراه نحو الانكساف الذهني وانطفاء ملكة التميز . فاذا بلغ هذا التأثير منتهاه في بعض النفوس وقع ما يعبر عنه الناس عامة بقولهم (أفتتن) أو (خُلب لبه) وحالة الافتتان هذه ليست ،

في تحليلها الاخير غير (خمود المناطق العليا من الحياة النفسية) واذعان الارادة والذكاء لما يمليه اللاشعور (المنطقة السفلى من الحياة النفسية)
واليك الآن صور المناطق النفسية كما يمكن تمثيلها :

المناطق النفسية العليا

الوجدان النفسي ، التميز ، المعيار المنطقي ، التحليل الذاتي •
الفكر الواعي العقل ، الانتباه الارادي ، المقررات والامتناعات المدروسة •

المناطق النفسية السفلى

ما تحت الوجدان الحركات الآلية ، التصرفات اللا مسؤولية ، الخيال

الفكر العفوي الميول ، قابلية الانفعال ، قابلية التأثر ، الحساسية الذكريات •

وحدقة العين سطح لماع تمهده الحياة النفسية الحارة بلمعانه ، فكلما اشتدت حرارة العواطف ، وقوة الافكار ومتانة العزم ازداد لمعان الحدقة عليك اذا أردت أن تكون ذا عينين مؤثرتين ، أن تتجنب في الدرجة الاولى كل ما يؤدي الى التسمم من الاغذية (الكحول خاصة) •

اذا وصلت الى صنع عينيك ، وحركات محجريك ، وتعبيرات وجهك رهن مراقبتك الفكريه اليقضة ، فابدأ اذن من هذه النقطة التي بلغتها باتباع المسلك الآتي : احتفظ ببرودة مطلقة وأنت تعمل ، وأنت تخاطب أولئك الناس ، وأنت تصغي لما يقوله الآخرون • ولتكن عيناك مفتوحتين فتحة طبيعية ، عادية لا ترمشان أبدا ولتكن أفكارك وردود فعلك مهما عظمت

وقويت ـ هادئة . هذا لا يعني طبعا أن تستقر جامداً عبوساً صامتاً فاذا كان ثمة ما يدعو الى تدخلك ومشاركتك في الحديث ، فاجتهد أن تعطي وجهك عن سابق تصور وتصميم العبارة اللائقة دون أن يغيب عن بالك ما تقوله والطريقة التي تقول بها ؟ فهذا أمران مهمان اكثر من النظرة وعبارة الوجه . اياك أن يخونك القلق الذي يساورك ، أو الحزن الذي يخالجك أو الاستياء الذي يفعم سريرتك ، أو الاستهجان الذي نبطنه في قرارتك . سيطر على نفسك في كل لحظة أيا كان الظرف ، ومهما كانت الاجواء ، تعطي بذلك صورة قوة مرتاحة ونظرتك تستولي على نظرات الذين تخاطبهم ، وهم يصغون اليك باتنباه مطمئن بليغ . واذا خوطبت بلوم أو تأنيب فاستمع ولا تمل ، واظهر كمن يسجل ملاحظات قيمة . فاذا كان ما يوجه اليك عارياً عن الصحة ، أو في غير محله أو لا أساس له ، يتضح ذلك فوراً بمجرد موقفك الهادىء ورصانتك في الرد عليه . واذا كنت على العكس ، موضع تكريم ، فتقبل ما يلقى اليك دون أن تبدي به سروراً زائداً ، وأذكر دوماً في مثل هذه المواقف المبدأ العام وهو أن رأيك الشخصي المعلل في نفسك وأعمالك أهم بكثير من آراء الآخرين فيك . والأفضل دائما أن تتبع القاعدة الكبرى وهي أن لا تبدي « انهماكاً » في أي موقف من المواقف ، فلا احترامات زائدة ولا تملق ،ولا اعجاب ،ولا تعاطف مصطنع ، فتكسب بذلك رغبة الآخرين من التقرب منك ، والتودد اليك . وهنا أيضا يجب عليك أن تتصرف وتعتصم بالهدوء وعدم الاكتراث . وذلك لأننا كلنا نبث من قريب ، اشعاعات محضة حيوية ، هي المغناطيس الحيواني الذي لا يتجاوز ميدان نشاطه مدى مترين أو ثلاثة كما تفيض أو تدفق حول كل منا ، موجات مغناطيسية في دوائر ضيقة ، تنبعث عن اطراف الجسم الدقيقة (الشعر ، الاهداب ، الجفون ، أطراف الاصابع) . وكل قرار أو

نية حازمة صارمة بتوجيه هذه الاشعاعات نحو نقطة معينة من جسم شخص آخر ، تمكّن الموجه من التأثير فيه . فاذا صوبت نظرك بلطف ونعومة على جبين مريض بالصداع مثلا ، وكان المريض مضطربا ، متهيجا ، لا تلبث أن تؤثر فيه تأثيرا ناعما ، يرده الى حالة من النعاس الهادىء ، قد ينتهي الى غفوة لذيذة . ويمكنك أن تفيد من المغناطيس الجسمي فوائد جمة اذا أحسنت استعماله لما فيه تهدئة الآخرين وايقاظ عواطفهم الرقيقة ومقاومة انفعالاتهم الهائجة وحالاتهم العصبية .

وللمظهر العام الذي يظهر به الشخص من هيكله الجسمي ، الى طريقة لباسه ، كما لتصرفه في الكلام ، في الجلوس ، في القعود ، في الاصغاء في المشي ، كل التأثير وتكوين تأثيره الشخصي . كذلك لم يقدر لاحد قط أن يختار طول قامته ، ولون عينيه ، ودورة وجهه ومقدار حجمه المادي ولكن يمكن ايلاء هذه الاشياء كلها ضربا من الانسجام والتناسق عن طريق الجهد والفن ، تجعلها ذات رونق وهيبة وجمال .

ان اتباع القواعد الصحية العامة ، وأداء التمارين الرياضية ، وتحقيق الهدوء النفسي ، وازالة الغضون من الوجه ، وانتظام السير اليومي في العمل والراحة والنوم الهادىء والاجتهاد في القيام بكل ما تتطلبه النظافة ، أمور تفضي حتما بمن ينفذها بدقة وضبط الى جعله ذا شخصية نافذة . أما ذوو العاهات الجسمية ، فعليهم ان لا ينزجوا تحت تأثيرها ، وأن لا يرهقهم أمرها ، فانهم اذا عزموا وجدوا واجتهدوا ، تحولت عاهاتهم نفسها الى وسيلة من وسائل النجاح والتوفيق .

وكان أبو العلاء المعري أعمى ، وبلغ من ذلك رفعة القدر وبعد الصيت . وكان بيتهوفن أصم وهو مضرب المثل والعبقرية ، وكان اللورد

يرون أعرج ولكنه بلغ من سحر الشخصية ما لم يبلغه في فتى غيره •

وأما قيادة التصرف فانها مهمة جداً اذ لا شيء يجعل انسجام التصرف سهلا يسيرا ، مثل التفكير الدقيق المتواصل في استعمال كل يوم من أيام الاسبوع وضع منهج للاعمال اليومية والسير في تطبيقه بدقة وروية • وذلك يجنبك كل تسرع يثير في داخلك القلق والاضطراب ، ويحملك في الخارج على تصرفات تزعجك ويضيق بها الآخرون وقد الححنا من البدء على أولوية الهدوء في بناء الشخصية المؤثرة • واذا أنت قضيت في كل مساء بضع دقائق في تصور مشاغل الغد ، وتركيز فكرك في واجباتك العملية والاجتماعية ، انتهيت بعد زمن الى تجنب كل تعبٍ والتخلص من كل اضطراب ، وقوى تأثيرك وعظم نفوذك على نفسك ، وعلى الآخرين من حولك الذين يشاهدون في حياتك النظام والانسجام • ان ذوي (الامزجة المتغيرة) ممن يبدو عليهم دوماً فراغ الصبر ،وسرعة الحدة ،وينساقون مع نوبات الغضب أو الانشراح يقودون أنفسهم في وجهة معاكسة كل المعاكسة لما يتطلبه ملكة التأثير • هؤلاء يحملون أعصاب غيرهم ما لا تطيق ، ويجعلون انطباعاته عنهم مؤلمة كئيبة مقلقة تولد فيه النفرة والكراهية • فان من لا يضبط نفسه ،ولا يتحمل ما قد تؤذيه محافظة منه على شعور الامتعاض والاشمئزاز لا يمكن ان يحظى باعتبار صحيح واحترام عميق • اسهر اذن على ان لا يفوت منك ما لا ترضاه ، على أن لا يمر بشفتيك لفظ لم تفكر به قبل التلفظ وزن الالفاظ بحسك بذوقك فأنت تستطيع أن تقول كل ما تريد ان تقوله دون ان تؤذي سمع أحد أو تصدم أحداً • هذا لا يعني اننا نريدك على ان تتكلف وتتصنع • لا ••• وانما نوصيك دوماً أن تكون واضحاً وبسيطاً • والبساطة والوضوح لا ينفيان الاصالة والابتكار فالفروق الدقيقة بين التعابير ، هي المهمة وهي الخطيرة •

اذا أنت أصغيت الى الخطباء من قادة الجيش ممن عرفوا بذرابة اللسان ، وقوة العارضة ، وحللت عوامل تأثيرهم في السامعين أدركت ما لا نستطيع أن نصفه لك أو نرشدك اليه ، فالانواع الادبية تختلف فيما بينها بنسبية الالتزام والتعبير الايجابي الواضح عن التنازع والخصام ، ولعل الخطابة هي أشد الانواع الادبية التزاماً لانها تهدف أبداً الى التأثير والاقناع معبرة عن عقيدة القائد الخطيب ورأيه في مشكلة من مشاكل الساعة . لهذا فان الخطابة تشتد باشتداد الازمات التي ترتبط ارتباطاً جذريا بمصير الجماعة وتقرير مستقبلها ، وترجحها بين النزعات والتيارات المختلفة التي تحدق بها ، فهي ربيبة السلاح تواكبه وتعوّض عنه وأحيانا كثيرة تشحذه وتحفزه وتقتحم ملاحم الدمار والتقتيل وما الى ذلك مما الف الناس دعوته بطولة ومجداً . وكما قلنا ان القائد الخطيب أو الخطابة نفسها تهدف الى الاقناع والتأثير لتنقل السامع من موقف الى آخر ، باعثة فيه نزعة العمل الايجابي فيما كان يقف موقفاً سلبياً . ولهذا فانّ غاية الخطابة الكبرى هي أن تحوّل الافكار الذهنية الجامدة الى عواطف يشتعل بها السامع ، ويتصرف بتأثيرها تصرفا لا قبل له به ، فيما يكون في حالة اليقين العادي . والواقع ، ان الافكار التي تقطن الذهن ، مهما سمت وشرفت فانها تبقى دون تأثير على تصرف الانسان اذا لم تنتقل من كونها فكرة يسيها في ذهنه بلا مبالاة ، الى شعور راغم حي ، يحول الفكرة الجامدة الى عمل حاسم . أيّ الناس لا يدرك أن الخير أفضل من الشر ، وان الشرف أفضل من الذل ، وان الحق أفضل من الباطل ؟ الا ان تلك المعرفة تظل عاجزة ، لا يتأثر بها تصرف الانسان حتى تشتعل بالعاطفة والحماس ، فلا يعود الانسان مدركاً وتعاسته مرتبطتين به من دون سواه ، ويصبح من الآن ذاته قادراً على المجاهد

دونه ، والتضحية بل الاستشهاد في سبيله • فالشهيد لا يبلـغ الى الشهادة بمعرفة الحق ، بل بالحماسة والايثار والتقديس •وهكذا فان القائدالخطيب يهدف الى تحويل الافكار الى عواطف ، متوسلا في سبيل ذلك بوسائل متعددة سنسلم بذكرها • فالقائد الامام علي (ع) في خطبة الجهاد لم يكن يحاول ان يفهم المقاتلين معنى التقوى ، بقدر ما يسعى لاستثارة تلك العاطفة ، مصوراً لهم الجنة وعذاب النار وذل القاعدين عن الجهاد ، حتى ينتقلوا من طور السلبية ، من الخمول والعصيان والشغب ، الى الجهاد والصبر والطاعة • وعلى هذا فان الخطابة في جوهر اسلوبها تعمد الى بث حالة نفسية أو يقين وجداني حاسم راغم لا يتمكن المرء أن يتحرر منه ، بل يندفع بتأثيره ويقوم بأعمال فائقة تبلغ في أحيان كثيرة ما أتفق الناس على دعوته بطولة •والخيال يلعب دوراً مهماً في الخطابة اذ هو وظيفة مشتركة مع الشعور ، ويخيل الينا في الواقع انه ليس ثمـــة حدود في لحظـة الابداع في الخطابة بين الشعور والخيال بل انهما يتوحدان ، حتى ينتقل الشعور من كونه وجيباً غامضاً في النفس ليصبح صورة في الذهن ، فالخيال اذاً هو الذي يترجم الشعور ويصوره ، فالمرء يتأثر بما يشخص أمامه ويراه أكثر مما قد يتأثر بما يدأب لتمثيله في ذهنه ، لهذا فان الخطابة درجت وخاصة في العصور البدائية الاولى على تمثيل العواطف تمثيلا حسيا مادياً عبر الخيال • وقد يكون من الخير ، أن تتمثل على واقع العاطفة والخيال باحدى خطب الحجاج ابن يوسف ،فيما خرج والياً على العراق • وقد صحبـه اليهـا اثنا عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة ، حين انتشـر النهـار ، فبدأ الحجاج في المسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء • فقال عليّ بالناس فحسبوه هو وأصحابه خوارج فهموا بـه ، حتى اذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
صليب العود من سلفى نزار كنصل السيف وضاح الجبين

أما والله فاني لاحمل الشر بحمله وأجزوه بمثله • واني لارى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، واني لصاحبها ، واني لانظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى •

هذا أوان الشدّ فاشتد بي زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
قد لفها الليل بعصلبيّ أروع خرّاجٍ من الدوى
قد شمرت عن ساقها فشدّوا وجدت الحرب بكم فجدّوا
والقوس فيها وتر عود مثل ذراع البكر أو أشد •••الخ

أنت ترى أن الحجاج لم يتوسل الا بالصور التي جسّد بها مشاعره • فهو لم يكتف بتهديدهم بالقتل لأن هذا التهديد أمر مبتذل يسير يلمّون به في كل لحظة وقد تعفى تأثيره فيهم • لهذا رأيناه يعمد الى التخيل والتوهيم ، فاذا به ينتقل بالسامعين ، عبر الوهم والخيال ، من الواقع الذي يعيشونه في المسجد الى واقع خيالي آخر ، ظهرت لهم فيها الدماء ، وهي تسرب من بين العمائم والرؤوس الملتوية الاعناق • هذا المشهد اشد رهبة من الكلام الذهني العادي ، ان رؤية التقتيل والبطش تروع السامعين ، فيما تعبر في الآن ذاته بما يريد القائد الخطيب أن يعبر عنه •

أما العاطفة فقد طغت وسيطرت منذ مطلع الخطبة ، مريداً يهددهم ويتوعدهم مثيرا فيهم أشد الاحوال الماً ، وأكثرها امتعاضاً •

وهكذا فان الحجاج لم يخاطب سامعيه بالبينة التي تقنعهم اقناعاً عقلياً هادئاً مطمئناً بل بعث أمامهم الصور المرعبـة التي تثبت في نفوسهم حسن الهول والفجيعة . ولا تحسبن بأن المنطق يتعفّى أثره في الخطابة ، بل على العكس ، فان القائد الخطيب يتوسل به كما يتوسل بالعاطفة والخيال . وربما رأيناه في أحيان كثيرة يطغى عليهما . والواقع ان القائد الخطيب الذي لا تصدر خطبته عن التفكير العميق ، والتوغل الفكري ، قد يشتد تأثير خطبته في السامعين ، لكن ذلك التأثر لا يلبث أن يزول سريعاً ، بعد أن يجتاز سطح النفس . ومن هذا القبيل فان القائد الخطيب الذي يترسخ تأثيره في مخاطبيه ويفعل في تطويرهم وتحولهم من وقف الى آخر ، انما هو قبل كل شيء مفكـر جاد يتبصر بالامور ، ويتعمق بأسـرار الموقف حتى يكتشف الحقيقة ويعلنها الى السامعين في اطار عاطفي خيالي يجتذبهم ويؤثر فيهم غاية التأثير ولسوف تتحقق من شـدة تأثير المنطق والفكـر العميق في الخطابة عندمـا نحلل قسماً من خطب الامام علي (ع) ولعـل أجمل ما جاء في علاقة الفكر بالعاطفة ما قاله بعض المفكرين . ان العلوم الادبية مطالعها ثلاثة اوجه قلب مفكـر وبيـان مصـور ولسان معبر . فالقائد الخطيب المبدع لا يدرك أصول الخطابة ادراكاً ذهنياً واعياً ، وانما تنحل تلك الاصول في عصبه وتكون فيه . فرب متـأدب ألمّ بأصـول الخطابة جميعاً ، دون أن يقوى على التعبير عن نفسه ، ودون أن يوفق في التأثير على السامعين . ويذكر البلاغيون أن المرحلة الاولى من مراحل الخطبة ، هي مرحلـة الابداع أي التفتيش عن الاساليب والمواضيع التي قد يفيد منها الخطيب في تأليفه لخطبته ويقسـمون وسائل الابداع جريا على اسلوبهم في الغلو بالتفصيل الى وسائل داخلية ووسائل خارجية : والوسائل الداخلية هي الادلة التي تظهر صحة الحكم ، سلباً أو ايجاباً . وهـذه

الأدلة ليست كالادلة العلمية والمنطقية ، بالرغم من أن الخطيب قد يتوسل بالبينات العلمية والمنطقية في بعض خطبه • ان الادلة الخطابية هي تلك الحجج المشوبة بكثير من الخيال والعاطفة ، والذي يتحول بها الظن والتخمين الى يقين نفسي ، عاطفي الاسلوب اعظم تأثيرا من اليقين المنطقي الذهني • ومن الوسائل التي يمكن ان يفيد القائد الخطيب منها في التأثير على السامعين ما يدعونه بالتعريف حيث يتولى فكرة ويعرفها بخواصها ومميزاتها الجوهرية ، أو يعرفها بالتشبيه والاستعارات فمن الشائع ان القائد الخطيب يعرف موضوعه أو الفكرة التي يتصدى لها بالتنويع والتقسيم فضلا عن النزوع من التعميم الى التخصيص والانحدار في أحيان كثيرة الى التجزىء حتى لا يدع وجهاً من وجوه القول دون أن يتصدى له • وربما تولى القائد الخطيب فكرة ظاهرة واضحة الدلالة فيحول طبيعتها من الشر أو الخير بواسطة اظهار الاسباب التي أدت اليها وهذا ما يسميه البلاغيون بالعلة والمعلول •

أما المقابلة والامثال فهي من الاساليب البيانية الشائعة ، وذلك ان يعمد الى توضيح فكرة في المقابلة بينها وبين فكرة أخرى • فالامام علي (ع) عندما أراد ان يوضح لاتباعه معنى الجهاد ويحفزهم للدفاع ، قابل بين المجاهدين والجنة التي تنتظرهم من جهة ، والقاعدين والذل والصغار الذي ينتظرهم من جهة أخرى • هذه هي بصورة عامة أهم الاساليب الداخلية التي استقرأها نظريو الخطابة للابداع الذي يمهدون به للتنسيق والتعبير • أما الاساليب الخارجية فهي تمثل المادة التي ينبغي أن يتغذى منها القائد الخطيب لكي يوفق في معالجة موضوعه معالجة وافية جذرية • وهذه المواضيع الخارجية هي شبيه بما ندعوه في عصرنا الثقافة التي ينبغي أن يتمثلها القائد ليخصب خطبته ويغنيها • وأهمها الدين ،

والعادات والتقاليد ، متبعاً أثر السلف الصالح ، مكثراً من ايراد كلام الائمة والحكماء ذاكراً الشهادات والمواثيق بالاضافة الى القوانين المكتوبة وغير المكتوبة وهذه الاهمية الثقافية ضرورية للقائد الخطيب لانها ترتفع بالموهبة الفطرية الى مستوى الحضارة والثقافة اللتين يعيشهما القائد الخطيب •

وبالاضافة الى الاساليب والشروط السابقة ما اصطلح الدارسون على دعوته بالآداب الخطابية ، كسداد الرأي وصدق اللهجة وخدمة الحقيقة التي يؤمن بها • والاخلاص للمبادىء الخلقية السامية ، كما ان من الضروري أن يكون القائد الخطيب شديد الملاحظة وافر البديهة ، طلق اللسان ، رابط الجأش ، قادراً على مراعاة مقتضى الحال ، يؤثر على السامعين بقوة شخصيته فضلا عن قوة آرائه • وان بناء الخطبة يتكون من المقدمة والعرض والتدليل والنتيجة وهناك من يقصرها على مراحل ثلاث كالمقدمة والعرض والخاتمة • ليست المقدمة سوى مدخل للخطبة ، يتوسل بها الخطيب ليمهد لافكاره ، ويستثير انتباههم ، وهذه المقدمة ضرورية لتنتقل بالسامعين من حالة اللامبالاة التي ترين عليهم الى جو آخر ، يصبح فيه أكثر تقبلا للافكار التي سيتولى القائد الخطيب عرضها والتأثر بها • وأما موضوع معالجة الخطبة التي هي أهم قسم منأقسام الخطبة ،فهو يعتمد بالاضافة الى الموهبة الذاتية التي تحدس للقائد الخطيب بالافكار على الثقافة المتوغلة التي تثير السامع بالتعجب والاندهاش فضلاً عن الحماس والمشاركة • الا ان تلك الوسائل جميعا لا تجدي ، اذا ما لبث القائد يتحدث حديثاً نظرياً بأفكار يعجز السامع عن الولوج الى ابعادها ، فقد ينفعل القائد الخطيب ويصدق ، ويلمُ بأفكار جديدة دون أن يوفق في

التأثير على السامعين لانه عجز عن تقريب الافكار الى مفهوم سامعيه وتمثيلها لهم تمثلا يسيغونه .

وأما خاتمة الخطابة فتأتي عادة موجزة قصيرة بالنسبة للخطبة ذاتها ، لكنه بالرغم من ذلك لا تقل تأثيراً عنها . فكما ان المقدمة تعد السامع الى التأثر وتجذب حواسه ، فان الخاتمة هي التي تبقى من الخطبة في نفس السامع لانها تكون آخر مرحلة يتركز عليها أنتباهه . وان العبارة الخطابية هي التي تعطي المعاني والعواطف شكلا مادياً يسهل به التفاهم . كما انه ليس ثمة معنى دون لفظ ، فالمرء قد يشعر بالتجارب النفسية شعوراً غامضاً لكنه يعجز عن الاحالة بها وتمثلها دون اللفظ . فهو يفهمها ويحدها بأسمائها وهكذا فان اللفظ والمعنى يحدسان في لحظة نفسية واحدة خلال الاثر الادبي ، كما ان الروح والجسد يتكونان في لحظة واحدة ، ودون أن يكون ثمة وجود للواحد دون الآخر . وهكذا فان القائد الخطيب لا يختار الفاظه بعد أن يختار معانيه ، وانما المعاني والالفاظ تجتمعان في لحظة نفسية واحدة .

لقد كان ارسطو أول من عني بتقسيم الخطابة الى أنواع . وفي اعتقاد ارسطو ان الخطب تقسم الى أنواع ثلاثة : الاستشارية ، والقضائية والاستدلالية . وهو يعتمد في هذا التقسيم على عناصر ثلاثة أيضاً هي الخطيب والسامع والموضوع . ومهما يكن من أمر فان تقسيم الانواع الخطابية كما هو مألوف في عصرنا يتناول الخطب السياسية وبضمنها الخطب العسكرية والنوع الثاني الخطب القضائية والخطب الدينية فضلا عن خطب المحافل .

ولا شك ان موضوعات الخطابة الجاهلية هي مستفادة من واقع

العصر الذي عاشوه فهي تتناول كموضوع رئيسي الحماسة والشجاعة وما الى ذلك من معان تتصل بالبطولة التي كانت تصور المثل الاعلى الذي يتوق اليه الجاهليون • واذا ما وضعت الحرب أوزارها فان الخطيب كان يتولى عرض شروط الصلح والدفاع عن وجهة نظر قبيلته • وفي أحيان كثيرة يتبين لنا أن الخطيب كان يسمو عن عصبيته ، ويعتنق فكرة السلم كما نرى في كثير من خطب أكثم بن صيفي الذي يتمثل لنا في صدقه ورويته وحكمته ، بصورة تكاد أن تفوق الصورة التي دأب مؤرخو الادب على رسمها لزهير • لذلك نرى خطبه بدلا من ان تكون من واقع البيئة والحروب ، تكون على واقع خطب الصلح التي كانت تعتمد الروية والمهادنة ، مخالفة بذلك خطبة الحماسة التي كان تعمد الى اذكاء النفوس وتسعير أحقادها •

ولقد كان الموت منذ ان بدأ الانسان يدرك ذاته ، باعثاً لكثير من التيارات النفسية والفكرية ، التي يواجه بها الانسان تلك الجمجمة المرعبة حيث تتحجر جميع أحلامه وأمانيه ومطامعه بها ذاته التي كان يعتقد ان الوجود خلق في سبيلها • ولم يشك الجاهليون في هذا الامر ، بل نراهم يتحدثون في خطبهم عن مواعظ الموت وحتميته ، ولئن كان تفكيرهم بالموت لابعد الافكار والعواطف التي تغشي أفق النفس والفكر ، فذلك يعود الى طبيعة البيئة التي كانوا يعيشونها والنفسية التي كانت ملزمة بحدود المادة ، تتقيد بها ، وتتكيف بالنسبة اليها دون ان تنفذ الى آفاق الفكر التجريدي الصافي • وان من يمعن في دراسة الاسباب التي تؤدي الى الثورات يتحقق له ان الثورة الفكرية تتقدم الثورة السياسية أو بالاحرى يظهر دائماً ان الثورة الثانية ليست في الواقع سوى امتداد للاولى ونتيجة لها •

لقد سبق السياسيين العظام عدد كبير من المفكرين العظام كانوا يعدون

النفوس ويثيرون فيها الدوافع العميقة لتبديل الأوضاع التي دأب عليها الانسان منذ زمن طويل ، فالخطباء اليونان والرومان هم الذين أعدوا لنشأة بريكليس ويوليوس قيصر • وكذلك فان الثورة الانكليزية والامريكية كانت وليدة الافكار والآراء والنظرات الجديدة إلى الحياة والكون اكثر مما كانت وليدة السلاح والاقتتال • وليست الثورة الفرنسية لتختلف في هذا الشأن عن سائر الثورات ، بل على العكس ، فهي اكثر الثورات دلالة على قيمة الفكر في بعث الحياة الجديدة • فلولا ما اختمر في نفس الشعب من آراء روسو أبي الحرية وفولتير ومونتسكيو لما قدرت للشعب الفرنسي نفوس تلتهب ثورة على واقع الطغيان والظلم والعبودية • وكذلك الحركة الجرمانية التي تستمد القوة وتقول بتفوق العنصر الجرماني لم تنشأ الا بتأثير تعاليم نيتشه • ذلك جميعا يدفعنا الى الاعتقاد بأن الثورة الاجتماعية والسياسية التي ظهرت معالمها في العصر الاسلامي لم تكن في الواقع وليدة اللحظة التي تفجرت فيها بل انها وليدة مقدمات الفور في وجدان العرب الذين دأبوا على عبادة الاوثان والايمان بالخرافات الغيبية • وهناك مؤثرات أدت الى ازدهار الخطابة في العصر الاسلامي وفيها الفتوحات والسياسة من أهمها • فالعرب بعد ان اتسعت رقعة ملكهم دأبوا على مخاطبة المسلمين من على منبر المساجد ، وساحات القتال ، يعلنون لهم الاحكام الجديدة ويشرحون لهم تعاليم الدين الجديد ، ولعل اسهام الخطابة في اقامة اسس الدولة الجديدة ادى الى اطالة الخطب وجعلها أقرب الى الواقع •

وفي عهد معاوية فتح شمال افريقيا ، وبلاد الهند وبعض افغانستان وفي عهد عبدالملك وابنه الوليد تم الاستيلاء على شمال افريقيا والاندلس

وامتد السلطان الى بلاد البنجاب في الهند • واستولى مسلمة بن عبدالملك على آسيا الصغرى وفي عهـد سليمان بن عبدالملك حوصرت الاسـتانة • وهذه الحروب كانت تعتمد الخطابة في بث الحماسة والحمية ودفع الجنود الى القتال • لأن القواد العرب دأبوا على مخاطبة جنودهم قبيل المعركة أو في أثنائها ، وكانت الخطبة العسكرية مظهراً من مظاهر الازدهار الخطابي في ذلك العصر •

وقد اشتهر الامام علي (ع) بالخطابة فكان يخطب في المقاتلين فيظهر حيناً بروح الفروسية والبطولة ، ويظهر حيناً آخر بثـوب المتقشف الورع بأمور الدين غير غافل عن أحوال الدنيا • ولا مجـال للاطالة بالتمثيل بنماذج كثيرة على خطبه ولقد رأينا أن نتولى خطبته في الجهـاد ونتمم في تحليلها ونطلع على أفكار قائد تثور فيه النقمة على أتبـاعه بعد ان تخاذلوا وجروا العار عليه وعليهم •

أغار سفيان بن عوف الاسدي بجيش من جيوش معاوية على الانبار وقتل عامل عليّ عليهـا ، فنقم الامـام على جماعته وخرج اليهـم وجعل يخاطبهم بقوله :

« أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة • فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وبث بالصغار والقماءة وضرب على قلبـه بالاسداد • وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف • ألا واني قد دعوتكم الى قتـال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسراً وعلانية ، وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غُزي قوم في عقر دارهم الا ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم • وملكت

عليكم الاوطان • فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم : اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم • فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمي : يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون • فاذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الصيف قلتم (هـذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر) واذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم (هذه صارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد) كل هذا فرار من الحر والقر • فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال • حلوم الاطفـــال وعقول ربات الحجال ! لوددت اني لم أركم ولم أعرفكم ! معرفة والله جـرت ندمـاً وأعقبت سدماً • قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحا ، وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش (ان ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب) لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع » •

أنت ترى ان الامام استهل خطبته بوصف الجهاد ، ذاكراً انه باب من أبواب الجنة • ثم استطرد الى تأنيب قواده وجنوده لتخاذلهم عن القتال حتى لقد أصبح جند معاوية يلمون بهم ويقتلونهم ويولون الادبار دون أن يصابوا بأي أذى • بعدئذ يشتد غضب الامام القـائد ، فيصـور الـذي يتردى فيه أتباعه ، والاعذار التي يتلونها ليبرروا قعودهم • أما في النهاية فيصف الحسرة والاسى اللذين ما برح يعانيهما من جراء عصيانهم • تلك كانت المعاني المهمة التي شخصت في الخطبة ، وهي تبدو في مجملها شائعة يسيرة ، الا اننا فيما نتلوها وهي في حلتها البلاغية ، نشعر اننا أمام أثر فني

متكامل ، بالرغم من تصديه الى جماعة قلما صبغت ذائقتها الفنية . ولعل عناية الامام بالأداء الفني لم تصرفه عن العنايـة بالواقع النفسـي ، كما ان غضبه ونقمته عليهم لم ينسيه عن الترسل بما يثير عواطفهم المكنونة ، ويصور لهم غباءهم وجبنهم . لهذا رأيناه ينصـرف في مستهل الخطبة عن اظهار غايته ونكاد لا نستشف شيئا عن النقمة بل على العكس فان آراءه في البدأ تبدو وكأنها أفكار واعظ ، يتحدث اليهم بأمور دينهم ، اكثر مما هي أفكار قائد تثور فيه النقمة على أتباعه بعد أن تخاذلوا وجروا العار عليه وعليهم . فهو يبتدىء بوصف الجهاد واظهار قيمته بالنسبة للدين : (ان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه البسه الله ثوب الذل ، وشمله بالبلاء ، وألزمه الصغار وسامه الخسف ومنعه القصف) ولعل قول الامـام ان الجهـاد هو باب من أبواب الجنة يمثل وسيلة من وسائل الترغيب التي يهيب بالمؤمنين أن يعتمدوها ليكتسبوا الجنة . ونحن نعلم ان الاعرابي في نفسية البدائية لا يفهم المعـاني المجردة بل تلك التي تشخص في حواسه ، وخاصـة في نظره ، فلو مثلت له الجنة بأفكار وعظية ، لتجاوزوا عنها ولم يتمثلوها . ولكن بعد ان مثلت لهم بجنات تجري من تحتها الانهار ، تطوف بها الجواري والحور ويسيل فيها العسل ، فقد أصبح العربي يتوق للوصول اليها والتنعم بخيراتها . والواقع ان الجنة مثلت للعربي في جميع ما كان يتوق اليه ويعوزه في حياتـه .

لهذا يمكننا أن نقول أن الامام علي لم يبدأ خطبته ناقماً متميزاً بل واعظاً بالتشويق والترغيب معتمداً في ذلك العاطفة الدينية في أتباعه ، وما توقظه في نفوسهم من حنين الى تلك الربوع الجميلة حيث كانت تشرق صور الجنة في خيالهم البعيد . تلك كانت وسيلة الترغيب التي ألم بها الامام

القائد الخطيب في التأثير على مؤيديه ، ثم ما برح ان انتقل الى الترهيب دون ان يشتد فيه ويلجأ الى الصور المرعبة التي ظهرت في خطب الحجاج وزياد . وهو الى ذلك يعتمد على الالفاظ المتكررة بمعنى واحد وكانت هذه الالفاظ تؤثر في السامعين . ومهما يكن من أمر ، فانه لا ينفك يخيل الينا ان الامام في تلك اللحظة ، لم يكن في حالة دينية قوية ولم يكن يقف في مؤيديه ليعظهم ، وانما ليثور عليهم ، ويؤنبهم مطهراً لهم سخطه ونقمته ، ثم استطرد الى غايته ، مستهلا الحديث عن نقمته بقوله :(ألا واني قد دعكوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسراً وعلانية) ولعلنا في هذا المقطع نستشف ثورة لكنها ثورة تقريرية ، ولقد بدت النقمة مبثوثة بثاً غامضاً ، من خلال الالفاظ والمعاني والصور . فهو اذ يقول (دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسراً وعلانية) والسبب لأن الخطابة تميل أبدا الى الغلو لتبث الانفعال . في قلوب السامعين . وكذلك نراه يتوسل بالأدلة لبرهنة آرائه متمثلا بقصة حسّان البكري ، عامله في الانبار الذي قتله سفيان بن عوف ، وهذه الادلة ضرورية للتأثير في الخطابة وقد تحدث عنها أرسطو واقتضاها في مهجه المنطقي لأن هذه الادلة تضع السامع أمام واقع يشاهده ولا يتلمسه بحواسه وتسهم في اقناعه عن طريق العقلي والمنطق .

وهكذا ، فان الأدلة التي تمثل دخول المنطق واللحمة في الخطبة تظهر في خطب الامام علي ، كما كانت قد ظهرت في خطب النبي (ص) . وهي تدل في الوقت ذاته على أن الخطبة أصبحت أقرب الى الحياة الواقعية ، وأشد ارتباطاً بعضها ببعض من الخطب الجاهلية ، المتشبهة في أحيان كثيرة بأسجاع الكهان . وكما توسل الامام القائد الخطيب بالادلة الشائعة في الخطابة ، كما عرفت عند اليونان ، فانه يتوسل أيضا بما يدعونه المقابلة فهو اذن أراد أن يمثل الخزي الذي تردى به أتباعه ، صور لهم فتك جند

معاوية بهم وتنكيلهم بالصالحين منهم ثم فرارهم . الا ان تلك الثـورة تتضاعف وتشتد عندما يتمثلون العدو وقد عاد الى ديارهم كمن يعود من رحلة قنص لم يصب بأي أذى ولم ينتقم منه ، وهكذا فان الحالة النفسية التي عبر عنها ، تولدت من المقابلة بين حالتين ، حالة قوم ذليلين ، نفذ العدو الى ديارهم ومثّل بهم ، وحالة قوم أشداء بواسل ينفذون الى معسكر العدو ، فينكلون به دون أن يقوى على مقاومتهم ، أو التصدي لهم . وان كانت المقابلة تعتمد على مقدمتين فهي تنتهي ، حتما الى نهاية ، أو نتيجة تتولد من المقدمتين . وهكذا رأينا أن القائد يخلص في خطبته من ذلك الواقع الى القول (فلو أن مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما ، بل كان عندي جديرا) هذه الجمل نتيجة نفسية للمقدمتين . لا شـك أن هـذه النتيجة ليست حتمية واحدة بالنسبة الى جميع الجنود من التابعين للقائد كما هو الشأن في التحليل المنطقي بل أنها تختلف بالنسبة للاشخاص ، والمبادىء التي يؤمنون بها والحالات التي تعتري نفوسهم . وهذا ما أشار اليه ارسطو عندما قال (ان البراهين الخطابية هي براهين احتمالية ، ممكنة ، تتبـدل بالنسبة للنفوس والاحوال) . وهكذا فان الخطابة تعتمد المنطق في مقدمتيه بينما تظل النتيجة نفسية ، نسبية . ولعلنا اذ نمعن النظر يتحقق لنا ان الابداع الخطابي يظهر في القدرة على اكتشاف النتـائج التي يجري تأثيرهـا على السامعين ، وهذا هو في الواقع التأثير الدائم لان القائد الخطيب الـــذي لا يعتمد على الادلة المنطقية في سبيل النتائج النفسية ، قد يوفق في التأثير حينا ، الا ان تأثيره يزول سراعاً كالنار في العشب اليابس . فيما تقدم جميعـا ، رأينا ان القائد الخطيب يعرض الوقائع دون أن يعلن نقمته صراحة ، وان كنا قد شعرنا شعورا حيا ، مباشرا من خلال اسلوبه وأفكاره . أما الآن فانه سيتصدى لاظهار تلك النقمة جهرا بالاضافة الى طبيعة الاسلوب والالفاظ .

ولعله بدأ بذلك من قوله :

(فوا عجباً من جدّ هؤلاء في باطلهم ، وفشلكم في حقكم بحلكم وترحالكم حين صرتم غرضا يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون) • لقد استهل الخطيب القائد هذا المقطع بلفظة (واعجبا) وهذه اللفظة تدل على انه بدأ بمرحلة نفسية ثانية تتعدى اظهار الدهشة الى الاستياء الذي تبين بخاصة في تقبيحه لهم • فهو اذ يحدثهم عن جدّ أعدائهم في باطلهم وقعودهم وتخاذلهم في حقهم • يكرر معنى الانتصار الذي سلف الحديث عنه ، ولكنه في ذاته يقويه ويضاعفه ، وذلك اذ يظهر لهم أن انتصارهم يرمز الى انتصار الباطل كما ان انكسارهم يرمز الى انكسار الحق ، ذلك كله يؤدي بهم الى تمثل الخزي الذي لحق بهم ، ويضاعف شعورهم بالمنكر ، ويذهب بهم في الآن ذاته للاشتداد في القتال ليمحوا ذلك العار ، ويستعيدوا حقهم السليم ويدحروا الباطل • وهكذا فان الاخلاص هو العماد الاول في الخطابة الذي يفجر المعاني ويوحي الاساليب ايحاءاً نفسيا شديد التأثير • وينتهي أخيرا القائد الخطيب الى أن تلك الاجوبة توحي بأن هؤلاء القوم جبناء يهربون من مواجهة السيف ، عندما يقول (فاذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحر قلتم حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر ، واذا أمرتكم بالسير اليهم ضحى الشتاء قلتم أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر ، فأنتم والله من السيف أفر) •

ولا شك أن النتيجة التي خلص اليها القائد الخطيب هي نتيجة نفسية بخلاف النتائج المنطقية ، لكنها بالرغم من ذلك أشد تأثيرا من اليقين المنطقي لانها تتوسل بالادلة المنطقية في سبيل بحث حالة نفسية ، لهذا يمكننا القول ان الادلة والاقيسة الخطابية لها يقين المنطق وحرارة العاطفة والوجدانية •

ومن ناحية اخرى نرى القائد الخطيب الحجاج عندما ولي من قبل عبدالملك على العراق ، بعد ان استسرى أمر الفساد فيها ، فسار الحجاج الى الكوفة ومعه اثنا عشر راكبا وصعد المنبر وهو متلثم والقى فيهم خطبته الشهيرة التي استهلها بقوله : (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني ...) ولقد كان لهذه الخطبة وقع عظيم في نفوس السامعين ، حتى أن أحدهم كان قد جلب معه بعض الحصى ، وقد همَّ أن يرمي بها الحجاج ، فيما كان صامتا يترقب قدوم الناس الى المسجد الا أنه عندما سمع خطبته أخذت الحجارة تتساقط من يده خوفا ورعبا ورهبة . ونرى ان حياة هذا الرجل كانت شبيهة بسلسلة من الحروب ، يكاد لا ينتصر على عدو حتى يتصدى له عدو آخر وقد قتل عبدالله بن الجارود الذي ثار بأهل البصرة كما ان شبيبا الخارجي خرج عليه ففتك به وبدد شمل أتباعه ، ولعل أعم معاركه كانت تلك التي تصدى بها لابن الاشعث وكان قد جيش عليه جيشا من مائتي الف شخص . فانقض عليه الحجاج ، وهزمه في موقعة الجماجم .

ولقد حذق الحجاج القائد الخطيب الاسلوب الاوتوقراطي في القيادة وحذق أيضا فنون الارهاب ودأب عليه في قيادته ، لهذا نراه يوفق في أساليبه الارهابية حتى أنه لم يبق أحد من جنود المهلب الا وهرول خائفا الى القتال عند وصول الحجاج الى البصرة . أما الخطبة فهي تقترب الى خطبة زياد في التفاتها الى الغاية الارهابية الاصلاحية من دون تلك المقدمة الدينية التي تكرست في سنة الخطابة منذ أيام النبي(ص) . لقد أبتدأ الحجاج بتعريف نفسه ، تعريفا نفسيا أكثر منه تعريف نسبي . ثم ينقض عليهم كالصاعقة وقد غشى معانيه بكثير من التخيل حتى بدأت له الرؤوس وكأنها الثمر اليانع الذي حان له أن يقطفها . ومهما يكن فان الحجاج في اسلوبه

الخطابي يظل متأثرا بواقع البدو المشبعة به نفسيته • لذلك فان اسلوبه ينطوي على شيء من الاختلال الذي يرافق طبيعة النفس البدائية • الا ان ما يثير دهشتنا أن يعود الحجاج بعد أن قصف وزمجر وهدد المخاطبين بأرواحهم وأرزاقهم الى الاستشهاد بالآيات القرآنية التي توهم السامع بأن قائلها تقي ورع يعمل في سبيل الدين ويتبع أحكامه • فهو اذ يريد تمثيل واقع المخاطبين يذكر لهم الآيات القرآنية التي تقول (فكأنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا ، من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) • وهذه الآيات كانت ضرورية لان القائد كان يمثل السلطة الدينية والزمنية في آن واحد يتبين لنا ان من البديهي ان هذا التناقض بين الجدة والعبرة والظهر والبطن ، والسراء والضراء لم يتأت للخطيب القائد اتفاقا بل هنالك محاولة للتأليف والصناعة ظهرت وتأكدت في مزاوجة الالفاظ ومناقضتها فضلا عن مزاوجة المعاني • ويظهر أيضا ذلك الاعداد في تقسيم الخطبة الاموية وفي ميله لاسلوب فني نفسي يؤثر غاية التأثير على السامعين •

ولقد تأثر العرب أثر الفتوح بكثير من مظاهر الحضارة التي الفوها عند الامم الجديدة ولقد ظهر ذلك التأثير في النظم والشرائع المالية وجباية الضرائب واقامة الدواوين ، وربما ان النثر قد تأثر قليلا أو كثيرا باسلوب النثر اليوناني أما الخطابة فقد لبثت في مجملها عربية وذلك لأن القراء الخطباء لم يتأثروا بالامم الجديدة في خطبهم وانما لبثوا يتأثرون بالجاهليين في اسلوبهم بالرغم من ان القواد الخطباء الامويين كانوا أكثر توغلا نفسيا وفنيا من أولئك • فالسجع الذي كان يسيطر على الخطبة الجاهلية لبث مسيطرا على كثير من الخطب الاموية •

وانظر أيضا الى ما قاله القائد الخطيب عبدالملك بن مروان في العراق عندما دخل الكوفة بعد ان قتل مصعب بن الزبير أيها الناس ان الحرب صعبة مُرة وان السلم أمن ومسرة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها ، فعرفناها والفناها ، فنحن بنوها ، وهي امنا . أيها الناس فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الاهواء المردية وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الاولين ، وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة الا شرا ، ومن تزاد بعد الاعذار اليكم والحجة عليكم الا عقوبة .

وأخيرا نرى القائد الخطيب طارق بن زياد في خطبته بعد أن عبر البحر في الاندلس يقول أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات الا ما تستخلصون من أيدي عدوكم وان أمتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ، ذهب ريحكم وتعوضت القلوب عن رغبتها منكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغيه . فقد القت به اليكم مدينته الحصينة . وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم احذركم أمرا أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس . أبدأ بنفسي وأعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الالذ طويلا . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما نشأت هذه الجزيرة من الخيرات الصميمة . وقد انتخبكم الوليد بن عبدالملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا وافتانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان

والله تعالى ولى أنجالكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين • واعلموا اني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه • واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى • واحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل تسندون أموركم اليه ، وإن هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله •

لذلك نرى عندما كثرت الفتوح الخارجية والحروب الداخلية في عصر بني أمية استدعت ازدهار الخطابة الحربية في هذا العصر ، وهي الخطب التي تحض على قتال العدو وتذكي الحماسة في نفوس المقاتلين وتحملهم على الاستبسال والاستشهاد • والخبير بنفس العربي السريعة الانفعال والتأثر ، السريعة الاستجابة للكلام الرائع والبيان الناصع يقدر المنزلة التي احتلتها الخطابة الحربية في العصر الاموي ومدى انتفاع قادة الجيوش وزعماء الثائرين بالخطابة ومن هنا كان حرصهم عليها واستعمالها في كل موقعة يخوضونها بما كانت تغنيهم وفرة الابطال والسلاح • وحين كان عتاب بن ورقاء يقاتل شبيبا الخارجي أراد أن يستعين بالخطابة والقصص الحربية عزيمة رجاله واذكاء حماستهم فنادى أين الخطباء وأين القصاص فلم يجبه أحد ، فأسقط في يده وأيقن أنه هالك لا محالة • وكنا نتوقع أن تكون الخطب الحربية الأموية التي انتهت الينا متناسبة في وفرها مع كثرة الفتوح والحروب في هذا العصر ، ولكن ما وصلنا من هذه الخطب قليل جدا بالقياس الى عدد الغزوات والمعارك التي جرت في العصر الاموي ومما يلفت النظر اننا لا نجد خطبة واحدة قيلت أبان غزوات العرب لبلاد الروم ، ومن المحقق ان خطبا عديدة قيلت في هذه الفتوح وغيرها ولكنها فقدت فيما فقد من خطب العصر الاموي •

وتنقسم الخطب الحربية الاموية الى الاقسام الثلاثة التالية :

١ ـ خطب الفتوح والمغازي •

٢ ـ خطب الحروب الداخلية •

٣ ـ القصص •

فخطب الفتوح والمغازي ، يعمد القائد الخطيب العسكري الى ترغيب الجند في الجهاد ابتغاء ثواب الله ، وطمعا في الغنيمة والكسب ، واعلاء لكلمة الدين وراية الاسلام • وهو يذكرهم بالآيات القرآنية التي تعد المجاهدين بالنصر والفلاح والثواب العظيم ، ويزين لهم الاستشهاد في سبيل الله ، ويطرى شجاعتهم واقدامهم وبلاءهم في الحروب ويهون من شأن الاعداء ويستخف بقوتهم وعددهم ، ويحذرهم غدرهم وبياتهم ، ويخوفهم الهزيمة والفرار ومن وراءهما من خزي وعار يلصقان بهم أبد الدهر • وهذه خطبة صغيرة لقتيبة بن مسلم حين بلغه مسير جيوش الشاش وفرغانة نحوه ، وهي نموذج للخطابة الحربية (ان عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم ، وتأييده اياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم ، كل ذلك يفلجكم الله عليهم ، فاجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم وملوكهم • وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم ، وقد فضلكم الله بدينه ، فأبلوا الله بلاء حسنا تستوجبون به الثواب مع الذب عن أحسابكم) • وربما عمد الخطيب القائد الى تيئيس الجند من امكان الفرار وتخييرهم بين الاستبسال في مناجزة العدو وبين الهلاك المحقق بأيديهم كما رأينا ذلك في خطبة طارق بن زياد بالاندلس • وكذلك نرى نفس الاثر للخطابة في الفتوح الخارجية في الثورات أيضا فنجد القائد الخطيب يحض جماعته على القتال مدعين أنهم انما يجاهدون الكفار والمراق وان الله لذلك معهم ، وهو ناصرهم على عدوهم ، وان من قتل منهم فهو شهيد مصيره جنة الخلد •

وربما استعان ببعض الآيات القرآنية لشد العزائم واذكاء الحماسة والترغيب بالقتال ولابد له من اطراء شجاعة أنصاره وحسن بلائهم ، ومن تحقير أعدائهم واظهار الاستخفاف بهم ، وتخويف القوم من سوء العاقبة اذا ما منوا بالهزيمة ولم يذبوا عن أعراضهم وأحسابهم . وما هو ذا المهلب بن أبي صفرة يحض جنده على قتال الازارقة فيقول (يا أيها الناس ، انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج ، وانهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم ، وسفكوا دماءكم ... فالقوهم بجد وحد ، فانما هم مهنتكم وعبيدكم ، وعار عليكم ونقص في أحسابكم وأديانكم ان يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطئوا حريمكم) وربما ضمن القائد خطبته الخطة الواجب اتباعها في مقاتلة العدو ، وتحذير جماعته من البيات والغرة ، وتذكيرهم بوجوب الاحتراس والحذر . نجد مثلا المستورد بن علفة يقول من خطبة له يشرح فيها لجماعته من الخوارج خطته في لقاء العدو (اني قد نظرت فيما استنشرتكم فيه ، فرأيت ألا أقيم لهم حتى يقدموا علي ، وهم حامون متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمعن ، فانهم اذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا ، فتقطعوا وتبددوا ، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل) .

وقد يجنح القائد الخطيب الى التعنيف والتقريع والانذار والوعيد ، واذا آنس من رجاله الوهن والعجز ، والتراخي في قراع الاعداء . فعل مسلم بن عقبة حين وقف يحرض أهل الشام على قتال أهل المدينة في موقعة الحرة ويقول (يا أهل الشام ، أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدافعوا به عن دينهم ، وأن يعزوا به نصر امامهم . قبح الله قتالكم منذ اليوم ، ما اوجعه لقلبي ، وأغيظه لنفسي ، أما والله ما جزاؤكم عليه الا أن تحرموا العطاء وان تجبروا في أقاص الثغور . شدوا مع هذه

الراية ، ترّح الله وجوهكم ان لم تعتبروا) •

ثم نرى أحيانا الاستعانة بالقصص بالاضافة الى الخطابة في تحريض القوم على القتال ويبدو مما أوردناه قبل من كلام عتـاب بن ورقـاء ان الاعتماد على القصص في الحروب والمغازي أصبح شيئا مألوفا في عصر بني أمية • ويذكر الطبري أن ابن الاشعث اصطحب معه حين ثار على الحجاج ، ذرا القاص وكساه وأعطاه • وكانت خطب القـاص يمتزج فيهـا الوعظ بالحض على القتال والترغيب في الجهاد وكان القائد القاص يحرص عـلى التمثل بآيات من القرآن الكريم تؤدي الغرض المقصود من اثارة حماسـة المقاتلين وترغيبهم في القتال وحثهم على الاستشـهاد في سبيل الله ، وربمـا عمد الى تفسير هذه الآيات وشرحها مستعينا بقصص الانبياء وأحاديث الامم الغابرة • وتختلف القصص عن الخطب الحربية الخالصة بأنه أكثر اتكاء على المعاني الدينية والآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وبامتزاجه بالوعظ والتزهيد في الدنيا ، وبأن عنصر الترغيب فيـه معنوي لا مادي • فالقـائد القـاص لا يرغب في نيل المغانم الحربية وانما يرغب في نيل ثـواب الله ودخوله جنتـه والتمتع فيما وعد الله عباده الصـالحين • ومن القصص التي وصلتنا بعض قصص صالح بن مسرح ، أحد رؤوس وقواد الصفرية ، فمن قصصه قوله (••• فتيسروا رحمكم الله ، لجهاد هـذه الاحـزاب المتحزبة ، وأئمة الظلال الظالمة ، وللخروج من دار الفناء الى دار البقاء ، واللحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخـرة ، وأنفقـوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل ، فان القتل أيسر من الموت ، والموت نازل بكم ، غير ما ترجم الظنون ، فمفرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ، وحلائلكم ودنيـاكم ، وان اشـتد لذلك كرهكم وجزعكم • الا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنـة آمنين ،

وتعانقوا الحور العين) .

أما الوصايا الحربية فكانت الغاية منها تعريف الموصى له بأساليب القتال في حالتي الهجوم والدفاع ، وفقا لاصول فن الحرب (التكتيك) المتبعة في ذلك العصر . وليس بين أيدينا وصايا خطابية مفصلة دقيقة توضح لنا الخطط الحربية التي كان قادة الجيوش يجرون عليها . وقد روى ابن عبد ربه وضية لعبدالملك وجهها الى قائد له سيره الى بلاد الروم وهي غاية في الايجاز (أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي ان وجد ربحا اتجر ، والا يحتفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك) وكان قتيبة بن مسلم يوصي رجاله فيقول : (اذا غزوتم فأطيلوا الاظفار ، وقصروا الشعور ، والحظوا الناس شزرا ، وكلموهم رمزا ، واطعنوهم وخزا) وقد كانت الوصايا الحربية المكتوبة أكثر شيوعا وأوفر عناية بالتفصيل والتوضيح ونرى أن الرسول (ص) دعا المسلمين الى الجهاد لنشر الدعوة الاسلامية في الامم المجاورة للعرب نوجد ضربا آخرا من الخطابة الغاية منه الحث على الجهاد في سبيل الله . وما بثت خطبة الجهاد أن ازدهرت باتساع الفتوح الاسلامية بالاضافة الى القصص كما قلنا التي تتولى الحث على الجهاد وتذكير المسلمين بما ينتظرهم من الثواب الكريم اذا أحسنوا البلاء في قتال المشركين . وكان الرسول (ص) وخلفاؤه من بعده يبعثون القواد والعمال والولاة الى الامصار . فاذا قدم القائد مصره قام خطيبا في الناس وبين لهم خطته التي يسير عليها . وقد أصبحت هذه الخطبة سنة الخلفاء والقواد والولاة يستهلون بها ولايتهم وقيادتهم .

فالصراع الحربي الذي شهده العصر الأموي من أجل توسيع رقعة

البلاد الاسلامية كان من شأن هذه الاحداث كلها ان ازدهرت الخطابة العسكرية ـ الحربية في هذا العصر ازدهارا لم تحظ به في أي عصر آخر اد انها كانت أحد الاسلحة الماضية التي استخدمت أبان هذا الصراع العنيف ، وكان لها أثرها في الخطابة الاموية •

ومن مميزات الأسلوب الخطابي الحربي للقواد أنه يهدف الى اثارة مشاعر الجنود والتلاعب بعواطفهم • ومخاطبة العواطف تحتاج الى اسلوب خاص هو الاسلوب العاطفي • ومن ركائز هذا الاسلوب الاتكاء على الاسلوب الانشائي باستخدام صيغ النداء والتعجب والاستفهام والتساؤل والتمني والخطاب (الامر والنهي) مع ما تؤديه هذه الصيغ من معان اضافية كالتوبيخ والتقريع والتهديد والدعاء والتيئيس والتهكم والتحقير ونحو ذلك • ومن ركائز هذا الاسلوب أيضا البراعة في استخدام الالفاظ القوية الايحاء أو التي تؤثر في النفس بجرسها ورنينها • ومن ركائزه اللجوء الى ايراد الصور المثيرة للخيال بقصد التهديد أو الاغراء أو التنفير أو غير ذلك • ومن ركائزه أخيرا اللجوء الى اسلوب التوكيد من ق استخدام أدوات التوكيد البلاغية والقسم والتكرار • وكل أولئك من سمات الخطابة الحربية الاموية مع تفاوت القواد في مدى براعتهم في اسلوب استخدام الاسلوب العاطفي • وهنا مقطع من خطبة زياد البتراء تمثل هذا الاسلوب « أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه ، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله • ما هذه المواخير المنصوبة • والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ، ألم يكن منكم نهاة تمنع الغوات عن دلج الليل وغارة النهار ••• واني أقسم بالله ، لآخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ،

والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أنج سعدُ فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لي قناتكم » .

والاسلوب التصويري كان أيضا أحد الاساليب التي تتبع من قبل القواد الخطباء ، فالقائد الماهر يدرك أن من أنجع السبل لاثارة شعور المخاطبين والتلاعب بعواطفهم اتباع الاسلوب التصويري في التعبير عن أفكاره ومعانيه . ومن المؤكد أن الصورة الخيالية تفعل في النفس ما لا يفعله اداء الفكرة اداء حقيقيا مباشرا . وهذه الحقيقة الفنية ادركها القواد الخطباء المتازون ففسحوا للتعبير الخيالي مكانا رحبا في خطبهم واستعانوا بالصور في أداء معانيهم وهاهو ذا عتبة بن أبي سفيان يلجأ الى الاسلوب التصويري في مخاطبة أهل مصر فيقول : (يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا اياكم بأطراف الرماح وظبات السيوف ، حتى صرنا شجى في لهواتكم ، ما تسيغه حلوقكم ، واقذاء في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم) . وهذه صورة للموت يأتي بها ابن الزبير في خطبة له (أيها الناس ان الموت قد أظلكم سحابه وأحدق بكم ربابه ، واحسع بعد برق ، وأرزجن بعد سنو ورجس جوكم رعده ، وهو مفرغ عليكم ودقه) وأبرع القواد الخطباء في عصر بني أمية اصطناعا للاسلوب التصويري الحجاج ، وهو يعمد الاتيان بالصور المخيفة ارهابا لاعدائه ، ولا ريب أن سامعيه قد أخذهم الرعب وهم يسمعونه يشبه رؤوسهم بالثمار اليانعة التي حان قطافها في خطبته المشهورة في الكوفة .

وقد شبه نفسه في هذه الخطبة بالسهم القوى قد اختاره الخليفة قائدا بين سهام كثيرة تمتليء بها كنانته ليرمى بها أعداءه وخطبته هذه مزدحمة بالصور والاخيلة . ويتسم اسلوب الخطابة العسكرية في العصر الاموي

على وجه الاجمال بالحرارة والحياة والعنف والقوة ويصور في فحواهـا هذه اندفاع العاطفة وقوة الشعور ويعكس طبيعة العربي الغضوب السريعة الانفعال والتأثر ، وهو قل أن يتجه الى العقل أو يخاطب الفكر ، فهو ليس من قبيل الاسلوب المنطقي الهادىء الذي يتوخى اقناع المخاطب عن طريق الحجة والدليل العقلي وانما اسلوب عاطفي ملتهب يتوخى قبل كل شيء التأثير الوجداني والاستحالة العاطفية .

ونلاحظ في الخطب الحربية في الفترة الاموية شيوع الفاظ وتعابير خاصة ، فكان القائد كثيرا مايخاطب جنده بقوله (يا شرطة الله) واذا أراد التهوين من شأن الاعداء وتصوير قلة عددهم قال « انما هم (أكلة رأس) » وربما أهاب القائد بجنده أن « يعيروه جماجمهمْ ساعةً من نهـار » وهو تعبير طريف كان يحمل المقاتلين على الابتسام على رغم عبوس المعركة ، لما ينطوي عليه من المفارقة في جعل الجماجم تستعار ، وكأنها قدور أو مواعين ، وكان القائد الخطيب الماهر ربما صـور الامور على غير حقيقتهـا مصدقه سامعوه بفضل مهارته البيانية وذلاقة لسانه وقوة حجته . وقد روى عن مالك بن دينار قوله (ما رأيت أحداً أبين من الحجاج ان كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم اليه حتى أقول في نفسي لاحسبه صادقا ، واني لاظنهم ظالمين له) . وكان لكلام هؤلاء القواد أبلغ الوقع في النفوس . والخلاصة فان الخطابة العسكرية هي فن مشافهة القائد لمرؤوسيه ، والضابط لجنوده واقناعهم واستجالتهم ، فلابد اذن من مشافهة والا كانت كتابة أو شعرا مدونا ، ولابد من مرؤوسين يستمعون والا كان الكلام حديثا أو وصية . ولابد من الاقناع ، وذلك بأن يوضح القائد الخطيب رأيه للسامعين ، ويؤيده بالبراهين ، ليعتقدوه كمـا اعتقده . ثم لابد من الاستحالة ، والمراد بها أن يهيج القائد الخطيب نفوس سامعيه

أو يهدئها ، ويقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف شاء ، سارا أو محزنا مضحكا أو مبكيا ، داعيا الى الثورة أو السكينة . واذن فاسس الخطابة العسكرية كغيرها من الخطابة مشافهة ، ومستمعون (جمهور) واقناع واستمالة . ومن السهل بعد ذلك أن يتبين قصور تعريف الخطابة بأنها "فن" الكلام الجيد ، لان الكلام الجيد يشمل الخطابة والكتابة والشعر . ومن السهل أيضا أن نرى نقصا في تعريفها بأنها القدرة على النظر في كل ما يوصل الى الاقناع في أية مسألة من المسائل لان كثيرا من الكتب مقنعه وكثيرا من الكتاب مقنعون لان الاساتذة في شرحهم ومحاضراتهم مقنعون وليس واحد من هؤلاء قائدا خطيبا . لانهم يتوجهون الى العقل لا الى العاطفة ، فهم يقنعون ولكنهم لا يستميلون . ثم من السهل أن نجد نقصا في تعريف الخطابة العسكرية بأنها فن الاستمالة لان المنظر الطبيعي الرائع يستميل الذواقين للجمال وليس خطبه ، ولان الممثل البارع يستميل النظارة باشاراته [illegible] حركته أو زيه أو وقفته دون ان ينطق فليس بخطيب ، ولان البائس العاري الجسد ، المهلهل الثوب المغضن الوجه ، المعروق الجسد قد يستميل المحسن بمنظره هذا وما هو بقائد خطيب . لذلك كانت الخطابة بصورة عامه والخطابه العسكرية بصورة خاصة سلاح المجتمع الانساني في سلمه وحربه ، وفي ترقيه والاسراع به نحو المثل الاعلى الذي يجب أن يقصد فبلاغ البنين الى أممهم والراح الذي يسكن القواد في نفوس جنودهم قبيل المعركة . فيهطعون باسمين الى قتال أعدائهم ، وغصن الزيتون يلوح به دعاة السلام في عالم كثر به العداء والخصام ، والقوة الساحرة التي يقود بها الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون اممهم الى حياة أرقى وأعز وأبقى ، والنور الذي يهدى به القضاة الى العدالة وتبرئة المظلوم والقصاص من الباغي ليس ببدعة . ثم هي في العصر الحديث خاصة

عدة الزعماء تستند اليها الديمقراطية ، وتعتمد عليها الدكتاتورية ، ويتسلح بها المؤتمرون في المجامع الدولية ، ويصـعد عليها النواب الى قمة الشهرة وذيوع الاحدوثة ، ويرتقي بها المحامون الى الصيت الطائر والثراء الغامر •

فلا عجب أن أقام (سنيكا) من البلاغة والخطابة الحربيـة إلاهاً مجهولا في صدر البليغ القائد الخطيب • وجعلها (كانتيليان) الواسـطة للحصول على الحقيقة • ووصفها (كنار) في القلب والتصور • ومثلها الاقدمون باله يتكلم فتخرج من فمه سلاسل من ذهب تربط السامعين • ولا عجب أن قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن من البيان لسحرا » فان كانت الخطابة لها هذا الاثر العظيم في حياة الامم والجماعات والافراد فهـي جديرة بأن تدرس وجديرة بأن توضـع لها أصول • ذلك ان فن الخطابة العسكرية يحاول تحليل الخطب العسكرية واستنباط الاصـول العامـة للخطابة الناجحة ، ويرسـم السبل التي يسلكها القائد الخطيب ليستميل جنوده ويقنعهم • وبهذا تقوى الخطابة الحربية ، ويتزود الضباط الخطباء بتجارب سابقيهم وتنضج مواهبهم ويقفون على خصـائص القـواد الخطبـاء الكبار وعلى ما في خطبهم العسكرية من دقائق كفلت لهم البراعة • ومنـذ القدم وضع أرسطو للخطابة اصولا ما تزال تراعى وقرر انها فن (ان كل الناس يلجأون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة ، وبعض الناس يمارس الخطابة والجدل فطرة وسليقة ، وبعضـهم الآخر يمارسها بالمرانة التـي اكتسبها من مقتضيات الحياة ، والوسيلتان ممكنتان ، فواضح أن تكون هناك طريقة ، وأن يكون هناك مجال لتوجيه تطبيقها ، ولضرورة النظر في السبب الذي يؤدى الى انجاح هذا العمل المنساق بالعـادة ، أو المندفع بالفطـرة والسليقة ، لا يشك انسان في أن مثل هذه الدراسة من خاصة الفن) ولقد يعترض معترض بأن الخطابة بصورة عامة والخطابة الحربية بصورة خاصة

سلاح ذو حدين ، فهي أحيانا تتخذ وسيلة للشر والايذاء ونصرة الباطل على الحق ، ويجيب أرسطو على ذلك بقوله : « هذا الاعتراف يرد ـ اذا استثنينا الفضيلة ـ على كل خير ومفيد ، كالقوة والصحة واليسار والقيادة العسكرية ، فهذه كلها وسائل للعمل ، قد تؤدي الى خير كثير لو أحسن الانتفاع بها ، وقد تؤدى الى كثير من الشرور لو اسيء تطبيقها » فمن صفات القائد الخطيب الفصاحة وسعة الثقافة وسرعة البديهة وحرارة العاطفة وروعة المنظر وجودة الالقاء : الوقفة ـ حسن الاشارة جهارة الصوت ـ جمال الهندام ـ جمال الخلق • ومعرفة نفسية جنوده ، فهدف القائد الخطيب أن يتغلغل في نفوس جنوده ، فيصرفها كما يشاء ، معتمدا على اثارة عواطفهم واشعال مشاعرهم• وسبيله الى ذلك أن يلم بعلم النفس الاجتماعي وبصورة خاصة العسكري ليعرف روح المجتمع وعقليته ، ويقف على طبائع النفوس وعواطفها ، ويعمل ما يثير هذا المجتمع العسكري أو يهدئه ، وما يرضيه أو يغضبه وأي الاساليب ملائم له : أهو اسلوب البسط والاطناب ؟ أم اسلوب الايجاز والاشارة والاقتضاب ؟ •

والقائد الخطيب الناجح من امتزجت بروح السامعين روحه ، فكان هو وهم كسلكين كهربائيين سالب وموجب ، يلتقيان فيشع منهما ضوء وحرارة • فالعواطف تختلف حسب الموضوعات من سكينة وهياج ، وطمأنينة وخوف وكره وحب ورضا وسخط ، وتختلف فيما يثيرها فعواطف الفقير يثيرها ما لا تثيرها عواطف الفنان وعواطف الشباب يهيجها غير ما يهيج عواطف الشيوخ• ثم هي تختلف تبعا لمزاج السامعين ، وليولهم، فبعضهم مثلا حساس فيما يتصل بالوطنية وبعضهم فيما يتصل بالدين أو الفضيلة وهكذا •

فمثلا للخطابة الحربية أدلة وجدانية تثير الرغبة والاحساس ، وهذه صالحة للتأثير على السامعين في مجال الوعظ والارشاد واشعال ثورة أو اخمادها ومثلها خطبة شكسبير التي صاغها على لسان انطونيو في تأبين قيصر في رواية (يوليوس قيصر) فقد سحر الجماهير وقلبهم من مؤيدين لقتلة قيصر الى ناقمين عليهم ، ملتاعين لمصرعه مطالبين بثأره . ومن أمثلتها خطبة الامام علي (ع) وقد أغار الضحاك بن قيس على الحيرة من قبل معاوية وغنم من أموال أهلها فاستصرخ علي (ع) الناس فتقاعدوا فقام فيها قائدا خطيبا فوبخهم وقرعهم بأدلة خطابية ثم استحثهم على القتال والجهاد لحماية أعراضهم ودينهم ثم أقسم لهم انه لن يصدقهم ولن يرجو نصرتهم ثم عجب من أن يكونوا رجالا كرجال معاوية ، ولكنهم لا يعملون عمل الرجال . ثم لابد للقائد الخطيب من دراية بنفسية جنوده ليشوقهم دائمنا حتى لا يملّوا ، فأن أحس من نظراتهم فترة ، أو من حركاتهم مللا شوقهم بفكاهة مناسبة ، أو قصة طريفة ملائمة ، أو عبارات ملهبة ، فأنهم أن ملوا انصرفوا عنه ، وصار يخطب لنفسه . ولذا قال عبدالله بن مسعود : (حدث الناس ما حدث بأسماعهم ، ولحظوك بأبصارهم ، فأذا رأيت منهم فترة فأمسك) . لذلك قام عدي بن حاتم الطائي يخطب في الناس ليستفزهم الى نصرة علي ابن ابي طالب(ع) ، وهو يعلم أن الامل ، ثواب الاخرة لا يكفي وحده في بعث عزائمهم وترغيبهم في الاقدام على الحرب ، فحبب اليهم القتال بباعث آخر أضافة الى ثواب الاخرة هو المغانم فقال فيهم (قد كنتم في الجاهلية تقاتلون على الدنيا ، فقاتلوا في الاسلام على الآخرة ، فأن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، وأنا ادعوكم الى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنت عنكم الوفاء . وقد اظلكم علي والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار فكونوا اكثرهم عدداً ، فأن هذا سبيل للحرب فيه الفن والسرور ،

وللقتيل فيه الحياة والرزق) يشير بهذا الى قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

وهناك أسباب كثيرة لرقي الخطابة الحربية ومنها الحروب والثورات ، فقد تندلع في الشعب ثورات تنجلى على رجات تهز النفوس ، وتفك عقد الألسنة وتكشف عن وجهات نظر شتى فتنعش الخطابة بصورة عامة والخطابة الحربية بصورة خاصة وينفسح ميدانها كما حدث في الثورة الفرنسية وغيرها من الدول .

وقد تشتعل حرب بين أمتين لطمع أحداهما في الاخرى أو منافستها لها في مكانة أو مجال حيوي أو جريا وراء شهرة الغلب أو انتقاما وثأرا .. الخ فتنطلق الالسنة الداعية الى جمع الكلمة ووحدة الغاية ، وبذل المال والروح كما كان يحدث بين القبائل العربية وبين الجمهوريات اليونانية وكما حدث في الحرب العالمية الأخيرة . فكم من الخطب سمع العالم وقرأ لهتلر وموسليني وتشرشل وروزفلت وكما حدث في الجمهورية العربية أيام حرب العدوان الثلاثي . وكثيرا ما يسكر القائد جنوده بخطبة قبل خوض المعركة يحبب اليهم الجود بالنفس ، ويمنيهم بالنصر ويرهبهم عواقب الهزيمة ، كما فعل طارق بن زياد لما عبر الى الأندلس ، وكما فعل نابليون قبل موقعة أمابة ، وكما كان جمال عبدالناصر يخطب ليجند الشعب كله أيام العدوان الثلاثي . سبق أن قلنا أن الخطابة لابد أن تكون في جمع من الناس ، يحاول القائد الخطيب أقناعهم ويجد في استمالتهم ، وسبق أن قلنا أن القائد الخطيب لابد أن يعرف نفسية جنوده وعقليتهم ، ليسلك المسالك الموصلة الى أقناعهم واستثارتهم والتصرف في مشاعرهم . لذلك أن القائد الخطيب هو أحوج الى الاستمالة منه الى الاقناع لأن الجماعة العسكرية أقدر على العمل منها على التفكير . لذلك فهو بحاجة الى

وحدة شعورها وتفكيرها وأهم ما تمتاز به الجماعة العسكرية سريان روح عامة تصوغ افرادها على شعور واحد • وتفكير واحد فتعمل بطريقة تغاير طريقة الفرد ، سواء تشابه أفراد الجمع العسكري أو تغايروا في أعمالهم وأخلاقهم ومداركهم • وسبب ذلك انضمامهم وصيرورتهم جماعة واحدة • ومن الافكار والمشاعر ما لا يتولد أو يتحول فيخرج من القوة الى الفعل الا عند الفرد في جماعة فالجماعة ذات عارضة متألفة من عناصر مختلفة أتصل بعضها ببعض الى أجل ، كخليات الجسم الحي التي ولدت بأتصالها ذاتا أخرى لها صفات غير صفات كل خلية منها • ولا يوجد بين العناصر التي تكون منها الجماعة حد وسط وانما الذي يوجد مزيج وصفات جديدة كما يحدث في الجواهر الكيمياوية • الا ترى أنك اذا جمعت جوهرين مثل القواعد والاحماض تولد عن اجتماعهما جسم جديد ذو خواص تخالف تماما خواص كل واحد من الجوهرين •

ثم خضوع الجماعة العسكرية لسلطان الوجدان أقوى من خضوعها لسلطان الفكرة ، لان الأفراد أن فرقت بينهم الخواص الفكرية المتأثرة بالبيئة ، والوراثة الخاصة ، والمواهب الطبيعية فأنهم يتشابهون في الخواص الوجدانية والشهوات (وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الامور التي مرجعها الى الوجدان كالدين والسياسه والادب والميل والنفور وهكذا الا نادرا ، فقد يكون بين الرياضي الكبير وشخص بعيد عن الرياضة بعد كالبعد ما بين السماء والارض من حيث العقل والذكاء ، ولكن الفرق بينهما في الطباع معدوم في الغالب أو هو ضعيف جدا ، ولذلك اذا اجتمع الجنود أو الضباط في مجتمع عسكري خضعوا للوجدان والعواطف والأهواء ، وأستترت قدراتهم العقلية وانزوى التفكير الفردي وصار السلطان للخواص المتشابهة النابعة من الوجدان • فالجماعة العسكرية تسيرها عواطفها

ولا يحكمها عقلها ، حتى انك لا تجد فرقا كبيرا فيما يقرره جمع من نخبة الرجال ذوى الكفاءات المختلفة وما يقرره جمع كله من البلداء أن يشتركوا في موضوع المنفعة العامة ، لانهم لا يمكنهم أن يشتركوا في هذا العمل الا بالصفات العادية التي لكل الناس . فالذي يغلب في الجماعات البلاهة لا الفطنة ولست أوافق جوستاف لوبون في هذا الرأي موافقة كاملة ، فأن علماء الاجتماع الآن أصطلحوا على أن الجماعة خاضعة للأفكار أيضا الى جانب العواطف ولكن مما لا مساغ للشك أن العواطف تتحكم في الجماعات البدائية أكثر من العقل ، فعلى القائد الخطيب أن يثير بخطبته العاطفة والشعور ، لينقل أحاسيسه ومشاعره الى مستمعيه .

قال ذلاير (إن الذي يكتفي بالأقناع دون التحمس متكلم لا بليغ).

وقال ميرابو : (انما السر في البلاغة الخطابية أن يكون الانسان ملتهباً بالعواطف) .

ولقد يتأثر بروح الجماعة العسكرية حتى المسير ، فيطبع بطابعها ، ويتسم بالسذاجة وسرعة التصديق ، ويصير ثائرا عنيفا تخلبه الألفاظ والصور الخلابة وهذا لم يكن ليهدهد قلبه ويمتلك عواطفه لو انه منفرد . وذلك هو السر في أن المحلفين يقررون أمورا يرفضها كل منهم أذا عرضت عليه منفردا ، لأن ثقافتهم ليست قانونية ، فهم يخضعون للظروف ، وعرف أن المجالس النيابية تسن قوانين أحيانا لا يرضاها الاعضاء منفردين . ولقد يفقد الفرد استقلاله الذاتي اذا انخرط في الجمع ، وتتبدل أفكاره ومشاعره فيصير البخيل جوادا ويستحيل المتردد موقنا وينقلب الجبان شجاعا (هكذا قرر الشرفاء لما تحمسوا ليلة ٤ أغسطس سنة ١٧٨٩ التنازل عن امتيازاتهم)

ومن المحقق أنه لو طلب ذلك من كل واحد منهم على أنفراد لرفضه رفضا باتا ، وحتى أن الفرد يستطيع أن يسهم مختارا في ايجاد بعض الانفعالات الاجتماعيه ، فأن الحاله النفسة التي يشعر بها في الجماعة مغايرة لما يشعر به منفردا •

فأذا انفض الجمع العسكري وكفت العوامل الاجتماعية عن التأثير فيهم ووجد كل أمرىء منهم نفسه وجها لوجه فأن العواطف التي مرت بشعورهم قبل ذلك تبدو لهم غريبة الى حد لا يكادون تصديقها أنها قد مرت بشعورهم فعلا •

ومن الممكن أن يندفع بعض الافراد المسالمين كل المسالمة الى القيام بأعمال همجية متى وجدوا في جماعة • وينطبق هذا الانفجار الاجتماعي المؤقت على حركات الرأى العام الأكثر دواما •

أي على تلك التيارات الأجتماعية التي تحدث في بيئتنا دون أنقطاع ، أي التي تنشأ أما في المجتمع بأسره وأما في بعض دوائره الضيقة التي تمس العقائد الدينية والسياسة أو التي تتعلق بالآراء الأدبية والفنية وغيرها • فالعواطف الاجتماعة التي تنفجر في حفل ليست معبرة فقط عن مقدار من العاطفة مشتركه بين أفراد هذا الحفل ، بل هي معبرة ايضا عن شيء جديد فهي وليدة الحياة في جماعه ، لأن المجتمع ليس مجرد مجموعة من الافراد وأنما هو مركب جديد ينشأ من أتحادهم ولهذا المركب صفاته الخاصة • فليعلم القائد الخطيب أن الجماعة العسكرية تنقاد بالايستهواء والتأثير أكثر ما تنقاد بالمحاجة والاقناع وأنها وأن كانت أضأل من الفرد تفكيرا ، وأقل نزوية ، فانها أغزر شعورا وأسرع استجابة ، وهي قابلة لأن تقاد الى الخير والى الشر • فليستفزها القواد الخطباء الى الغيرة على الوطن والذود عن الشرف ، والى التضحية ، لنصرة الحق والدين والى التفاني في كسب

المجد والفخار فانهم حينئذٍ يهزون أوتار القلوب فيستجيب لهم الشباب والشيب •

وسرعان ما ينتشر الشعور هذا في الجماعه العسكرية بالتأثير والعدوى ويشتد هذا الشعور ويقوى باتفاق الكل على قبوله ، فتتفانى فيه الجماعه ، لأنها دائما تغالي في شعورها ، ولذلك لا تستهويها الا المشاعر المغالى فيها • فالقائد الخطيب التواق الى قيادتها محتاج الى الاكثار من التوكيد والتكرار والمبالغه ، لان الجماعه العسكرية تتطلب من أبطالها الغلو ايضا في مشاعرهم فمنهم القبس الاول الذي يسري في الجماعه العسكريه نورا يهدي أو نارا تحرق وقد شوهد ان الجماعه تطلب من أبطال الروايات في المسارح شجاعه واخلاقا وفضائل ليست لاحد في الوجود الحقيقي

وتأثر الجماعه بالعدوى ظاهرة أجتماعية لا نفسيه ، معتمده على المحاكاة ، كأن يصفق الصف الاول مثلا فتصفق الصفوف الاخرى • أو يهتف شخص فيردد الجميع هتافه • وهم في عملهم هذا مدفوعون بشعورهم لا بفكرهم ، فالتأثر بالعدوى خارجي لا داخلي وكثيرا ما يتأثر الفرد في الجماعة بعدوى شعورية فيأتي عملا ، فأذا انفرد وفكر فيما أتى دهش من نفسه أو خجل ولو ان شعوره كان داخليا نفسيا ما دهش ولا خجل ونجد هذا في المحافل فمثلا الهتافات وفي التأثر الوقتي الذي لا يلبث أن يزول أو يضعف ، ثم في الاحكام العامة التي تصدرها الجماعات غير مستندة الى تعلل ولا تحليل ، وانما هي نوع من الايحاء والعدوى • ويمكن للقائد الخطيب أن يلعب بخيال الجماعة العسكرية ، كيف يصور القائد الخطيب عاطفته ؟ وكيف يشرك الجمع معه في هذه العاطفة ؟ وسيلته الى ذلك الخيال والتصوير ، في الخيال جاذبية وسحر وتهويل

وتشويق ، وتغيير للعقل ، والهاب للعاطفة . ولكن ليحذر القائد الخطيب من أن يغرق في الخيال أو يلتزم وتيرة واحـدة حتى لا يُسْئِم السـامعين ويفترهم ، كمن يطول به السفر في قطار يقعقع فيغالبه النوم . وحتـى النغمات الموسيقية تحل وتنوم أن لم يكن فيها تنويع وتغيير ، وصوت المغني والمغنية وأن كان حلوا عذبا مطربا ، يسأم اذا لم يسعفه التلحين بتغير النغمات وتنويع النبرات . كذلك الخطبة العسـكرية أن ازدحمت فيهـا المعانـي الشعرية والصور الخيالية وتسمها بطابع التشابه ووحدة المنظر ، فأضعفت أثرها وأنامت المسـتمعين لها . والجماعـة العسـكرية تتأثر بالصور التي يرسمها لها ممثل نكبة أو خيانة أو تضحية ... الخ لتأثرهـا بالحوادث التي تراها وتشارك فيها ، فهي تشبه حالم اليقضـة يغفو وعيه ، وينطلق عقله الباطن فيرسم أحلاما ورؤيا ، فاذا ما تنبه الوعي ذهبت بددا .

فالتخيل هو الطريق الى استمالة الجماعة العسكرية ، والصور هي التي تجذبها ، وهي التي تفزعها ، وهل أقبال الجموع على المسـارح ودور الخيالة الا من نتائج هـذا الميل ؟ لان الصـور هنـاك مختلفة في أجلـى معارضها ، فيها مبالغة ، وتحيط بهـا ظروف تعظم من شـأنها كالملابس والاضـواء .

وليست وسيلة التخيل أن تخاطب العقل وأ تلجأ الى المنطق والبحث ، فأن أنطونيو لم يوغر صدور الشعب على قاتلي قيصر ببلاغة العبارة وقوة الدّليل ، بل أوغرها بقراءته وصية القتيل وأشارته الى جثته . انماَ وسيلة التخيل توليد صـور واضحة مؤثرة م فيها ايهام وادهاش وهـزة ورجـة (مائة جرم صغير أو مائة رزء صغير لا يؤثر أقل تأثير في تصور الجماعات لكن جرما واحدا كبيرا أو رزءا كبيرا واحدا يؤثر فيها أثرا شديدا ، وان قلّ ضرره كثيرا عن ضرر مائة الرزء كلها لان الحوادث لا تؤثر في تخيل

الجماعات بذاتها ، بل المؤثر كيفية وقوعها وكيفية تمثيلها) • فالقائد الخطيب الذي يعرف طريقة التأثير في تخيل الجماعة العسكرية هو الجدير بأن يقودها وينتزعها • ويضرب جوستاف لوبون مثلا على تأثر الجماعة بحادثة واحدة ـ لانها ارتبطت بصورة مثيرة اكثر من تأثيرها بحوادث مشابهة لم ترتبط بصور ـ أن أحدى البواخر انقطعت أخبارها ، فظن أنها غرقت ، فكان لهذا الظن تأثير كبير في خيال الجماعات دام نحو ثمانية أيام ، ودل الاحصاء على غرق ٨٥٠ مركبا شراعيا و ٢٠٢ مركبا تجاريا في سنة ١٩٥٤ وفقدت معها ارواح وأموال لا تقدر قيمتها ، ومع ذلك لم تشغل هذه الخسائر الناس لحظة واحدة •

ويجب أن يكون القائد الخطيب ذا نفوذ شخصي ، وكما قلنا هذا النفوذ يتأتى من أن الجماعة العسكرية تتأثر بالتوكيد ، ويزداد تأثرها به أذا كان موجزا وخاليا من التدليل والاحتكام الى العقل ، ولابد من تكرار هذا التوكيد ليعمق أثره ، ويرسخ في القلوب سلطانه ، واذا ما أكد أمر وكرر نجم عن التكرار والتوكيد تيار فكري هو العدوى • ومما يقوي تأثير التكرار والتوكيد والعدوى أن يكون القائد الخطيب ذا نفوذ ، يملأ القلوب روعة ، ويقبض على أزمة العواطف بسلطانه الروحي • وقد يكون النفوذ من مظاهر بعيدة عن نفسية القائد وشخصيته ، وقد يكون نفسيا شخصيا ، فالاول مستمد مثلا من رنين أسم القائد الخطيب وشهرته أو وظيفته أو لقبه أو زيه أو سمعته ولذا قال (بسكال) بضرورة الجبه والشعر للقضاة ، ولولاهما لفقدوا ثلاثة أرباع نفوذهم • وروى الجاحظ أن أياس إبن معاوية المزني أتى حلقة لقريش في مسجد دمشق فأستولى على المجلس، ورأوه أحمر دميما ، رث الهيئة قشيفا ، فأستهانوا به ، فلما عرفوه أعتذروا

اليه وقالوا : (الذنب مقسوم بيننا وبينك ، آتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك) .

وقد يكون النفوذ للفكرة نفسها ، وهو نفوذ اكتسبته من التكرار وتقبل الأجيال (فمثلا مطالعة هوميروس تورث قراء هذا الزمن مللا شديدا، ولكن لا يجرأ أحد على القول به) .

والنفوذ الشخصي قوة مغناطيسية لدى القواد يسيطرون على غيرهم ، ويجذبونهم الى آرائهم . وكان هذا سلاح الانبياء ، وميزة من مزايا بعض الزعماء والقواد . وأنما ينجح الخطباء في المجالس النيابية لنفوذهم الشخصي لا ببراهينهم ، ولذا يفقد العضو تأثيره اذا ما فقد نفوذه . وقد وصف مسيو ديكوب ـ وهو احد النواب ومن علماء النفس المدققين ـ النائب الذي لا نفوذ له بقوله : (اذا استوى على منبر الخطابة أخرج من محفظته أوراقا فنشرها أمامه على الترتيب ، وشرع يخطب مطمئنا »، وهو يفتخر في نفسه بأنه سيثبت عقيدته لتسكين روع سامعيه ، لأنه وزن أدلته وحررها واعدا شيئا كثيرا من الاحصاء والحجج ، وأيقن أن الحق في جانبه ، وأن معارضه لا يثبت أمام الحقيقة الناصعة التي يأتي بها . هكذا يبدأ معتمدا على صواب رأيه وصفاء أخوانه ، لاعتقاده أنهم لا يطلبون الا السجود أمام الحق ، وبينما هو يخطب أذ تأخذه الدهشة من اضطراب الحاضرين ، ثم يتعزز بالضوضاء الناتجة من ذلك الاضطراب ، ويتساءل كيف لا يسود السكون ؟ وما السبب يا ترى في هذا الانصراف العام ؟ وما الذي يدور على السنة اولئك الذين يتحادثون فيما بينهم ؟ وما السبب القوي الذي يحمل ذاك على ترك مجلسه ؟ يتساءل الخطيب هكذا والحيرة تعلو جبهته ، فيفرك حاجبيه ، ويمسك عن الكلام . ويشجعه الرئيس فيعود بصوت مرتفع ، فيزيد الاعضاء في عدم الاصغاء اليه ، فيجهر ويهتز ،

فتزداد الجلبة حواليه ، ويعود لا يسمع نفسه ، فيمسك عن الكلام مرة أخرى ، ثم يخشى أن يدعو سكوته الى أصوات (الاقفال ـ الاقفال) فيرجع الى خطابته بما فيه من قوة ، وهناك تعلو الجلبة ، ويختلط الحابل بالنابل ، مما لا يقدر على وصفه الواصفون) •

ومن دواعي نفوذ القائد الخطيب بخاصة في خطبة ، فيدين له المستمعون ، ويستعدون لسماعه متأثرين سلفا وكذلك عزيمته القوية ، وعقيدته الحارة الصادقة فأن الجموع العسكرية تذوب ارادتها في أرادة محركها وزعيمها • وكثيرا ما يغرر ابالمستمعين خطيب كاذب العاطفة ذو هوى خاص يخفيه ، ولكن تأثيره لا يدوم طويلا ، لانه سينكشف عن نفسية وضيعة وسفسطة ، أما أصحاب العقائد الراسخة والعواطف الصادقة فأن أثرهم دائم ، لأنهم اسكروا المستمعين بعدما انتشوا هم مثل رجال الثورة الفرنسية • وزعماء الحركات الوطنية • وقد سبق أن قلنا أن من صفات القائد الخطيب أن يسيطر على مستمعيه ويروعه ، فيسحره بمخاطبته ، ويستميله الى غايته • والمستمع يستمال بأثارة المشاعر اكثر مما يستمال بالمنطق والدليل • وحتى العدول المحلفون (لا يثبتون أمام امرأة ترضع طفلها أو أمام صغار يتامى ادا نظروا اليهم، قال مسيو جلاجو : (ويكفي أن تكون المرأة ظريفة لتنال عطف العدول) والمستمع ينبهر بنفوذ القائد الخطيب كما سبق ، وقد قيل في وصف محام أنكليزي (كان يترافع وهو يترقب حركات العدول ، فكان يقرأ في وجوههم أثر كل جملة وكل كلمة بما أوتي من الفراسة والتجارب ، ليعرف ما ينبغي بعد ذلك ، وكان يتفرس أولا في العدول الذين صاروا معه ، ويخطو معهم في خطابه الخطوة الاخيرة التي تمكنه من أنحيازهم اليه ، ثم يلتفت الى من يشعر منه بالانحراف عنه ، ويجتهد في أستكناه سبب ميله عن المتهم ،

وهذا أدق ما في عمل المحامي ، لان الألباب التي تبعث على الرغبة في الحكم على رجل بالعقوبة كثيرة بقطع النظر عن عدالة الحكم أو ظلمه •

ومن المعروف عن المحامي الشهير لا شو أنه كان في مرافعاته في محاكم الجنايات لا يفتر عن ملاحظة العدلين أو الثلاثة الذين يتوسم أنهم أصعب مراسا من الباقين ، وأنهم أصحاب النفوذ واتفق له مرة أنه لحظ بين العدول واحدا حاول أن يقنعه وأن يستميله بأقوى الوسائل ثلاثة أرباع الساعة ، فلم يفز بطائل ، وكان مجلسه السابع في أول الصف الثاني ، وكاد اليأس يستحوذ على المحامي ، وفيما هو يفيض بلاغة اذا به يتوقف فجأة ويلتفت الى رئيس المحكمة قائلا : (سيدي الرئيس أتسمحون فتأمرون بأسدال الستار الذي أمامنا ؟ فأن الشمس تخدش عيني حضرة العدل السابع فأحمر وجه العدل وتبسم ، وشكر ، وصار من أنصار المحامي) • ومما يسدعد القائد الخطيب على الاستمالة :

١ ـ أن يراعي أصول المجاملة مع سامعيه ، فلا يجابههم بما ينفرهم منه بل يتخذهم أصدقاء لأفكاره •

٢ ـ أن يتحدث فيما يتصل بخبرته ، فليس من المستساغ أن يتحدث واعظ ديني في أمور طبية ، ولا ان يتحدث طبيب في أدق المسائل الخارجية بل على من يتحدث فيما لا يتصل بخبرته أن يكتفي بالأشارات لا بالتفصيل •

٣ ـ أن يراعى المستوى العقلي للسامعين •

٤ ـ وان يتجنب المظاهر التي تدل على ترفعه وكبريائه وتعاليه على سامعيه •

٥ ـ وان يدرس نفسية السامعين ليعرف المنافذ الى مشاعرهم ، والطريقة المثلى لاستمالتهم واقناعهم ٠

٦ ـ وأن يكون القائد الخطيب سريع الخاطر حاضر البديهية قديرا على الرد في مهارة ولياقة وافحام اذا فاجأه سامع بسؤال أو معارضة أو مقاطعة ٠ وقد مر طرف من هذا في صفات الخطيب بصورة عامة ٠ قالت سيدة لخطيب من غير حزبها وهو مسترسل في الخطابة : (لو كنت زوجي لسقيتك السم) فقال لها على البديهة وبدون غضب : (ولو كنت زوجتي لشربت السم من يدك راضيا) ٠

٧ ـ وأن يكون حار العاطفة ، معتقدا ما يقول ومقتنعا بـه لينقل حماسته الى السامعين ، فان الكلام اذا صدر من القلب يصل الى القلب ٠

وبهذه الفترة بهر ميرابو وغامبتا ووليم بت وهم جميعا لا سلاح لهم أقوى تأثيرا في النفوس من الكلام ٠ ولطالما أستمد السيدف الى مضائه قوة من الخطابة تزيده مضاء ، وكثيرا ما لجأ القادة الى الكلمة يشعلون بها الجنود حماسة الى الاستبسال وكثيرا ما كان القواد الخطباء يشدون أزر الجيش المقاتل بما يلقون من خطب ويوقدون حماسة المستمعين ليجودوا بالدماء والاموال ٠ وان الخطابة الحربية كثيرا ما تستهل لوقتها ، اذ يفاجيء الزمن القائد ، فينتزع من بديهيته المسعفة خطبة مرتجلة على أنه أحيانا يعدها لظرف يتوقعه ٠ ومهمته شاقة ، لأنـه لا يستطيع أن يسمع الجيش كله ، ولذلك جرت العادة الآن أن تكتب الخطبة ، وتوزع على الجند ، والغرض منها بعث العزيمة ونفوس الجند ، وأذكاء حماستهم ، وتبشيرهم بالنصر ، وبث الثقة وتهوين الموت ٠

والقائد يتخير الجمل القوية القصار ، ويلجأ الى الخيال كثيرا

يستشير به عظم الماضي ، والامل في الحاضر ، ويمنّي بالفوز والمجد ، وينفر من التخاذل والانكسار . وقد أثر عن العرب والمسلمين وغيرهم فيض من هذه الخطب ومنها خطبة هانيء بن قبيصه الشيباني في موقعة ذي قار يحرض قومه على الفرس (يا معشر بكر ، هالك معذور خير من ناج فرور ، ان الحذر لا ينجي من القدر وان الصبر من اسباب الظفر ، المنية ولا الدنية . استقبال الموت خير من استدبارة ، الطعن في ثغر النحور اكرم منه في الأعجاز والظهور ، قاتلوا فما للمنايا من بد) .

وكتب التاريخ والأدب حافلة بخطب القواد وبخاصة كما قلنا في الفترة الأموية وفي فترات الفتوح الاسلامية ومن اعظم الخطب الحربية الخطبة المنسوبة الى طارق بن زياد قبل فتح الاندلس (ايها الناس اين المفر ...) وهذه الخطبة العسكرية ثرية بخصائص الخطابة الحربية ، من ناحية التعبير والتصوير والاستمالة وفيها حفز للعزائم بوسائل شتى وتبشير بالنصر والغنائم ، ودعوة الى الجهاد ابتغاء الثواب .

ومن خطب ابن نباته الفارق في تأييد سيف الدولة الحمداني في حربه للروم كقوله (من وصل حبل الله أوصله ، ومن أضحل حقه أضحله ، ومن قعد عن نصرته خذله . فأنفروا رحمكم الله كما أمركم الى جهاد عدوه ، وأعلوه بالمغار عليه قبل مغاره عليكم وعلود ، وانتهزوا الفرصه فيه بتشاغله قبل فلوه ، وانهضوا اليه قبل نهوضه اليكم ودنوه . فانكم ان قعدتم عن جهاده نهض اليكم ، وان لم تنصروا الله نصره عليكم ، كدأبه فيمن رأيتموه من أهل الثغور ، الذين أحلّ بهم دواهي الأمور . ولقد كانوا اكثر منكم جهادا ، واوفر عددا واستعدادا ...) .

ولهانيبال القائد القرطاجي المتوفى ١٨٣ ق.م خطبة تشبه خطبة

طارق في التيئيس من الفرار ، والتخويف من الحواجز الطبيعية المحيطة بالجيش الغريب والتخيير بين الهلاك وبين النصر ، والترغيب في الغنائم المباحة للمنتصرين . وتنفرد خطبة هانيبال بتذكير الجنود بماضيهم المجيد وانتصارهم الباهر وتحقير شأن العدو واستصغار قوته وعدده . وهذا جزء منها : (أيها الجنود ، إني لا أدري اذا كان الحظ لكم أو لمن في أيديكم من الاسرى فقد شدت بكم جميعا الوثاق ، وحمت الحاجات فمن اليمين وعن الشمال بحران يكتنفانكم ، وليست لديكم سفينة واحدة تهرعون اليها، ومن بين أيديكم نهر يبو ، وهو أعرض وأسرع جريانا من الرون ، ومن خلفكم جبال الألب ، تلكم الجبال التي لم تستطيعوا اقتحامها الا بشق الأنفس حتى في أيام وفرة عددكم ، فهيا أيها الجيوش ، فليس أمامكم الا الفناء أو النصر على الاعداء يوم لقائكم لهم ، . أيها الجنود ، لا تيأسوا فان تلك القدرة الالاهية التي القت بكم في هذا المأزق الحرج الذي يرغمكم على القتال ، هي عينها التي أعدت لكم على مرأى منكم نعيما عظيما ، ليكون أجرا لكم على انتصاركم ، وجزاء لا يرجو أعظم منه انسان من الله الباقي . انا ان لم نستطع ببأسكم وحميتكم الا ان نعيد الى حوزتنا صقلية وسردينية اللتين سلبهما العدو من آبائكم ، لكان ذلك جزاء وفاقا لا يستهان به . ولكن أين هاتان مهما أعد لكم من ثروة رومة الطائلة، وأموالها المكدسة وغنائمها التي سلبتها الأمم الاخرى ، كل هذه وأمثالها ستكون لكم وفي حوزتكم ...) .

(إني أربأ بكم ايها القوم أن تتصوروا ان الانتصار صعب المنال ، أو تعتقدوا كما يعتقد الناس ان اعلان حرب على رومة أمر عظيم له وقع في النفوس ولتعلموا انه كثيرا ما تغلب جيش مستصغر على عدد مستعظم ، وصمد له في معارك أريقت فيها الدماء وحصدت فيها الرؤوس ، وكم تلت

عروش فخمة ، وافنيت امم عريقة في المجد على أيدى جيوش قليلة العدد •
ولكنكم لو جردتم رومة من اسمها الفخم البراق ، وصيتها الذائع ، فما
الذي يبقى لديهم مما تستطيع ان تقف به أمامكم وتنافسكم به في قوتكم
وبأسكم ؟ وانا لو تغاضينا عن خدماتكم الجليلة في تلك الحروب الطاحنة
المتعاقبة ، التي دامت عشرين حولا أظهرتم فيها ما أظهرتم من البسالة
والاقدام ، ونلتم فيها ما نلتم من الفوز والنصر المؤزر ، أقول لو تغاضينا عن
هذه كلها لبقيت لكم مفاخر اخرى أعلى شأنا وأجل منزلة • ألم تأتوا من
أسوار هركوليس ، ومن أقاصي المحيط ، بل ومن أقاصي حدود الارض ؟
ألم تجرسوا خلال ديار لاقوام عرفوا بالمهارة الحربية أمثال الاسبان والغالة؟
ألم تصلوا الى هذه البلاد منتصرين فائزين ؟ ومع ذلك فمن ستقاتلون ؟
ستقاتلون فلول جند قواهم غير ناضجة ، وجيشا يعوزه النظام ، قد كسرت
شوكته ، وحاصره الغالة صيف العام الماضي ، وما بالكم بجيش لا يعرف
قائده ، ولا يعرفه قائد) •

ومن الخطب الحربية القوية خطبة نابليون في حملته على ايطاليا ،
وهي

« أيها الجنود ، لا قوت لكم ولا كساء ، الحكومة مدينة لكم بالكثير ،
ولا تستطيع ان تعطكيم شيئا • وان من صبركم وشجاعتكم لشرفا لكم ،
ولكن ليس من ورائهما ربح ولا مجد • سأقودكم الى أخصب سهول
العالم ، ستجدون مدنا كبيرة ، وضياعا غنية ، ستجدون الشرف والمال
والمجد • أيها الجنود ، أتعوزكم الشجاعة ؟ » •

وهذه الخطبة العسكرية شبيهة بخطبة القائد طارق بن زياد في بعث
الحماسة وبث الامل في النصر والتبشير بالفن والمجد •

فالخلاصة اذن ليس في مقدور انسان أن يصبح قائدا ممتازا الا اذا

كان مفوّهاً ، لأن الرجل لا يعرف عن شخصيته الا بالحديث (وقـــد لا توجد من بين الصور النفسية والجاذبية الفردية قوة اخطر من الخطابة ، اذ بها تجلو ما تريده وتنقل حميتك وحماستك الى سامعيك) ، فاذا سئلت عن صاحب هــذا القول فاعرف انه ليس بسياسي بارز ! ولا استاذ في علم الاداء ولا هو بمخرج سينمائي • انه ليس من بين هؤلاء ولكن قائله هو (الجنرال سير جورج ماكمن) وانه ليس برجل من دارسي التاريخ ، ولا من الكتاب المبرزين فحسب بل رجل صرف زهرة حياته في قيادة جنود (نظاميين من هنود واوربيين ، لذا فهو مدرك تمـاما ما يقول ان القيادة تنساق للمتكلم المفوّه ، لانه يستطيع ان يعرب عن شخصيته ومن خلال حطابته •• واي انسان يستطيع الكلام في تماسك واقناع يسير وراءه الاتباع بعريرتها ، فالقيادة هي فن التأثير في جمـاعة من الناس بالحث أو بالقدرة لانتهاج سبيل معين ، والناس تستحثهم الخطابة • والشخص الذي لم يدرب نفسه على الكلام ينظر الى الخطابة بصفة عامة على انها موهبـة دون متناول الجميع الا القلائل المحظوظين • وهذا الرأي خاطىء بالطبع • اذ من اليسير على الشخص العادي أن يصبح خطيبا بارعا بنفس السهولة التي تمكنه من أن يكون سائق سيارة ماهرا ، وأن السبيل المتاح لأي انسان يريد ان ينمي شخصيته ، أن يعلّم نفســه التكلم الى زملائه • وليس هنـاك سحر في الخطابة الا بمقدار أثرها في النفوس • فالقدرة على الخطابة باقناع ؟ اذن فهي ضروريه لكل قائد عسكري ، والحديث ينمو بالمران المستمر •

ومما تقدم في ميسورنا أن نضع بعض القواعد

١ ـ لكي يلهم القائد جنوده لاداء عمل له أثر ، فمن الضروري أن يقدم اليهم شيئا يرغبون عمله •

٢ ـ لكي يلهم الثقة ، على المتكلم أن يقف معتدلا ، مستقيم القامة ، عالي الصدر ، مشرفا على سامعيه ، ناظرا في وجوههم •

٣ ـ ينبغي أن يعرف ما يريد أن يقوله ، قبل أن يبدأ في الكلام •

٤ ـ ينبغي أن يسأل نفسه لاى سبب سيدلي بهذا الحديث ؟ فاذا لم يعرف الجواب فعليه أن لا يقوم به • فانه ينبغي أن يكون لكل حديث غاية محدودة •

٥ ـ ينبغي أن لا يستغرق في العادات اللازمة ، كالعبث بالبوصلة أو تحريك سلسلة ، أو غير ذلك ، حتى لا يلهى الفكر ، أو يصرف الانتباه •

٦ ـ ينبغي أن تكون وجهته نحو أحب شيء الى نفوس سامعيه لا الى ما يكرهون •

٧ ـ ينبغي أن يستخدم الفاظا مناسبة وجملا قصيرة موجزة •

٨ ـ يجب أن يعمل على اشراك سامعيه في خطابه •

٩ ـ عليه أن يرفع صوته •

١٠ـ يجب أن يعرف متى يختم خطابه • فان الخطابة ذات الاثر قد يضيع أثرها اذا طالت ولو دقيقة واحدة اكثر مما ينبغي •

لقد كتب البرت بفردج ، وهو حجة في فن الخطابة يقول : لا نستطيع ان نعثر في الخطب المأثورة الخالدة على خطاب يكون قد ورد فيه أمثال العبارات الآتية « قد أكون مخطئا » أو في « رأيي المتواضع » أو « في حكمي » ان الخطباء العسكريين الكبار في لحظاتهم التاريخية الكبرى ، كانوا دائما متهمين بفرض آرائهم ، حتى انهم يعلنون استنتاجاتهم كأنها حقائق واقعة ، ويتكلمون كأنهم رجال سلطة وسلطان • ولهذا فان الجنود والسامعين يسمعونهم في ابتهاج •

ولكي ينمي القائد شخصيته ، ويؤثر بها على الغير ، يجب أن يكون قادرا على الكلام بطلاقة واقناع . فالجنود يتبعون القائد الذي يقـدر على الكلام ، ولا يتبعون القائد الأبكم ولعله من التمرين المفيد أن يجمع القائد كل مرؤوسيه من الضباط في مؤتمر كل اسبوع ، ويشجعهم على الوقوف والتكلم . فاذا كانت توجد طريقة واحدة لتعلم السباحة ، وهي أن تلقي بنفسك في الماء فانه توجد أيضا طريقة واحدة لتعلم الخطـابة ، وهي أن تقف على رجليك وتتكلم . ففن الخطابة لا ينال بغير الخطابة والطريقـة المثلى هي ان يسأل القائد كل ضابط عن رأيه في موضوع من الموضوعات التي تحت البحث . ففي البداية سيجد كثيرا من صغـار الضباط في حالة عصبية ، لا يقولون أكثر من انهم يوافقون على رأى الضابط الذي اكبر منهم رتبة ، ولكنهم بعد وقت وجيز يتحققون بأن من أيسر الامور وأقلها حرجا أن يدلوا بأفكارهم بدلا من السير في الحيـاة موافقين على أفكار الغير فتفارقهم الحالة العصبية وتحل محلها الثقة بالنفس حالما يحس المستجد ان له ماضي من الخبرة الناجحه تؤازره . ان الجنود يثقون بالضابط الذي يثق بنفسه ، ومن السخف ان ننتظر منهم أن يثقوا بضابط لا يثق في نفسه. ولا يستطيع أحد ان يخطب رفاقه دون ان يكشف الى حد ما عن نفسه ، فتتراءى للجنود معرفته ومقدرته ، وذكاؤه ، وشخصيته . والضابط القائد الحكيم من يعمل جاهدا ليعرف كل هذه الصفات في أجلى مظاهرها .

والخلاصة تقاس قدرة الضابط وأهليته للقيادة بمقدار فهمه لعقلية رجاله وطبيعتهم ، وبقدر بسط سيطرته عليهم وتوجيهه لعقولهم . واذا كان من المسلم به انه يلزم لكسب أي قتال ، السلاح الملائم والتدريب الكافي ، الا انه لا بد الى جانب ذلك ، من روح معنوية قوية ، تذكيها الدوافع التي تحمل الجندي على الاقبال على القتال ، وخوض غمار المعركة بجنان ثابت

وعزم قوي • فالحرب نضال بين رجال ورجال •• نضال يتطلب من كل فرد ان يبذل الى أقصى حد ما فيه من عقل وعضل ومن قلب وعصب • فالقدرة على القتال تتوقف على ما في الرجال من بسالة ، وحماسة وجلد ومثابرة وعزم ونظام واحتمال واقدام وهمة وارادة وتضحية وانكار للذات ومعرفة وخبرة • والقائد هو الذي يقود الجنود بأرواحهم الى الموت الذي تأباه « الطبيعة البشرية » المجبولة على الاحتفاظ بالبقاء وهو الذي يستهوي نفوسهم ويقود أفكارهم وعقولهم وهو من بيئة ومستوى عقلي يختلف عنهم، وهو الذي يبث في الجيش روح النصر والغلبة فيكتسح العقبات ويجعلها هباءً • قالوا « لهانيبال » : (انك لا تستطيع ان تجتاز بجنودك جبال الألب) فقال (لا وجود لجبال الألب) •

وفي « بار ـ الدوق » سنة ١٨١٤ جاء الى نابليون أحد ضباطه بعد ان قدر مدى حركة الالتفاف العظيمة التي اتخذها النمساويون والبروسيون والروس •• جاء يقول له وهو يحاوره :

« ••• ولكن يا سيدي ليس لديك الا مائتا لف رجل لمواجهتهم ! »

فأجابه نابليون في سرعة خاطفة حاسمة : « ••• وبي ـ أنا ـ تصبح القوة مائتي ألف رجل » • سمع عمر بن الخطاب (رض) والدة خالد بن الوليد تقول يوم وفاته « أنت خير من الف الف من القوم اذا ما لفّت وجوه الرجال » فقال عمر (رض) « صدقت والله •• انه كان لكذلك » • وختاما نكرر القول السابق بأنه ليس في مقدور انسان أن يصبح قائدا ممتازا الا اذا كان مفوها لأن القائد لا يعرب عن شخصيته الا بالحديث •

الفصل الثـاني

الروح المعنوية ، التعريف والاهمية ، مقومات المعنوية ،وسائل رفع المعنويات

ان البشرية منذ آلاف السنين فهمت الروح المعنوية ،على انه لم يستطع ادراك معناها واستغلالها غير عظمـــاء القادة ، ولعل نابليون كان يـدرك خواصها ومزاياها اكثر من أي قائد عسكري ، فقد قال : « ان الرجل المسلح بهذه الروح يساوي ثلاثة رجال غير مسلحين بها ، والروح المعنوية سرية من حيث هي غير مرئية ولا يمكن لمسها ، فانها اقوى الاسلحة التي عرفها الانسان ، فهي أقوى من الدبابة الثقيلة ، وأقوى من اكبر مدفع ، وأقوى من أية قنبلة فتاكة . فقد كانت المرة بعد المرة وسيلة لقلب الهزيمة الى نصر مبين . فالجيش لا يقهر فعلا الا حين يعرف أفـراده قد قهر ، اذن الهزيمة هي شعور عقلي وليست حالة مادية . جـاء في قوانين التدريب « ان تنمية الروح المعنوية غرض حيوي من اغراض التدريب . فالصفات المعنوية تشمل : الضبط والربط ، وروح القتال ، وارادة الانتصار ، وضبط النفس ، واحترام الذات ، والولاء ودرجة عالية من الشعور بالشرف » . ليس من السهل أن تجد تعريفا مرضيا ، لصفة غير ملموســة ، كالروح المعنوية ، على أنه لن يسيء أحد فهم ما نرمي اليــه اذا عرفناها « بالحالة الروحية » فالروح المعنوية هي اكثر من حالة مادية واكثر من حالة عقلية واكثر من كلتيهما مجتمعتين ، وان كانت مع هذا تنشأ منهما . واننا حين نسميها (الحالة الروحية) لا تعني انها مزية يختص بها المتدينون ، أو ذوو الميول الروحية .

فاننا نضع هذا التعريف بالمعني الفلسفي وليس الديني . ويمكننـا استبدال هذا التعريف بتعريف آخر هو «الحالة السيكولوجية» ، ولا يمكن

مشاهدة الروح المعنوية السيئة بوضوح أتم من المثل المفجع الذي قدمته فرنسا . فتلك الامة التي عرفت بتقاليد قوامها الاقدام والحيوية ، قد انهزمت في خلال بضع أسابيع ، وقيد العدو زعماءها بالسلاسل ووقع جيشها في الاسر ، ونهبت مخازنها وكممت صحافتها ، وتحطم شعبها . قال اندريه موروا في كتابه القيم : « لماذا سقطت فرنسا ؟ » ما يلي «اليوم يمكننا ان نقول بالنسبة لفرنسا انها خسرت الحرب من اللحظة التي بدأت فيها » فان عقلية خط ماجينو « أي الذين يعتقدون ان خط ماجينو منيع لا يقهر » وتركت المبادأة للخصم ، كانت عبءً ثقيلا على ضمير الجميع ، على انه كانت هناك عوامل عديدة أخرى ، شديدة الختل والخطر . فان حالة الجيش المادية كانت سيئة ، بسبب عدم وجود المهمات الحديثة ، ولان القيادة ضعيفة واهنة فقد قنعت طوال سنوات عديدة باستشارة الرأي العام بدلا من قيادته . وكان سبب سقوط فرنسا ١ ـ القيادة الرديئة ٢ ـ فقدان ما نسميه (روح الفريق) ٣ ـ وهن الروح المعنوية ٤ ـ انعدام المبادأة والاقدام ٥ ـ انعدام الضبط والربط . فلو توافرت لأي عامل من هذه العوامل لقضي بمفرده على المدنية والحضارة . وقد اقترح اندريه موروا طرقا للعلاج وهي : (ان تكون الامة قوية) فالأمة التي ليست على استعداد للموت في سبيل حريتها ستفقد تلك الحريات . « ان تعمل بوجه السرعة » فان بناء عشرة آلاف طائرة ، في الوقت المناسب خير من بناء خمسين الف طائرة بعد المعركة . ثم « توجيه الرأي » فالزعيم يدل على الطريق ، ولكنه لا يتبعه « المحافظة على وحدة البلاد » فرجال الاحزاب السياسية هم ركاب ظهر سفينة واحدة ، فاذا حطموها يغرق الجميع .

« ينبغي أن يكون الحكام نزهاء مستقيمين » فالرذيلة مهما كان نوعها تهيىء السبيل لدخول العدو .

« ان نثق بكل اخلاص في الآراء ومن أساليب الحياة التي نجاهد من أجلها » فالايمان هو الذي يخلق الجيش بل والأسلحة أيضا . هذه هي

عبارات صريحة وينبغي أن يعيها كل من يجد نفسه في مركز الزعامة •
ويوضح لنا كل ما تقدم ان الروح المعنوية هي مسألة حياة أو موت • وما
هي بالشيء الذي يجوز اهماله فيجب ان يتجه اهتمام كل جيش منظم الى
الوصول بجنوده الى مستوى عال من التدريب ، وتزويدهم بالاسلحة التي
تضمن تفوقهم المادي على خصومهم ، على ان هذا التفوق المادي ليس لهاهمية
كأهمية التفوق المعنوي • وخير للجنود ان يخوضوا غمار المعركة تعوزهم
الذخيرة ، على أن يخوضوها ، تعوزهم الروح المعنوية • فكيف اذن يمكن
احراز هذه الصفة الانسانية المنشودة بدرجة عظيمة ؟ الواقع ان تنمية هذه
الروح توقف على عناصر لاتعداد لها : كالقيادة الحسنة ، والضبط والربط،
والتدريب المهني ، والعتاد والافتخار بالماضي المجيد ، والحالةالبدنية والحالة
العقلية ، والحالة المعنوية ، واحترام الوطن ، والشرف ، واحترام الذات
وضبط النفس ، والولاء ، وارادة الانتصار ، والطعام ، والترفيه والدعاية••
الخ • لكن الروح المعنوية ليست مجرد الاقتناع الناشيء من تأثير مجموع
العناصر المتقدم ذكرها ، اذ ان اغفال عنصر منها كثيرا ما يكون سببا لهدم
تأثير جميع العناصر الاخرى ففي ميدان القتال قد ينشأ عن سوء القيادة مثلا
تحطيم القوة المعنوية رغم بقاء العناصر الاخرى كالتدريب ، والتسليح ،
وسجل الانتصارات الماضية •• الخ فيجب ان يظل نصب العين على الدوام
حين تتناول الروح المعنوية اننا نعالج أمرا غير محدود •

وان الغرض الناتج لكل معركة هو سيكولوجي أكثر مما هو مادي •
فان الغرض الحقيقي ليس قتل العدو حتما أو قطع موارده ، بل الغرض هو
تدمير عزيمته على المضي في القتال • ولا يمكن ان توجد الروح المعنوية
بمعناها الصحيح ، اذا لم توجد الثقة بالنفس•فالجندي المتدرب تدريبا حسنا
والمزود بالعتاد الجيد ، يشعر طبعا انه متفوق ادبيا وماديا على خصمه ذي
التدريب الرديء والعتاد السيء • فالتدريب والعتاد والحالة المادية والقيادة

والضبط والربط وروح السلاح مجتمعة تستطيع بناء الروح المعنوية .ومن أنواع التمريض السيكولوجي للجندي؛عن فقدان بعض حرياته الشخصية في نواح أخرى للتعبير عن شخصيته وذلك بالاشتراك في ميادين الالعاب . ويحب بذل التفات خاص لحفلات التسلية والترفيه ، وان يشجع الجنود كلما أمكن ليكشفوا عما لديهم من مواهب . وقيمة الموسيقى في المحافظة على الروح المعنوية مسلم بهـا من الجميع على ان لها فضلا عظيما في بناء الروح المعنوية . وقد قال الجنرال (ج.ف.بل) : « ان الجيش الذي لاغناء فيه ولا نشيد حماسي يخسر من روح القتال ، بنسبة خسارته الناشئة عن عدم الاستجابه للموسيقى . لا توجد قوة فعالة لتنمية الإتحاد في الجيش كالأغاني الوطنية » .

وهناك آراء اخرى لتعريف الروح المعنوية وبنائهـا فمثلا نرى أن زلـني Zeleng قد عرفها بقوله « انها المشاعر المشتركـة بين أعضاء الجماعه » وانه يمكن قياسها بواسطة ، ما أسماه « نسبة الروح المعنوية » ، ولقد استطاع زلني ان يبين ان هذا المقياس أو التقدير له ثبات معقول وان معامل الارتباط بينه وبين استفتاء يقيس الروح المعنويـة كان متوسط ذا دلالة احصائيه . ويزداد تماسك الجماعة حين يجد اعضاؤها أعظم الفرص لاشباع دوافعهم الفرديه فاذا اشتغلت جماعتان من الجنود في ظل ظروف واحدة فان من المتوقع ان نجد الجماعة التي يرضى جنودها عمـا يسد لحاجاتها اكثر تماسكا من الجماعة الأخرى . وقـد يوفر الشعور بعدم الرضا الذي يشيع بين احدى هاتين الجماعتين أساسا مؤقتا لتماسكها على الاقل . ولكن بمضي الوقت نجد ان التماسـك الذي يقوم على الاشبـاع أبقى وأثبت من ذلك الذي يقوم على عدم الاشباع وتقوم العلاقة بين اشباع الفرد وتماسك الجماعة على افتراض قوامـه ان اعضاء الجماعة سيحدث

الواحد منهم الآخر عن رضاه وعدم رضاه • وتنبثق معايير مشتركة نتيجة للاعلام المتبادل والتفاهم بأدوار الاعضاء في التعبير عن رضاهم وسخطهم • أما اذا لم يكن هناك اعلام وتفاهم حول المسألة • ولم توجد معايير مشتركة فان العلاقة بين رضا الفرد وتماسك الجماعة ستكون ضعيفة أو منعدمة • وواضح ان الاتفاق بين أفراد الجماعة على الهدف يعكس تماسك الجماعة ويشير الى ارتفاع روحها المعنوية ، وعدم الاتفاق على الهدف يؤدي الى صراع بين الافراد بعضهم ببعض أو بينهم وبين الجماعة • وتؤدي رغبة الافراد في الانتماء الى جماعة ، لما لها من قيمة ايجابية ، الى أن يتقمص الفرد جماعته ومعاييره ، والى أن يربط بين حاجاته واهدافه وبين حاجات الجماعه واهدافها ، أما حين تقل رغبة الافراد في الانتماء الى جماعة لانخفاض قيمتها في نظرهم ، وحين تتنافر أهداف الأفراد مع أهداف الجماعة بعضهم البعض فان الجماعة تميل الى التفكك والانحلال • ولقد سئل بعض علماء النفس الامريكيين خلال الحرب العالمية الثانية عن السبب في أن بعض أسراب الطيران الامريكية ذات روح معنوية عالية بينما بعضها الآخر ذات روح معنويه منخفضة • ولقد استخدمت معايير مختلفة لتقدير الروح المعنوية عند الجماعه اشتملت على شهادات وأقوال أعضاء الجماعة أنفسهم سواء أكانوا ضباطا أم جنودا ، وعلى مدى براعتهم في فنون القتول كما قدرها وحكم عليها حكام ليسوا من بين أفراد الاسراب •

والأسباب هي انه كان كل من ضبط القيادة وضباط التنفيذ محبوبين في السرب الاول بينما لم يكونوا كذلك في السرب الثاني ووجد قدر كبير مشترك من مشاعر الحب لنفس الاشخاص في السرب الأول وقدر قليل مشترك منها في السرب الثاني ، ثم وجدت جماعتان متدرجتان أو ثلثان في السرب الثاني كل منهما من الناحية العملية منطوية على نفسها أو منعزلة

ولم يوجد مثل هذا الشلل في السرب الاول • وفي ضوء هذه الفروق لم يكن من المدهش أن تعرف ان تاريخ السرب الاول كان تاريخا حافلا بروح معنوية عالية ، وفاعلية في المعارك وقدرة عالية على مقاومة التعب في المعركة أي قدرته على الاحتمال والصمود بينما سجل السرب الثاني على عكس ذلك • على ان البراعة في المعركة قد تكون علاقة موصلة في الدلالة على ارتفاع الروح المعنوية في حالات أخرى ، ومثل هذا يقال عن اتخاذ انتاج جماعة في مصنع بأنه سبب لارتفاع الروح المعنوية ، أو ما يبدو من نظام في أعمالها • ففي حالات كثيرة يكون النظام مفروضا من الخارج وليس نابعا من داخل الجماعه • وقد ينشأ توتر بين الاتباع والقادة فيدل على روح
الجماعة • وقد ينشأ توتر بين الاتبـــاع والقادة فيدل عـلى روح معنوية منخفضة ولكن كثيرا ما يكون التوتر حافزا الى اعادة تنظيم الجماعة والى تحسين الوسائل المؤدية الى الأهداف • ومن العوامـل المؤثرة في الروح المعنوية أيضا ، اتفاق الأهداف الفرديه والجماعة ييسر هذا الاتفاق اشباع الحاجات النفسية للافراد ، لذلك متى التقت أهداف الجماعة وتوافقت مع أهداف الفرد ارتفعت روح الجماعة المعنوية • وضبط الحاجات النفسية الفردية ضروري وذلك لان التعبير دون ضابط عن هذه الحاجات النفسية عند الافراد كثيرا ما يعرقل عمل الجماعه ويعرضها الى الاخفاق في الوصول الى أهدافها مما يؤدي الى حرمان من الثواب المرتبط بالهدف ، ومعنى هذا ضرورة التوفيق بين الاهداف الشخصية والجماعية حتى تحقق الجمـاعة كفاءة في العمل ورضا للافراد • ووضوح الهدف ووضوح الوسائل الموصلة اليه أمر حيوي في رفع روح الجمـاعة المعنوية يساعد الافراد على بذل الجهد الهادف • وان العوامل التي تزيد من تماسك الجمـاعة وجاذبيتها تزيد من الروح المعنوية والعكس بالعكس ، وتزيد مناسبة أهداف الجماعة

لامكانية وقدرات أفرادها • ولقد بينت دراسات هوب وليفين عن مستوى الطموح ان النجاح يؤدي الى نجاح •ويرفع مستوى الطموح ، أما الاخفاق فانه يخفض من مستوى الطموح ومناسبة الاهداف أو مستويات الطموح للإمكانيات تقوي الروح المعنوية لانها تثير دوافع الأفراد الى بذل الطاقة والمثابرة • والقيادة الجيدة ترفع أيضا من روح الجماعة المعنوية • وربما كانت أوضح الفروق بين السربين اللذين أشرنا اليهما من قبل الفرق بين اتجاهات أعضاء كل سرب نحو ضباطهم ونحن نعرف بالتأكيد انه شاع الاعتقاد في أحدهما بأن صفات القادة وخصائصهم عن الصفات التي يرغب فيها جميع الطيارين تقريبا بينما شاعت الحالة الثنية الاعتقاد بأن القادة ليس لديهم هذه الصفات • وترتب على ذلك احترام اعضاء السرب الأول لقادتهم وارتفاع الروح المعنوية بينهم وعدم توفر هذا في السرب الثاني والقائد الفعال الكفء هو الذي يكون حاذقا في خلق روح معنوية عالية في جماعته وبارعا في الابقاء عليها بمعنى أن يجعل أهداف الفرد ونشاطاته مؤتلفة مع أهداف الجماعة • ومما يرفع من هذه الروح المعنوية ترديد أهداف الجماعة باستمرار التوعية بالتقدم نحو تحقيقها وتقوية وحدة الصفوف بتأكيد الاخطار المشتركة وابتكار الشعار واجراء الاستعراضات لذلك على الخلاف ، واتاحة الفرصة لاتباعه لكي يشاركوا في أنواع النشاطات الهامة لكي يكتسبوا شهرة بالعمل في المناصب الحيوية وما شابه ذلك • ذلك أن موكور Maûcorps في كتابه عن «سيكولوجية الحركات الاجتماعية»يقول: «بأن الروح المعنوية ارادة يدعمها العقل لبلوغ هدف مشترك » وواضح بأن ما قاله موكور يغالي فيما ينسبه للعقل من دور ، هذا الى اتجاهه الارادي المسرف الذي يذكرنا بارادة الحياة عند شوبنهور بل وبالارادة على العموم عند أنصار المذهب الارادي • اذ انه هناك من يعتمد على الناحية الانفعالية

للعقلية مثل هاريمان Harriman فيقول « الروح المعنوية هي شعور انفعالي أو قل اخلاص حماسي تجاه ما تقدم عليه الجماعة من أعمال » •

ولعل خير توضيح هو ما نجده في معجم وارين Warren وان حرص كسابقيه على تقديم الوجهين الانفعالي والمعياري للظاهرة • فالروح المعنوية عنده [هي اتجاه قوامه الثقة والمثابرة في العمل والتمسك بمثل الجماعة ، والروح المعنوية تبعا لهذه النظرية تعد مرادفة لروح الفريق • بينما يرى لاجاش Lagache ان الترادف بالمعنى الدقيق للكلمة لا يتوفر فيهذين المصطلحين فالروحالمعنوية أعظم حظا منالانفعالية، بيما تشير روح الفريق اكثر ما تشير الى الانتظاه الاجتماعي • ويرى كريش وكرتشفيلد ان الاعراض التي تكشف عن ارتفاع الروح المعنوية وانخفاضه تنحصر في التماسك الاجتماعي والشروط اللازمة تحقيق هذا التماسك فتماسك الجماعة يشير الى ارتفاع الروح المعنوية ، سيما حين يكون الفضل في هذا التماسك راجعا الى عوامل داخلية اكثر مما يرجع الى عوامل خارجية • وبديهي ان اتفاق الهدف بين أفراد الجماعة يشير الى تماسك هذه الجماعة وبالتالي الى ارتفاع روحها المعنوية • فان لم يتحقق هذا الاتفاق في الهدف نشأ الصراع بين الافراد فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الجماعة • ومع ذلك فان القدرة على انهاء الصراع ، عن طريق التكيف الفردي أو تكيف الافراد فيما بينهم يرمز الى ارتفاع الروح المعنوية •

وبالاضافة الى ما سبق من عوامل ، فهناك موقف الافراد من الجماعة كعامل من عوامل التماسك واعلاء الروح المعنوية •

فالرغبة في استمرار الجماعة ، والنظر اليهما كقيمة ايجابية كلاهما يستند الى تطابق الفرد مع جماعته ، والى ربط حاجته واهدافه بحاجاتها

وأهدافها • ومثل هذا الموقف ينطوي على ايجابية تجاه الافراد نحو قادة الجماعة • وعلى النقيض من هذا كله نجد انخفاض الروح المعنوية حين تميل الجماعة الى التفكك ، فلا تتحد أهدافها ، ولا يتطابق أفرادها •

ويجب أن يلاحظ ان هنـاك ثمة علامات ودلائل مضللة في الحكم على الروح المعنوية للجماعة منها مثلا (النظام) فالنظام غالبا ما ينظر اليه كدليل على ارتفاع الروح المعنوية • ومع ذلك فهو لا يعدو في كثير من الحالات أن يكون نتاجا لضغط خارجي •

وبالاضافة الى النظام القهري هذا (الانتاج الجماعي) ، فانتاج الجماعة قد يكون أيضا من العلامات المضللة للحكم على الروح المعنوية الامر الذي يتضح بالنظر الى ارتفاع الانتاج الالماني قبل نهايـة الحرب العالمية الثانية رغم انخفاض الروح المعنوية •

وكذلك قيام التوتر بين الاشخاص ، فهو لا يدل بالضرورة على ضعف الروح المعنوية للجماعه • وهو ان دل على انخفاضها حين ينشأ بين الافراد والقادة ، وحين ينصب على الحاجات والاهداف ، فان هـذا التوتر كثيرا ما يشير الى الخصب والازدهار حين يتخذ صـورة النقد الانشائي ، وحين ينصب فحسب على الوسائل المؤدية للهدف • ويمكن ان ندلل عـلى ذلك بالاشارة الى الدراسة الشهيرة التي قام بها « ليفين » و « ليبت » و «هوايت» لتبين أثر الجو الاجتماعي على السلوك العداوني للافراد • فقـد كشفت التجربة فيما كشفت عن نزعة عدائية معتدلة في الجماعـة الديمقراطية • بينما تتضاءل أو تعظم في الجماعات الاوتوقراطية • ومعنى هذا ان ندرة السلوك العدائي وما يلحق بها من الاعراض الصريحة للتوتر في الجماعة الاوتوقراطية لا تعبر بحـال عن ارتفاع الروح المعنويـة في الجماعـة ،

وانما تعبر فحسب عما هم عليه من خضوع واستسلام .

وأما العوامل المحددة للروح المعنوية ، فتستطيع ان تميز بين ضربين من المعطيات ، معطيات تتصل ببيئة الجماعة من حيث هي وحدة كلية ومعطيات تتصل بالافراد من حيث هم العناصر المكونة للجماعة . وليس من شك في أن تفهم الروح المعنوية للجماعة يتوقف كثيرا على فهم الروح المعنوية عند أفرادها . ولكن الفهم الكامل يتطلب الالمام بالجماعة من حيث هي انتظام كلي ، والتعرف على ما يتم فيها من التفاعل المتبادل بين عوامل الانفعالية والمعرفية

فضرورة الدافع الايجابي للروح المعنوية العالية ، ونعني بذلك الهدف الايجابي الانشائي في معارضته للهدف السلبي ، الذي يقتصر على دفع الهجمات الخارجية وازالة التوترات الداخلية . فان كان الدافع السلبي أهميته فهو لا يكفي مع ذلك لدعم الروح المعنوية ، اذ لا بد لذلك من دافع ايجابي . وفي هذا ما يرينا الشبه القائم بين الجماعة كوحدة والشخصية الفردية كوحدة . فالفرد لا يقف في سلوكه عند انهاء التوتر اللهم ان يكون غير مكتمل أو متعبا أو خاضعا لظروف معينة . أما فيما عدا ذلك ، فقد أبان (جولديشتين) ان أهم ما يطبع السلوك الانساني ينحصر في قدرته على الخلق والابداع كوسيلة لتحقيق امكانياته .

وهناك ضرورة ارضاء الحاجات الثانوية عند الأفراد للروح المعنويه العالية ، ونعني بذلك حاجة الفرد الى المشاركة في نشاط الجماعة ، وحاجته الى التعبير عن تلقائياته ، واعتراف الغير به ، وتقديرهم له ، فان عدم ارضاء هذه الحاجات يعد بمثابة عامل سلبي لمعنوية الجماعة . أما ارضاء الحاجات الاساسية فأمر بديهي .

ثم ضرورة الشعور باضطراد التقدم نحو الهدف للروح المعنوية العالية ، فكلما كان الافراد على علم بالخطوات التي تحققها الجماعة ، ازداد بذلهم للجهد ودعمهم له ، وازداد حشد الطاقة الى درجة يصعب تخطيها .

وتناسب مستوى الطموح مع مستوى النجاح للروح المعنوية العالية ضروري أيضا . فلقد أثبتت تجارب « ليفين وتمارا دمبو » Lewing Tamara-Dembo ان النجاح يرفع مستوى الطموح ، بينما يخفضه الفشل أو يزيد منه على نحو خيالي مسرف . ويعني هذا بالنسبة الى الجماعة امكانية التعاون بين الأفراد عندما يكون الهدف ملائما ، لا يسرف في يسره ولا يبعد عن الامكانيات الحاضرة للجماعة ، ولا عن المستوى الذي بلغته من قبل ، فان لم يتوفر ذلك تعذر التعاون واستحال وضع خطة تفصيلية للعمل .

وان ضرورة اتضاح المنظور الزمني عند الافراد للروح المعنوية العالية أمر مسلم به ، ونعني بالمنظور الزمني ما تحدده الجماعة لنفسها من مكانه في حاضرها بالنسبة الى ماضيها ومستقبلها . فثمة صلة وثيقة بين الروح المعنوية للجماعة ومدى ما يعلمه الافراد عن نشاطها المتعلق بأهدافها الاساسية . فأهمية العوامل المعرفية لا يمكن أن تجحد بالنسبة للروح المعنوية بحيث ترتفع هذه كلما عظم حظ الافراد من المعرفة بفعل الجماعة . هذا الى ما للعوامل المعرفية من أثر على شعور الافراد بالامن وارتفاع معنوياتهم بالتالي . ولقد كشفت تجربة «بافلاس» و Bavlas و «ليفين» Lewin عام ١٩٤٢ عن الصلة الوثيقة بين جهل الافراد بالنشاط المقبل للجماعة وانخفاض الروح المعنوية .

وضرورة المساواة بين الافراد في الغنم والغرم للروح المعنوية العالية متفق عليه ، اذ ان عدم المساواة بين الافراد من حيث التضحيات والمنافع تهوى بالروح المعنوية الى الحضيض ، بل وتعرض الجماعة الى التفكك . ومن هنا نجد استخدام الدعاية لهذا الامر ، اذ تسعى به للتفرقة بين الطبقات المختلفة للدولة المعادية .

وضرورة بعض المشاعر الانفعالية للروح المعنوية العالية أمر مهم أيضا ، فالشعور بالتضامن مثلا عظيم الاهمية : اذ تقوى الايديولوجية بقدرما تكون مشتركة بين الافراد ، وعندها يتحدون فينتج عن هذا الاتحاد تضامنهم . وليس من شك في أن الشعور بالتضامن يزيد من مقومة الجماعة للمواقف الاحباطية ، كما يتضح ابن الازمات التي تنزل ببعض البلدان ، وفي الوحدات العسكرية أثناء محاصرة العدو لها . وثمة شعور انفعالي آخر يتصل بالتضامن ويعمل على تدعيمه بقدر ما يعبر عنه ، ونفسر به شعور التطابق بين الفرد والجماعة فكلما تطابق الفرد مع جماعته ارتفعت الروح المعنوية فيه حتى يأتي الوقت الذي تصبح فيه الجماعة بنيانا واحدا . (قصة الغضمآن في الحروب الاسلامية) ونعني بالتطابق اتجاه الفرد الذي يجعله يستشعر الخصائص المميزة للجماعة وكأنها خصائصه هو . ولا يتم ذلك عن شعور بالملكية والتملك للجماعة ، وانما عن شعور بالانتماء اليها والانخراط فيها ضمن ما يسمى بال « نحن » وليس من شك في أن التطابق يتوقف كثيرا على ارضاء الحاجات الفردية سيما حين تكون الجماعة حديثة النشأة . ولكن حين يتقدم بها العمر وترسخ منها القدم ، فانها تستحيل الى قوة هائلة تقتضي من الافراد ما تريد ، وان تعارض ذلك مع مصالحهم وحاجاتهم البشرة . . ومن هنا تغني الدعاية عن الزبد » . .

ويمكن تسهيل التطابق عادة بوسائل مختلفة ، منها توحيد الهدف وايضاح البنية المعرفية ، من تحديد اسم وعلم للجماعة الى تحديد زي وشعار موحد للأفراد الى تبشير عقائدي .. الخ . كما يمكن التطابق أيضا بتشجيع الافراد على المساهمة في نشاط الجماعة واضطلاع كل بدور خاص .

وباختصار فان العوامل الحاكمة للروح المعنوية تحتل المكانة الاولى في ثبت العوامل المحددة . أما أثر العوامل السلبية فجداً ضئيل . فتضامن الجماعة مثلا يقوى أمام التهديد الخرجي ، ولكن هذا لا يصدق الا حين يتوفر للجماعة التضامن الداخلي . فان لم يتوفر ، نجم عن التهديد الخارجي ذعر وتفكك . ومعنى هذا ان الضغط الخارجي يرفع من الروح المعنوية شريطة أن تتوفر في الجماعة خصائص بنيوية معينة .

أضف الى هذا ما أبانه « ليبيت » من الجماعات مدعمة على أسس ايجابية تقاوم أكثر من غيرها دواعي التصدع .

اذن فالمسألة الرئيسية التي تعترضنا عند بحث الروح المعنوية للمنظمة العسكرية ، هي ان تنبع الرغبة في العمل والانتظام في الجماعة والخضوع لها والتضحية في سبيلها من صميم الافراد المكونين لها لا ان يدفعوا الى ذلك بواسطة السلطة المهيمنة على المنظمة والتي لهم الثواب والعقاب .

وهكذا تبين كيف أدى قيام موقف موحد بالنسبة لافراد مجموعة من الناس الى ترابط هذه المجموعة بعلاقات أقاموها فيما بينهم . وكيف خلق هذا الموقف هدف واحدا يسعى اليه الجميع ويكيفون علاقاتهم ببعضهم البعض للنجاح في مساعيهم . وبالنسبة للفرد الواحد في هذه المجموعة تبين كيف ربطه الموقف الموحد بالمجموعة وجعله حريص على الانتماء اليها . وكيف

أدى هذا الرباط الى تطابق الهدف العام الذي ترمي اليه المجموعة كوحدة مع الهدف الخاص الذي يعنيه وهو النجاة من الخطر •

وبقول مختصر تتبين كيف تحولت مجموعة الافراد الى جماعة اجتماعية ذات موقف واحد وهدف مشترك ورباط يربط جميع أفرادها في وحدة متجانسة •

وليس من شك في أن أحد العوامل الاساسية كما قلنا في هذا الصدد هو فهم الافراد لاهداف المنظمة الاجتماعية التي ينتمون اليها وعلاقة هذه الاهداف بوظائفها التي تقوم بها •

وفي حالة المنظمة العسكرية بالذات ينبغي أن يفهم كل فرد فيها لماذا يحارب ؟ وفي سبيل أي أهداف يقاتل ؟

وعلى المنظمة العسكرية واجب أساسي هنا هو ان ترتبط بين هذه الاهداف وبين حاجات الافراد ، فالجندي ينبغي له ان يعرف الفوائد التي ستعود عليه وعلى وطنه بوجه عام من قيامه بالقتل وانتصاره فيه • بل وينبغي له أن يكون مؤمنا بوجهة نظر دولته ان قررت خوض غمار الحرب • ولقد سادت القوات المسلحة الامريكية روح معنوية عالية بعد حادثة «بيرلهاربر» لان كل جندي أمريكي كان يعرف ان دولته أخذت على حين غرة • وانها هوجمت بطريقة غادرة ومن حقها حينئذ ان تثأر لنفسها وتدافع عن كيانها• وعلى ضوء هذا الوعي للاهداف العامة للقتال يمكن أن يفهم الجندي كثيرا من الاغراض الجزئية التي تلزمه في نشاطه العسكري الذي يتطلب روحا ومعنوية عالية في الاداء •

الغرض من التدريب مثلا يمكن ان يقوم على أساس افهام الجندي أهمية اجادة استعمال السلاح لا في الانتصار في المعركة فقط بل وفي الدفاع عن نفسه وحمايتها أيضا •

وحبذا لو وجد الجندي تطبيقا مباشرا لهذا الافهام في مناورة حربية •

فالمناورات العسكرية يمكن ان تستخدم ايضا لبث الوعي الحربي بين الجنود بالاضافة الى اجادة فنون القتال .

ولا شك ان الروح المعنوية للجنود سوف ترتفع أيضا اذا احسوا بأن السلطة في المنظمة العسكرية لا تعتمد على دوافعهم وحاجاتهم في اثارة استعدادهم للقتال فقط بل وتعتمد أيضا على هذه الحاجات في تهيئة العناية بهم ، فوصول تعيينات الطعام وخاصة أثناء القتال في مواعيدها وفي حالة جيدة والاهتمام بتحديد فترات للراحة والتسلية والترفيه وتنظيم التراسل بين الجندي وعائلته . والرعاية الطبية الدقيقة ومراعاة حقوق الجندي في الترقية والاجازات . كل هذه أمور تؤدي اشباعات هامة للجنود كأفراد تؤهلهم للتفرغ للقيام بواجباتهم الاساسية . كما انها تشعرهم بأن السلطة المهيمنة على أمورهم ليست مصدرا للاوامر والنواهي فحسب بل هي مصدر للاشباع أيضا ، الامر الذي يثير تعلقهم ويسهل توحيدهم بها .

كذلك ينبغي أن ينصب الاهتمام على اندماج جوانب كثيرة من شخصية الجندي في الحياة العسكرية . وذلك باتاحة الوان من النشاط قد لا تتصل بالقتال أو التدريب اتصالا مباشرا . فالنشاط الرياضي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الديني يستوعب كثيرا من هوايات الجندي واتجاهاته النفسية . كما انه يثير فيه اهتمامات وحاجات تكفل الحياة العسكرية باتاحة وسائل اشباعها وتهيئة ميادين النشاط له . فاذا ارتبطت هذه الالوان من النشاط بطبيعة حياة الجندي في المنظمة العسكرية ، واذا تكاملت مع فرص الاشباع التي تتيحها المنظمة ومع ما تبثه من وعي وفهم لاهدافها ووسائلها لهذه الاهداف . واذا توافر للجندي الذي يستطيع أن يدفعه الى ابراز فرديته وتأكيدها ، ويلائم بينها وبين طبيعة النظام العسكري أمكننا حينئذ أن نقول أن الجندي لا يدور كقطعة الشطرنج وانما هو يشارك في نشاط وحدته العسكرية ويهبها قدرا ضخما من اهتمامه وطاقته ، ولا يجد حاجزا بين كيانه كفرد وبين بنائها كمنظمة .

الفصل الثالث

الخوف ، سيكولوجية الضبط ، الانفعالات طبيعتها ، مظاهرها ، تأثيرها ، ووسائل السيطرة عليها • التوافق وسائل التوافق المفيدة والضارة ، الامراض النفسية والعقلية الناتجه عن سوء التوافق •

الخوف : لقد سبق للعلامة النفسي ديل كارنجي بأنه قال « لم أجد كتابا واحدا يعالج موضوع القلق ، فالواقع أن المؤلفات في علم النفس التي تزايد عددها في الآونة الاخيرة زيادة كبيرة ، يكاد لا يخلو مؤلف منها من فصل أو بضعة فصول عن القلق ، ولكن الطريقة التي بحثت بها هذا الموضوع وما يتعلق به من خوف ومن توزع الذهن وبلبله الخاطر والتوجس من المستقبل » كلها تطرقت لهذه المواضيع ولكن تطرقها كان من الناحية التي يمقتها العلامة كارنجي ، أي الناحية النظرية ، الاكاديمية وهذه الفصول بحوثه في الاغلب محوطة بهالة علمية جافة ، محشوة بالاصطلاحات الفنية المتعقدة ، التي يحتاج القارىء لفهمها وتتبعها الى دراسة تمهيدية في علم النفس لا تقل عن أربع سنوات ، واذن فحين يقول كارنجي انه لم يجد كتابا واحدا يعالج موضوع القلق وما يتعلق به فهو يقصد انه لم يجد كتابا واحدا يشفي غليل سواد القراء الى الالمام بموضوع القلق وما يتعلق به من خوف وبلبلة الخاطر ••• الخ • وطرق علاجه لذلك بدأ بتأليف كتابه الذي تضمن القلق في شتى صوره ومظاهره وعرض لعلاجه بطرق

عمليةميسورة وعنوانالكتاب How to stop Worrying and stat living فالخوف أو القلق أو الحياء أو فقدان الثقة بالذات تسيطر على ملايين الناس فطرق علاجها والخلاص منها خدمة كبيرة لهذه الملايين لذلك نرى ان العلامة كرنيجي أدى هذه الخدمة في كتبه المذكور . ولعل القلق أكثر الاحساسات الضارة شيوعا . فان تشعب سبل الحياة في هذا العصر وتعدد المسؤوليات وتزايد التبعات الملقاة على عاتق الفرد لا تعفيه من القلق ولا تخليه من الخوف والكدر والوهم وتوزع الذهن وبلبلة الخاطر والتوجس من المستقبل وهي كلها مرادفات للقلق على اطلاقه . وقد يبدو للوهلة الاولى ان الاحساس بالقلق ومرادفاته ينحصر ضرره في أنه مجرد احساس بالقلق ولكن في الواقع أن القلق ومشتقاته من المضرة بحيث يذره اشخاص وراءهم وهم يعانون شتى صنوف الامراض . ويستطيع أحيانا ان يسلب أصحاب كل بهجة للحياة بل أن يقضي على أعمالهم وموارد أرزاقهم وكيف أنه يجر في أذياله حتما غيره من الاحساسات الهدامة كالخوف والبغضاء وفقدان الثقة بالذات وغيرها مما يبعد الانسان عن أسباب السعادة . والذي يهمنا من القلق هو الفرع المشتق منه وهو الخوف والعنصر الاساسي الذي نريد أن نبحثه

الخوف هو علاقته بالشائعات المخيفة من ناحية وفي وقت الحرب من ناحية أخرى . فنرى ان الشائعات تنتشر لان الناس خائفون قلقون . والانسان في حالة الخوف والقلق مستعد لان يتوهم أمورا كثيرة لا أساس لها من الصحة وهو مستعد لان يفسر الحوادث العادية تفسيرات خاطئة يمليها عليه الخوف والوهم . وهو مستعد أيضا لان يصدق كل ما يقال له مما يمس موضوع خوفه وقلقه من قريب أو من بعيد . ولهذا السبب نرى انتشار الشائعات بسرعة بين الناس في الاوقات التي تضطرب فيها أفكارهم وتتبلبل خواطرهم ويستولي عليهم الخوف والقلق ونشهد ذلك بوضوح

في اوقت الحروب ، وأثناء الازمات السياسية ففي اوقات الحروب مثلا قد تسبب رؤية الجنود الجرحى العائدين من ميدان القتال انتشار الكثير من الشائعات عن الخسائر الفادحة التي أصيب بها الجيش في الميدان ولشائعات الخوف اضرار جسيمة لانهـا تعمل على نشر الخوف واثارة الذعر في النفوس • واذا استولى الخوف والذعر على النـاس ضعفت معنوياتهم ، وانهارت ثقتهم بأنفسهم وانا اذ استوحت الفكرة المؤثرة فان نقائضها تخلد الى الهدوء ولذلك يجب أن نفرق اللا وعي في مداواة الخوف بعبارات وصور توضح راحة البال والاتزان والموقف الهادىء الذي يجب ان يتخذه مرء امام الناس ان الخوف يتلاشى بممارسة الايماء الذاتي فالممثل جري ، و خطيب يقفن أمه ـن مسلحين بالتمرين وفكرة عدم التأثر لا مبالاة ، والشعور بالسرور والفخر لاصغاء الناس اليهم • انهم يحضرون عملهم بالمخيله وهم يسردون ذهنيا (أنا مطمئن ، أنا مطمئن ، مطمئن •• الخ) واذا أراد امرء ان يتغلب على عادة أو ان يغرس الثقة في نفسه ، أو الاطمئنان أو اكتساب الهدوء ، بين الناس فلا بد ان لا يتوقف عند فكرة الحصول على نتيجة تامة أو نجاح غير تام • ان تذكر المحاولات المستمرة و تجارب مخفقة يجب ان لا يصل الى حد قتل العزيمة وملاشاة الشجاعة • الروح المضطربة تحتاج الى بساطة ووضوح يقدر احتياجه و فهم واضحة •

وقد ثبت علميا أن الخوف هو أحد الاسس التي يعتمد عليها المرض العصبي • فالخوف خطأ مميزا في هذا العصر نجده في تزايد الرعب ، وفي الخوف الجنوني المتصاعد كموجه أمام العلم النفساني ، وفي الابحاث السياسي الجماهير المشتركة في الحروب أو في ضوضاء الحروب •

ومعظم الناس يعتبرون الحرب غريزة طبيعية لصيانة الفرد أو الجنس،

ولكن الاكتشافات السيكولوجية في السنوات الاخيرة أظهرت ما هو وراء كل ذلك • فالآن نعرف ان الخوف هو نتـــاج ذهني متأت من ظروف محدودة في القسم الاول من الحيـاة ، فاذا لم تتوفر ضده الظروف فأن الخوف لا يحدث •

فهناك عاملان يهيئان الطفل للخوف الاول ، تعرض الام لتوتر ذهني أو لخوف شديد حين كانت حاملا • وهذا لا يسبب الخوف بل ينتج مزاجا كثير الميل لنمو الخوف • اما العامل الثاني الذي يهيىء الخوف فيما بعد فهو العنف أثناء الولادة وبعدها مباشرة وقد اظهرت التجارب الطبية أن الاطفال المولدين بواسطة ملاقط ، المولودين بعد مخاض صعب يكونون دائما كثيري العصبية •

وهناك عوامل اخرى تأتي بعد الولادة كاختناق ناتج عن حبل السرة• وفي عدم وجود هذه العوامل فان الرضيع يبدأ حياته دون خوف • ومعظم انواع الخوف تثبت وتقرر بعد سن السابعة تقريبا • ولكي نشفي الخوف يجب علينا أن نفصله ذهنيا عن الشيء أو الفكرة التي يرتبط بها القلق ففي الاغورافوبيا مثلا تستطيع أن تحكم عقلك وتقنع نفسك ان الاماكن المكشوفة هي في ذاتها غير ضارة • والاشخاص العاديون لا يخافونها • فاذا حكمت عقلك هكذا تستطيع ان تتحقق من ان الخوف من الاماكن المكشوفة ليس هو الذي يزعجك بل القلق المرتبط بفكرة هذه الاماكن •

حين تفكر بالخوف تأكد ان كل رجل أو امرأة يستطيعان التخلص منه • وبكلمة أخرى فانك لست عبدا للخوف • وأهم سر للانعتاق من الخوف هو ان تذهب رغبتك في اعطاء السرور للآخرين على حساب نفسك وقد قال الدكتور (أدلر) في كتابه (مشاكل الامراض العصبية) انه يستطيع

أن يشفي أي شخص مستعد لان ينذر كل وقته وكل فعاليته لمهمة ادخال السرور على قلوب الآخرين ، وان يشفيه في أقل من شهر . ويطول وقت المعالجة بقدر ما تخف القدرة على التحرر من الخوف . وبعض المرضى يجدون تعزية كبرى عندما يتحققون من أن القلق مرتبط ارتباطا وثيقاً بالريبة . وقد أثبتت الازمات ذلك لان اولئك الذين كانوا أكثر قلقا من غيرهم يستطيعون أن يقوموا بواجباتهم بهدوء أو شجاعة فيما لو أتت الحرب ، وما ذلك سوى أنّ الريب قد زال . ان المجرم ربما يتحول الى حالة من الشرود فيما لو ظل شاكا في دعواه . أما حين يرد استئنافه للحكم فمن الممكن أن يعود الى لعب الدومنيق مع حارسه لان شكه أصبح يقينا ، اذا القلق هو الذي يقتل والقلق هو مخيلة ، والمخيلة يمكن أن تخضع للمراقبة فاذا كنت سعيدا أو شقيا بامتلاك مخيلة حية فعليك ان تهذبها لتصبح مخيلة ايجابية . وعليه ان تعلم ان اكثر من ثلاثة ارباع الخوف لا يتحقق أبدا ، وليس ذلك سوى فعالية ذهنية مبعثرة والم ذهني . لا تحاول أبدا أن تهرب من الاشياء التي تخافها بل عليك بمجابهتها ، ان طياري السلاح الجوي حين تخمد عزائمهم يضطرون الى التحليق مباشرة لكي يتغلبوا على الخوف قبل ان يتمكن منهم . واما اعراض القلق أو الخوف فهي زيادة في نبضات القلب ، وسرعة التنفس ، وجفاف الحلق وما شابه ذلك ، وبعض المخاوف العنيفة التي تستثير قلقا حادا قد تحدث في مواقف تافهة لا تستدعي استثارة أي خوف أو قلق . ولكن يبدو ان هذه المواقف قد حلت محل مواقف أخرى تتميز المواقف الجديدة عنها في انها تعفي الفرد من المسؤولية . فقد تستثير رؤية رجال البوليس خوفا حادا زائدا في فرد ما دون أدنى سبب ظاهر ، فالخوف منهم هنا قد يعود الى ان الفرد قد مر بخبرة في حياته كالسرقة مثلا هدد فيها بتسليمه للشرطة ، وانتهت هذه الخبرة ونسيها

هذا الفرد الا انها استمرت تؤثر عليه ، فيخاف من الشرطة دون داع الى ذلك • وترى هورناي Horney أن هناك أربع طرق يلجأ اليها الفرد للتهرب من القلق والخوف وهي (التبرير ـ الانكار ـ التحذير ـ وتجنب المواقف التي قد تستثير هذا القلق أو تؤدي الى التفكير فيه) وفي كثير من الحالات يكون الخوف غامضا مبهم لا يتعلق بشيء معين • وللتخلص من مثل هذه الحالات من القلق يجب الكشف عن العوامل اللاشعورية التي تسبب هذا القلق ، وهذا يستلزم بلا شك الاستعانة بالاخصائيين النفسيين ، والواقع ان علاج الخوف ـ هذا المرض النفسي ـ لو حصل بين أفراد القوات المسلحة ـ ضروريا ـ والمهم من ناحية ان الخوف هو عامل يؤثر تأثيرا سيئا على القادة والضباط والجنود خاصة اثناء القتال والخوف لم يكن فقط عاملا مهما في تخفيض الروح المعنوية وانما هو في مقدمة العوامل •

فالخوف من العدو سواء أكان من عدته وعدده وتدريبه أم خوفا من مهارة قيادته • ومن اشد العوامل المثيرة للخوف انتظار هجوم العدو وتخمين نوعه والجهة التي سيأتي منها • فحين اذ يكون المنطق النفسي للضباط والجنود ـ وقوع البلاء خير من انتظاره وحينئذ يسود الشك والقلق نفوسهم وتكثر التخيلات والتخمينات ، وكثيرا ما يدفع القلق الشديد الضباط والجنود الى الهجوم المتعجل ليتخلصوا من الانتظار المخيف • وقد خسر الامريكيون كثيرا من الجنود بهذه الطريقة أثناء قتال الغابات مع اليابانيين في الشرق الاقصى • فقد كانوا يندفعون في التقدم فيقعون في الكمائن •

اما من ناحية الانفعالات فتمتلىء حياة الفرد بأنواع مختلفة منها ، الفرح والنشوة ، والضحك والسرور ، والاحزان والافراح ، والبكاء

والضيق ، والأمن والحب ، والرهبة والخوف والغضب والكراهية وما الى ذلك • وتفيض اللغة بالمصطلحات التي تعبر عن الحالات الوجدانية الانفعالية • وقديما فرق العلماء بين الحالات المعتدلة منها والحالات الحادة • فأطلقوا على الاولى الحالات الوجدانية وعلى الثانية الحالات الانفعالية • والأساس في هذه التفرقة هو اختلاف في الدرجة لا في النوع لذا يطلق علماء النفس حاليا على كل هذه الحالات اسم الانفعالات والانفعالات نوعان : سارة وغير سارة • وفيما عدا هذا التقسيم فغالبية المصطلحات انما تبين الدرجة أو الحدة •

والانفعالات حالة التوتر في الكائن الحي تصحبها تغيرات فسيولوجيه داخلية ومظاهر جسمانية خارجية غالبا ما تعبر عن نوع هذا الانفعال • وقد درس كانون Cannon التغيرات الفسيولوجية والجسمانية للخوف والغضب وفي رأيه ان هذه التغيرات تكوّن نمطا منتظما وظيفته اعداد الكائن الحي في حالة الخوف مثلا لمجابهة الخطر • فاذا دخل كلبا فجأة على قطعه تأكل طعامها وهي آمنة ، كانت أهم التغيرات الفسيولوجية والجسمانية التي تعتريها هي توقف المعدة عن القيام بعملية الهضم ، وارتفاع ضغط الدم ، وازدياد عدد ضربات القلب ويتحكم الجهاز العصبي السمبثاوي Sympathetic في المخ في تنظيم هذه العمليات ، حتى يتولد النشاط للهجوم والدفع ولتعويض الجهد المبذول • وتقف القطة متحفزة لهجوم الكلب • وما ينطبق على الحيوان ينطق على الانسان ومما يلاحظ أن للجهاز العصبي أثرا كبيرا للانفعالات • فالخوف انفعال ودافع يتضمن حالة من حالات التوتر التي تدفع بالخائف الى الهرب من الموقف الذي أدى الى استثارة الخوف حتى يزول التوتر ويزول الانفعال • فالشخص الذي لدغته الحية يخشى نابها كما يقول المثل وقد يكون الخوف حادا فيصبح خوفا

مرضيا . وتؤثر هذه المخاوف على سلوك الفرد وتصبح دوافع قوية تؤثر في حياته كلها . والطبيب الاخصائي لا يجد صعوبة في تشخيص الاصابة بحالة القلق ، حيث تبدو عوارض المصاب في العادة بينة واضحة تنم عما هنالك من اضطراب نفسي ، الا انه لما كان هناك من الامراض العضوية والعقلية ما تشابه عوارضه ما يظهر منها في حالات القلق ، كان من الواجب أن يفحص المصاب فحصا تاما يحتاج في بعض الأحيان الى تحليل أو تصوير أو غير ذلك للتثبت من حالته . وتختلف عوارض الامراض العقلية عن عوارض الامراض النفسية لذلك يجب أن يشترك في هذه الحالة الطبيب العقلي والعالم النفسي في آن واحد .

ويواجه عالم النفس صعوبة لا تقدر في اقناع المصاب بحالته النفسية وخاصة المصاب بحالة القلق . والمعروف أن عوارض الخوف تبدو واضحة كل الوضوح في حالات القلق بحيث يسهل على الفاحص تشخيص الاصابة على الفور بعد أن يتأكد أنه بصدد حالة نفسية . اما الحالات التي تبعث الحيرة فهي التي تجمع مع العوارض النفسية اصابة عضوية . وقد ثبت لدى بعض المشتغلين في هذا الفرع من العلوم أن حالات القلق هذه هي أكثر الامراض النفسية قابلية للشفاء اذ تبلغ نسبة الشفاء فيها نحو من ٩٥٪ أو أكثر . ويبدأ العلاج بفحص تاريخ المصاب من حيث نشأته وبيئته وعاداته وما صادفه في حياته من عقبات وملمات فحص تاما ويحسن أن يشمل ذلك كل ما يمكن معرفته عن أيام طفولته وعن والديه وأخواته وظروفه العائلية. ويجدر بالفاحص النفسي أن لا يتمسك بطريقة واحدة من البحث والعلاج، فقد يفيد التنويم المغناطيسي في حالة لا يفيدها التحليل مثلا وقد يفيد التحليل مصابا لا ينفعه الايحاء وهكذا ، بل قد يكون من الضروري أحيانا استعمال بعض العقاقير والعلاجات التي تستعمل في علاج الامراض العضوية كعامل

مساعد على شفاء الحالة •

اما من ناحية الضبط وعلاقته بالصحة النفسية ، فالصلة واضحة ، فكل تطور يطرأ على الشخصية من شأنه أن يحدث فيها شيئا من الاضطراب نتيجة للتخلي عن بعض أنماط السلوك وصفات الشخصية واكتساب أنماط وصفات جديدة • ولذلك كان من الاهمية بمكان أن ندخل فيه بأعتبارنا أسس التنشئة الاجتماعية (Socialization) وما يتصل بها من أمور الصحة النفسية عند بحثنا للضبط والربط ، ومن ناحية أخرى يتصل الضبط والربط بالروح المعنوية والقيادة العسكرية اتصالا وثيقا • فاقامة النظام معناه دفع السلطة للفرد بما تفرضه من أوامر وقوانين وتعليمات نحو الانتظام في عمله والسلوك وفق المعيار الاجتماعي • وقد رأينا في كلامنا عن الروح المعنوية والقيادة العسكرية أن هناك فرق" بين أن يؤدي الفرد واجبه بدافع الخوف من السلطة التي تفرض عليه اداء ذلك الواجب وبين أن يؤديه بدافع من نفسه أي بدافع الأحساس بالواجب والشعور بالمسؤولية وعليه فالضبط والربط يجب أن يبنيا على اعتبارين أولهما التنشئة العسكرية للفرد من حيث تحويله من شخص مدني الى شخص عسكري • والاعتبار الثاني الروح المعنوية للفرد والجماعة من حيث اننا لا نبغي من الضبط والربط اقامة النظام بل نريد فوق ذلك تحقيق روح معنويه عالية بحيث تنبعث الدوافع الى السلوك النظامي من داخل الافراد انفسهم لا من مجرد خضوعهم لقيادتهم •

- **اما التوافق** فهو النشاط الذي يقوم به الكائن الحي ويؤدي الى اشباع الدافع ، إذ أن الكائن الحي عندما يشعر بدافع معين فأنه يقوم عادة بنشاط يؤدي الى اشباع هذا الدافع ، فالانسان يشعر بالجوع ، ويدفعه ذلك الى البحث عن الطعام ليشبع دافع الجوع وليعيد الى أنسجته طاقتها المستكهلة •

ويشعر أحيانا بالحرارة الشديدة فيسعى الى التماس ، الجو المعتدل المريح ... الخ وهكذا تتضمن حياة الكائن الحي توافقا مستمرا . وما دام قادرا على القيام بهذا التوافق فهو يستطيع الحياة والبقاء . أما اذا عجز عن القيام بهذا التوافق فهو لا شك سيلقي الموت والفناء .

وقد تكون عملية التوافق في بعض الاحيان أمرا سهلا يقوم به الكائن الحي دون مشقة وقد تكون عملية التوافق في كثير من الاحيان أمرا شاقا وعملية التوافق التي يقوم بها الحيوان تكون في الاغلب متعلقة بأشباع حاجاته ودوافعه البيولوجية الفطرية ويختلف الانسان عن الحيوان في هذا الصدد ، فهو لا يحتاج فقط الى التوافق باشباع دوافعه البيولوجية ، بل انه يحتاج أيضا الى التوافق بأشباع كثير من الدوافع الاجتماعية التي تنشأ عن الحضارة والمجتمع والتفاعل الانساني ، ونستطيع أن نجد في قصة ديموثنس الخطيب اليوناني المشهور مثالا تاريخيا يبين لنا كيفية استطاعة الانسان ان يتوافق بطريقة ناجحة مفيدة لما يحس به من عيوب ونقائص . فمن المعروف عن ديموتينس أنه كان مصابا بلعثمة تعوقه عن الخطابة بطلاقة . ولما كان ديموتينس يرغب في أن يكون خطيبا فقد أخذ يذهب الى الاماكن الخالية ليتدرب على الخطابة بدون لعثمة . وباستمرار هذا التدريب استطاع ديموتينس في نهاية الامر أن يتغلب على لعثمته ، وان يصبح من أشهر خطباء اليونان في بلاغته وطلاقته . فالقوات المسلحة منظمة اجتماعية قبل كل شيء ، وهي تختلف عن سائر المنظمات المدنية في أن لها نظاما اجتماعيا معينا له تقاليده وخصائصه الخاصة به . وله صورته المتفردة للسلوك الأجتماعي يتمسك بها ويفرضها على الافراد المنتمين اليه في تصرفاتهم الشخصية وفيما يقوم بينهم من علاقات . والمنظمة العسكرية تُعْنَى عناية كبيرة بتدريب الافراد المستجدين على اداء السلوك العسكري

قبل عنايتها بتدريبهم على اداء السلوك الفني (العمل على أجهزة التسليح)
اذ يقضي الفرد المستجد عادة فترة زمنية ليست بالقصيرة في بدء حياته
العسكرية يتدرب فيها على اداء السلوك • فالتوافق الناجح في المحيط
العسكري لا يعني فقط صلاحية الفرد فنيا للعمل في الخدمات المختلفة بما
لديه من قدرات أو استعدادات وانما يعني أيضا صلاحيته شخصيا للتوافق
مع محيط اجتماعي جديد • واكتساب صور جديدة للسلوك والتصرف
وبذلك برزت أمام السيكولوجيين العاملين في المحيط العسكري مشكلة
لها أهميتها الكبرى وهي مشكلة التوافق النفسي الاجتماعي للفرد في المنظمة
العسكرية • والواقع ان اهتمام السيكولوجيين بهذه المشكلة لم ينشأ على
نحو مباشر الا في الحرب العالمية الثانية وفي الولايات المتحدة بالذات • أما
قبل ذلك فيعتبر بارتلت Bartlett سنة ١٩٢٦ أول من تناول بالبحث بعض
جوانب هذه المشكلة حينما كتب عن سيكولوجية الضبط والربط والروح
المعنوية وعن دلالة التغير الاجتماعي الذي يحدث بانتقال الفرد من المحيط المدني
الى المحيط العسكري (Bartlett Phychology and The Soldier)
كذلك قام أطباء العمل بدراسة حالات الانحراف السلوكي في الجيش على
نطاق واسع ، وقد شملت دراساتهم حالات الجنايات العسكرية كالهرب من
الخدمة والتمارض والسكر الشديد والجنسية المثليه وادمان المخدرات ،
كما تناولت الاضطرابات والمشكلات الانفعالية التي تتعلق بالتدريب والانتقاء
والتعبئة واتمام الخدمة العسكرية والعودة الى الحياة المدنية • وقد قدر
المسؤولون في قيادات القوات المسلحة في البلدان المختلفة أهمية الاتزان
الانفعالي بالنسبة للجندي أو الضابط وأتفقت آراؤهم مع وجهة نظر
السيكولوجين والأطباء في الحياة العسكرية وما تنطوي عليه من نظم كفيلة
بأن تكون محيطا ضاغطا بالنسبة للفرد من شأنه أن يزيد من حدة حالات
الاضطراب الانفعالي •

الفصل الرابع

سيكولوجية التعليم واساليب التعليم الحديث

ان معظم الضباط وضباط الصف ليجدون أنفسهم مطالبين بين وقت وآخر بأن يقوموا بالتعليم • فالقائد الذي يحس بأنه معلم جيد في بعض الأحيان بأثارة الرثاء ، ولكنه ينتهي باحداث الضـجر • فالرجل الـذي لا يستطيع أن ينقل افكاره في تماسك واقناع لم يكن يوما قائدا أو ضابطا عظيمـا •

ولا يستطيع أحد أن يتكلم فيشوق ، ويمتع ، ما لم يقرأ ويطلع ، لانه بالقراءة والأطلاع يحصل على الفاظ ، وصور ، وافكار • ومن الضروري لمن كان واجبه التعليم بغض النظر عن النوع الذي يهدف اليه هذا التعليم ، ان يعلم ما يحدث في العالم • يجب أن يعرف انباء كل يوم عند بدء اليوم • فمن لا يعرف ما يعرفه كل فرد ، لا يكون جديرا بان يعرف ما لا يعرفه أحـــد •

لهذا ينبغي أن يخصص الضابط وقتا معينا كل يوم لقراءة الصحف ، والمجلات ، والكتب • ينبغي لكل ضـابط محـارب أن يوجه التفاته الى نصيحة نابليون « أن الطريقة المثلى لدراسة (علم الحرب) هـي قراءة الحملات الحربية لكبار القادة ثم أعادة قراءتها المرة بعد المرة » وأفضـل طريقة للمبتدىء هي أن يدرس هذه الحملات في كتب التراجم •

والخطة الحكيمة عند اعداد المادة اللازمة لاغراض التعليم هي أن نحضر دائما أوفر مما نعتزم ان ننتفع به ، وهـذه الوسيلة لا تمنح المعلم الشـعور بالثقة فحسـب بل سارت الأمور في وجهة لا يتوقعها ، وكثيرا ما

يحدث ذلك ، كان من الميسور أن يكيف المرء نفسه وفق الظروف التي تغيرت • أما المادة التي لم تستعمل فيمكن استخدامها في مناسبة أخرى •

ويجب ان نعلم ان المدارس لم تكن هي وحدها الميدان الذي تتم فيه عملية التعليم فهنالك المنزل والملعب والمصنع ومعسكرات الجيش •

ولعلّ ما تتميز به فترة الحرب أن ظاهرة التعليم تصبح أكثر انتشارا وضرورة ، إذ يتعلم فيها الجنود وسائل الدفاع المختلفة وطرق استخدام الآلات الحربية المتعددة •

وقد رأى علماء النفس أنهم يوفرون على البشرية جهودا طائلة تضيع بلا طائل اذا هم هدوا الناس الى أحسن طرق التعلم وأقلها استنفاذا للوقت • وبديهي أن هذا لا يتيسر لهم الا اذا قاموا بدراسة العمليات الرئيسية التي تتألف منها ظاهرة التعلم ، والا اذا قاموا بالتدريس والتعليم في ظروف مختلفة متنوعة لينظروا أي هذه الظروف تعين على أن يكون التعليم مفيدا ومثمرا • ولابد للمعلم من أن يفهم كيفية تعلم الافراد لان قيامه بواجباته يتوقف الى حد كبير على هذا الفهم • فتعريف التعلم عند وودورث (Woodworth) بأنه نشاط من قبل الفرد يؤثر في نشاطه المقبل •

أما التعلم في نظر جيتس (Gates) فانه عبارة عن عملية اكتساب الطرق التي تجعلنا نشبع دوافعنا أو نصل الى تحقيق أهدافنا • اما في نظر (مَن Munn) فان التعليم عبارة عن عملية تعديل في السلوك والخبرة وأخيرا يرى (جلفورد Guilford) أن التعلم عبارة عن أي تغير في السلوك ناتج عن استثارة •

ومن هنا كان في مقدمة أهداف التربية والتعليم خلق حاجات للتعلم في نفس المتعلم ثم تهيئة فرص التعلم له ، وشتان بين من يعمل لتحقيق غايته أو لأداء واجب مفروض عليه • ان العمل الاهم للمعلم هو :ـ

أ ـ اعانة المتعلم في تحديد أهدافه وغاياته •

ب ـ مساعدته في الحصول على الوسائل والطرق التي تحقق هـذه الغايـات •

ج ـ وضعه في جو يستثيره لتحقيق هذه الغايات بالوسائل الانفع والأسرع ؛ وهكذا يكون التعليم (كما يعرفه أحد مشاهير علمـاء النفس) (تغير السلوك تغيرا تقدميا يتصف من جهة بتمثل مستمر للوضع ويتصف من جهة أخرى بجهودٍ متكررة يبذلها الفرد للاستجابة لهذا الوضع استجابة مثمرة ••) انه احراز طرائق ترضي الدوافع وتحقق الغايات ، وكثيرا ما يتخذ التعلم شكل حل المشاكل •• ويحدث التعلم حين تكون طرقـه القديمة غير صالحة للتغلب على المصاعب الجديدة ومواجهة الظروف الطارئة •

ونحن لا نطالب المدرس باتبـاع طريقة جامدة في التدريس ، بل على المدرس أن يكون المبدع بطريقته ، ونسمح له أن يرفض الطريقة التي تملى عليه املاءً ، وان يتبع الطريقة التي تتناسب والظروف المحيطـة به • فشخصية المدرس وتجاربه وسنه ومعلوماته كفيلة جداً بان تجعله المتصرف في ادارة شؤونه ، والطريقة التي يتبعها في تدريسه توقف على شيئين هما : المدرس والمتعلم والعلاقة الوثيقة المرتبطة بينهما • ويوفر علينا جون أدمز بقوله « نقصد بالتدريس الصحيح تزويد المتعلم بالمعلومات التي يمكن أن تؤثر في شخصه تأثيرا عمليا » • غير ان المعرفة لا يمكن أن يكون لها مثل هذا التأثير ما لم تكن المواد التي تتكون فيها مرتبة بشكل يتفق مع الهدف الذي يرمى اليه • فالمعلومات الكثيرة التي لا ترتبط بعضها ببعض لا تفيد كثيرا • فالعبرة اذاً ليست بكمية المعلومات التي تتلقاها ، بل بالفائدة التـي نحصل عليها من تلك المعلومات •

والمدرس الماهر هو الذي يقود أفكار التلاميذ من مرحلة الى غيرها ،

ولا يحملهم على محاكاته وترديد ما يقول من غير رؤية أو اعمال فكر ، فان ذلك يخرج مخلوقا مقلدا لا انسانا مفكرا •

وللتعلم دورٌ كبير في الحياة النفسية ويتفاوت مداه في كل من مجالات النمو الجسمي والحركي ، النمو العقلي واللغوي ، النمو الاجتماعي والانفعالي ، لذا فهو يكاد يتصل بكل موضوع من موضوعات علم النفس فدوره واضح في تحوير الدوافع الفطرية واكتساب العواطف والميول والعقد النفسية ، وفي طبع التعبيرات الانفعالية بطابع اجتماعي وحضاري • وللتعلم الأثر الكبير أيضا في تكوين الشخصية والخلق والضمير ، وخطره في توجيه الصحة النفسية للفرد الى الاستواء أو الاعتلال •

ويجب على المدرس أو المدرب أن لا ينسى (نظرية انتقال أثر التدريب) في تدريسه وفي تدريبه والاستفادة منه •

يطلق اصطلاح (انتقال أثر التدريب) حينما يؤثر تدريب أو خبرة تعليمية (سواء أكانت عقلية أم يدوية) في مجال ما على ناحية أخرى أو مجال آخر ، غير المجال الاصلي الذي اختصر به في البدء ، ذلك التدريب أو تلك الخبرة التعليمية •

والواقع ان هذا الانتقال يظهر في نواحي شتى من حياتنا العادية ، فتعلمك مثلا قيادة نوعا ما من السيارات يجعل من السهل عليك أن تقود سيارات من نوع آخر ، ولو لم تكن قد خبرتها من قبل ، بنفس السهولة التي تقود بها الاخرى تقريبا •

ومعنى ذلك أن أثر التدريب على قيادة السيارة الاولى ، قد انتقل معك الى السيارة الثانية ، فاستعملت في قيادتها العادات الحركية والعقلية التي استعملتها في قيادة السيارة الاولى •

واخيرا يمكن تحسين برامج التعليم والتدريب باتباع مبادىء التعليم التي كشفت عنها أبحاث علماء النفس • فليس من المحتمل أن يتعلم الانسان شيئا ما لم تجابهه مشكلة ، وما لم يكن في حاجة تدفعه الى القيام بحل هذه المشكلة • ولذلك يقول المثل (الحاجة أم الاختراع) • ودلت التجارب على أنه من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل تعليم الحيوان الشبعان ، ولكنه من السهل تعليم الحيوان الجائع ، كثيرا من الحركات والافعال من أجل الحصول على الطعام •

وهذه هي الطريقة التي يتبعها مدربو الحيوانات • ودوافع الانسان على نوعين دوافع فطرية ، ودوافع مكتسبة •

فمن الواجب على المدربين والمدرسين أن يعملوا دائما على ترغيب المتعلمين في التعلم ، وعلى اعلاء همتهم ، وزيادة حماسهم ، فان تقوية رغبتهم في التعلم من أهم عوامل نجاحهم •

ويمكن اثارة دافع المتعلمين بايجاد شيء من التنافس بينهم ، وذلك بالاكثار من اقامة المباريات المختلفة بينهم ، ومنح الجوائز والرتب للفائزين •

ويجب أن يقضي المدرسون في بدء كل درس بعضا من الوقت في شرح الغرض من الدرس وتوضيح أهميته ، وبذلك يثيرون الاهتمام بين المتعلمين ويحفزون رغبتهم ، ويهيئون انتباههم • وذلك أفضل كثيرا من الدخول مباشرة في تفاصيل الدرس دون أن تسبق ذلك فترة توجيه وتحفيز •

فالطريقة في أوسع معانيها لا تعدو ان تكون اعدادا للخطوات اللازمة لعمل شيء من الاشياء ، فالنجار له طريقته الخاصة في تشييد المنازل

الخشبية ، كما للبناء طريقته في البناء ، وللميكانيكي طريقته في تصليح السيارات والدبابات والطائرات ، وكل هؤلاء يجيدون الطريقة التي تذلل لهم العمل •

والطرق بصورة عامة أما أن تكون مرتجلة أو مرتبة منظمة ، واذا جاز لنا ان نطلق اسم الطريقة على النوعين فما لا شك فيه أن النوع الثاني هو الخليق بهذا الاصطلاح ، والسر في ذلك هو ان الطرق المنظمة عادة أكثر اقتصادا من المحاولة والخطر ـ لانها توصل الى النتائج في أقصر وقت وبأقل مجهود •

فأهميه الطريقة في التدريس تتركز في كيفية استغلال محتوى المادة بشكل يمكن المتعلمين من الوصول الى الهدف الذي نرمي اليه في دراسة مادة من المواد ، وواجب على المدرس أن يأخذ بيد المتعلم أو المتدرب من حيث المستوى الذي وصل اليه محاولا أن يصل به الى الهدف المنشود ، ولكي يحقق هذا لابد من وجود بعض وسائل النقل التي يجب أن يلم بها المدرس •

واذا وجدت الطريقة وانعدمت المادة تعذر على المدرس أن يصل الى غايته واذا كانت المادة دسمة والطريقة ضعيفة لم يتحقق الهدف المنشود ، فحسن الطريقة لا يعوض فقر المادة ، وغزارة المادة تصبح عديمة الجدوى اذا لم تصادف طريقة جيدة وهذا يشبه حاله مسافر الى بلد من البلدان في سيارة ، فقد يكون هذا الشخص سائقا ماهرا ولكن ما قيمة ذلك اذا كانت العربة في حالة يرثى لها ، لانه من المحتمل أن يصيبها العطب في الطريق فلا يصل الى مقصده ، واذا حدث العكس وكانت السيارة جيدة والسائق يجهل أصول القيادة فقد يرتطم ويحطم عربته في الدقائق العشرة الاولى •

وهذا الكلام يتحقق بحذافيره في ميادين التدريس فالطريقة تصبح

عديمة الجدوى اذا لم تصل بالمتعلم الى الهدف المنشود ، والكفاءة التي تمكن المدرس من الوصول بالمتعلم الى الهدف هي التي تحدد نوع الطريقة ، فاذا وصلنا الى الهدف المرسوم بسرعة وبدقة فالطريقة تصبح جيدة ، ولكن اذا وصلنا اليها بطرق جانبية ملتوية فالطريقة اذاً تكون رديئة ، فقد يتوصل الفرد العادي من غير ارشاد وتعليم الى الهدف عن طريق المحاولة أو الخطأ ، والطرق التعليمية يجب أن ترتفع في مستواها عن تلك الطرق العشوائية . فيجب علينا الا نلتفت الى تلك الطرق الرديئة ، بل نتحرى دائما الطرق الجيدة . ويهمنا أن نتساءل عن الاسباب التي تدعونا الى العناية بالطريقة ، فتجعلنا نادي بانها يجب أن تكون جزءاً مكملا لمنهج الدراسة ؟

الواقع ان هناك عدة أسباب هي :-

١ - أنه لا يمكن فصل الطريقة عن المادة . فلكي تؤدي الطريقة وظيفتها بنجاح أن ترتبط بالمادة بحيث يصبح الاثنان كلاً واحداً - فالطريقة لا يمكن عزلها عن المادة بحيث تصبح قائمة بنفسها .

٢ - يجب أن تضمن الطريقة امكان تناول المادة - بشكل موصل الى الهدف . ومثل هذا الضمان لا يمكن الحصول عليه الا اذا انتقيت الطريقة للمادة بعد اختيار وتجربة .

٣ - ان اختيار الطريقة أمر علمي قائم على أصول معينة لا يمكن مجانبتها .

فالطريقة الناجحة يجب أن تقوم على أساس علمي من حيث ارتباطها وعلاقتها بالمادة المراد تدريسها والهدف المراد الوصول اليه .

— واذا كان الامر كذلك فما هي الأسس أو المميزات التي يجب ان تتوافر في الطريقة الجيدة ؟ .

١ - يجب أن نجعل الهدف واضحا أمام المتعلم •
٢ - ومن شأنها نستغل الدوافع التي تدفع المتعلم الى العمل •
٣ - وكذلك نستغل مظاهر نشاط المتعلم •
٤ - نبعث في المتعلمين المقدرة على الحكم على النتائج •
٥ - تمكنهم من دراسة النتائج التي وصل اليها •
٦ - وتهتم بالمستوى التربوي الذي يبدأ منه المتعلم •
٧ - وهي التي تنتقل من الناحية السيكولوجية الى الترتيب المنطقي •
٨ - ومن شأنها أن توصل حتما الى الهدف •
٩ - وهي التي تربط المادة بالحياة الاجتماعية •

اما عن وصول الهدف فقائم على أساس سيكولوجي غير خفي وهو أن وضوح الهدف يساعد المتعلم على تحقيقه •

وقد أثبتت تجارب (بيترسن) أن ٧٥٪ من المتعلمين الذين اتضحت الأهداف أمامهم قد أتوا بنتائج أحسن من غيرهم ممن لم تتضح الاهداف امامهم وتعليل ذلك ليس بالامر العسير ؟ لان الفرد الذي يتضح الهدف أمامه يجد ما يسترشد به في عملية التعليم فيتمكن من الاحتفاظ بما يساعده على الوصول الى هدفه ويبعد العناصر غير الهامة وينظم طريقته بشكل يساعده على الوصول الى غايته •

واما عن استغلال الدوافع التي تدفع المتعلمين الى القيام بالعمل فيجب أن تحرص على العناية بالحوافز الباطنية •

فمما لا شك فيه انه اذا أراد الفرد العناية بعمل من الاعمال فلابد من أن يبذل نشاطا ولكي يبذل الانسان نشاطا لابد من مثير يدفعه الى العمل ، ويسمى هذا المثير بأسماء مختلفة كالاهتمام أو الميل أو الاتجاه العقلي أو

الارادة أو الحافز • وهذا الميل قد يكون مثيره خارجيا أو باطنيا ، ففي الحالة الاولى يطلق عليه اسم (الدافع الخارجي) وفي الحالة الثانية ينعت باسم (الدافع الباطني) •

وفي حالة الدوافع الخارجية يبدو ان المدرس هو الذي يثير المتعلمين الى العمل فهو يحاول تحقيق هذه الأستثارة بوسائل مختلفة ، وفي هـذه الحالة ، يختار المدرس مادته وينظمهـا ويزن قيمتها ويحكم على نتائجهـا ويبذل مجهودا جبارا لجذب المتعلمين اليها ومثله في ذلك كمثل لاعب الكرة الذي يعمل على جذب انتباه المتفرجين ، فالمتعلم يعد متفرجا ، لانه لا يشعر في هذه الحالة شعورا تاما بالمشكلة فلا يعبأ بخطواتها • لذلك ترى حماسـا منقطعا متى تمكن المدرس من اثارة هذا الحماس وفي هذه الظروف يعمل المدرس الى تحقيق أهدافه ويسبب المعركة ، اما المتعلم فيذهب الى البيت لينسى نتائج الدرس بأسرع ما يمكن فالمتعلم لن يلحقه أو يحدث له أي تطور أو نمو طالما كانت الدوافع التي تدفعه الى العمل غير نابعة من داخله •

واذا أردنا نجاحا للطريقة فيجب ان تكون مجال ذلك النوع الـذي يحرك الدوافع الباطنية ويولد الاهتمام الذي يدفع المتعلم الى بذل جهوده ليصل الى ما ينشده من أهداف •

وهناك عدة طرق يمكن بها تحريك هذا الدافع :ـ

١ ـ عن طريق تعريف المتعلم أهمية المادة الجديدة التي سيستعملها للوصول الى اهداف يود تحقيقها •

٢ ـ وهنا طريقة ثانية للحصول على الدافع الذاتية ، وذلك عن طريق بيان المدرس للتلميذ أن المادة التي يدرسها تمكنه مناستخدام قدرات

أخرى لديه ، ومعنى هذا أنه يجب على المدرس أن يطلع المتعلم ويمكنه من استخدام قدرات في مادته كان قد اكتسبها من مواد اخرى ، كما يريه ايضا ان القدرات الجديدة التي تكون لديه يمكن ان تستغل في ميادين اخرى ، ولذا يجب على المدرس ان يكون فطنا للاهداف وللمادة ومحسنا طريقته في كل مادة ، وبذلك يلتفت الى المتعلم الى ان القدرات المكتسبة من الميادين المختلفة يمكن ربطها ببعضها واستغلالها بطريقة مفيدة •

على ان مجرد النشاط وحده ليس بكاف ولكي يكون النشاط منتجا في التدريس لابد أن يكون مغرضا، ومعنى هذا ان الفرد يجب ان يكون واضح الهدف الذي تحركه اليه دوافع باطنية •

واما كون الطريقة الجيدة تمكن المتعلمين من الحكم على النتائج فذلك راجع الى ما يأتي :ـ

١ ـ أنه من طبيعة الطريقة الجيدة أنها تبعث عن العمل ويمكن تحقيق هذا بطرق عدة ، فلكي يتمكن المتعلم من تقدير نوع عمله يجب أن يضع نصب عينيه الهدف الذي يهدف اليه طالما كان هذا اساسا للحكم ، وفي عملية التقدير هذه يتمكن المتعلم من معرفة مقياس مدى تقدمه ، وهذا بدوره على الاستزادة من النشاط •

٢ ـ ان هذه الطريقة تمكن المتعلم وتدربه على كيفية التفكير ، وانه لكي يقدر نتائجه يجب عليه ان يرى أو يحدد اهدافه وان يجمع الحقائق وان يحلل ويقدر قيمة هذه الاشياء وأن يصل الى النتائج وان يرسم الخطوات التي تصل به الى زيادة التحسن •

واما كيف تمكنهم من دراسة النتائج التي وصلوا اليها ؟ فذلك لأن نتائج عملية التعلم تلخص ، في تكوين بصيرة أو فهم لدى المتعلم ، أو عادات

أو مهارات ، أو اتجاهات عقلية أو تقدير لدى المتعلم •

واما اهتمام الطريقة بالمستوى التربوي الذي وصل اليه المتعلم فقد سبق أن اشرنا الى ان عملية التعلم الحقيقي أو النمو لا تحدث الا اذا تحقق وجود الدافع الباطني وهذا الدافع الخبرة السابقة ، فلابد وان يكون متصلا بالمستوى التربوي الذي وصل اليه المتعلم ، فاذا كانت مادة الدراسة أو طريقة التدريس أرقى من المستوى التربوي صعب على المدرس استغلال دوافع المتعلم الباطنية التي كونها المدرس لديه وعندئذ يضطر الى تشجيع المشجعات الخارجية لجذب انتباه المتعلم للون من المعلومات يصبح المتعلم فيه متفرجا بدلا من ان يكون مساهما • وعليه يجب الالتفاف الى المراحل التعليمية السابقة والثقافة الماضية للمتعلمين ولهذا كانت الطريقة جيدة عندما تهتم بالاعتبارات السيكولوجية •

فان الطريقة السيكولوجية طريقة مرتبطة بالشخص ، محورها الفرد المتعلم ، كما ترتبط أشد الارتباط بالخبرات الحسية ، من أجل هذا يجب أن تكون هي نقطة البداية والمحور في عملية التعليم ، والمدرس في بدء تدريسه بهذه الطريقة يجب ان يستغل الوسائل التربوية المتناسبة لمتعلميه • هذا وأما الخطوات التالية فموضع نقاش ومثله في ذلك مثل الطيار الذي يرتفع من مطار في وسط المدينة ويحوم حولها مرتين أو ثلاث مرات ليبدأ الطيران ، وعليه بعد ذلك أن يحدد خط سيره ثم يتقدم مباشرة الى أهدافه ، وهو في هذه الحالة لا يظل يدور حول المدينة في دوائر تتسع الواحدة منها عن الاخرى حتى يتلاقى بالهدف وهو يعلم أنه اذا اتبع هذه الطريقة انما يتبع طريقة معوجة وخاضعة لظروف قد لا توصله الى الغرض المنشود وذلك بالاضافة الى ما فيها من ضياع للوقت والمجهود ، وأمثل الطرق التي يلجأ

اليها الطيار عادة هي استغلال الطريقة السيكولوجية وهي الطريقة الاولى فهو يبدأ بها فاذا إطمأن تعلم الطريقة المنطقية التي توصله الى الهدف والمدرس الذي يلجأ الى استخدام الطريقة السيكولوجية مثله مثل الطيار الذي يحلق ويطير فوق المدينة فهو قريب دائما من الخبرات الحالية لمتعلميه، ولكنه يبني عليها خبرات قليلة وحديثة. ولانه لا يمكنه أن يعلم متعلميه كيف يوجهون مظاهر نشاطهم الى مشكلة لم يلمسوها ، لان ذلك خارج عن طاقتهم وفوق مستواهم الثقافي .

وعلى كل مدرس أن ينتفع الى اقصى حد لما هو عليه من مظهر حسن. فلا ينبغي أن يتخذ وقفة متراحة ، بل أن يقف يقظا ، معتدل القامة ترجح ميزته النفسية على الجالس .

وينبغي الا يكون الاستهلال مبتذلا ، فان المعلم اذا بدأ بقوله (سأحدثكم هذا الصباح عن تنظيم الجيش) فلا يحق له أن يشكو انا دب في الجماعة الفتور والاسترخاء . فالاستهلال المبتذل ينبىء بان الموضوع مبتذل ، وعلى النقيض من ذلك من الاستهلال الرائع يدل على ان الموضوع سيكون رائعا . فاذا كان الحديث الى جماعة من جنود المدفعية مثلا ، كان من الممكن أن يبدأ المعلم بقوله « نحن على دراية بان المدفعية هي أعظم وأضخم سلاح بالجيش ولكن هناك اسلحة اخرى ، وفي هذا الصباح سنتاول بالبحث ما يتألف منه الجيش في خدمة الميدان وما يشتمل عليه من أسلحة بجانب المدفعية ، ثم ما تقوم به فروع الجيش الاخرى عندما تبدأ المعركة » .

وفي هذا المثال جلب المحاضر انتباه الجماعة الى المحاضرة في لفظه الأول (نحن) .

انها ستكون محاضرتهم ـ كما هي محاضرة المتكلم على السواء ، لقد أعطاهم تعليلا شخصيا للاصغاء ثم افضى المحاضر اليهم بتصريح يوافقون عليه بكل فخر • مدفعيتنا أعظم وأضخم سلاح في كل الجيش ، أنهم يشعرون بأنه رجل ذا ادراك سليم وجدير بأن يصغى اليه • ولا ينبغي أن يستهل المحاضر خطابه بجملة تبعث الريبة ، أو تثير السخط ، بل يجب ان يبدأ باستهلال يصادف قبولا دون أن يكون مبتذلا • فاذا تقبل الجمهور الجمل الثلاث أو الاربع الاولى التي القاها المحاضر ، بقبول حسن ، فان الظروف تدل على انه سيرضى على الباقي •

ومن ناحية الاسئلة ، لا ينبغي أن يوجه السؤال في هذه الصيغة أحمد كم كتيبة في لواء المشاة ؟ » • فان السؤال بهذا الشكل يجعل (هلال وصلاح) وأقرانهم لا يهتمون بايجاد الجواب •• والافضل أن يكون السؤال « كم كتيبة في لواء المشاة يا عسكري أحمد • فلا ينبغي أن يذكر أي اسم قبل أن تكون كل الجمعة قد استجابت فكريا له •

ولقد تمخض القرن العشرون عن وسائل تساعد على تحسين طرق التعليم كاستخدام السينما ، المذياع والفوتوغراف • ولقد ظلت هذه الوسائل ترفيهية ، وقد أثبتت التجارب على نجاحها العظيم في تحسين طرق التعليم وستصبح دون شك من أعظم الطرق الحديثة في المستقبل •

الباب الثاني

الحرب النفسية ، وسائلها ، تاثيرها ، مكافحتها. الاشاعات ، اساليب شن الحرب النفسية . النشرات ، أساليب دراسة نفسية العدو . الاذاعة تنظيم ادارة الحرب النفسية ووسائل الدفاع من الحروب النفسية .

لقد عرف قاموس المصطلحات الحربية الذي اصدرته وزارة الحرب الامريكية سنة ١٩٥٥ ـ **الحرب النفسية** بما يلي

« الحرب النفسيه استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة دول للدعاية وغيرها من الاجراءات الاعلامية التي تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها ، بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة أو الدول المستخدمة لها وأهدافها .

والحرب النفسية تقوم ـ بالاضافة الى استخدام الدعاية السافرة ، على عناصر ثلاثة رئيسية هي : ١ـ الاشاعات ٢ـ أفتعال الأزمات ٣ـ أثارة الرعب .

فالاشاعات هي عبارة عن الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع ، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة ، وذلك بهدف التأثير في الرأى العام المحلي أو الاقليمي أو العالمي أو النوعي ، تحقيقا لاهداف سياسية أو اقتصادية أو حربية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول ، أو النطاق العالمي بأجمعه .

ومن أمثلة افتعال الأزمات للتأثير في الرأي العام ، ما اقدمت عليه جريدة « الديلي ميل الانكليزية في انتخابات عام ١٩٢٤ في انكلترا حين

نشرت في صدر صفحتها الاولى في صبيحة يوم الانتخابات صورة فوتوغرافية لخطاب زعمت انه صادر من (زينوفيف) الزعيم الشيوعي الذي كان يشرف في ذلك الوقت على الكومنترن • وكان الخطاب موجها الى الحزب الشيوعي البريطاني ، يحثه على قلب نظام الحكم ، وكانت النتيجة المباشرة لنشر تلك الوثيقة المزيفة تأزم الموقف بالنسبة لحكومة حزب العمال التي كانت قد اعترفت بنظام الحكم القائم في روسيا ، وشرعت في تدعيم العلاقات الاقتصادية معها مسايرة للواقع الدولي ، وحرصا على مصلحة انكلترا نفسها التي كانت على شفا الازمة الاقتصادية العالمية وبطبيعة الحال سقطت حكومة العمال اذ لم يكن امامها أية فرصة لمواجهة هذه الازمة المدبرة التي فاجأتها في صبيحة الانتخابات ، وكان لها تأثيرها القوي في تغيير اتجاهات الناخبين البريطانيين *(مختار التهامي الصحافة والسلام العالمي) •

وقد شهد العالم مثلا واضحا من أمثلة افتعال الازمات للتأثير في الرأي العام العالمي ، حين فشل مؤتمر القمة الذي كان مقررا عقده في باريس سنة ١٩٦٠ لتخفيف حدة التوتر العالمي وذلك حينما ارسلت الولايات المتحدة الامريكية طائرة تجسس فوق اراضي الاتحاد السوفياتي قبل الموعد المحدد لانعقاد المؤتمر ، مما أدى الى انسحاب خروشوف رئيس وزراء السوفيتي في ذلك الوقت من المؤتمر حين رفضت الولايات المتحدة تقديم الاعتذار الذي طلبه • (ديفيد وايز وتوماس روس حكومة خفية ـ ترجمة جورج عزيز) • *

اما اثارة الرعب والفوضى فقد برعت المخابرات النازية بصفة خاصة في استغلال عاطفة الخوف لارهاب الشعوب واخضاعها من خلال الحرب النفسية •

فمنذ عام ١٩٣٤ وهتلر يتنبأ بهزيمة فرنسا على أسس نفسية خالصة وهو ما حدث فعلا في الحرب العالمية الثانية • وكان هتلر يبني تنبؤاته على اساس ان فرنسا بالرغم من عظمة جيشها يمكن وضعها عن طريق اثارة القلق والانقسام في الرأي العام في وضع لا تستخدم فيه جيشها الا بعد فوات الاوان أو لا تستخدمه أصلا •

ومن أقوال هتلر المأثورة عن الحرب النفسية وتأثيرها قوله « لماذا اخضع الاعداء بالوسائل الحديثة ما دام في وسعي ان اخضعهم بوسائل اخرى ارخص واكفأ » • وقوله : « ان عملية استعداد المدفعية وهجوم المشاة في حرب الخنادق سوف تضطلع بها الدعاية في المستقبل ، بان تحطم نفسية العدو قبل ان تبدأ الجيوش بالتحرك •• ان اسلحتنا اضطراب الذهن، وتناقض المشاعر ، والحيرة والتردد والرعب الذي ندخله في قلوب الاعداء ، فعندما يتخاذلون في الداخل ويقفون على حافة الثورة وتهددهم الفوضى الاجتماعية تحين الساعة لنفتك بهم بضربة واحدة •

لقد استفاد المعسكر الشرقي استفادة كبرى من حالة اليأس والذعر اللذين اشاعتهما الدعاية الغربية بين جماهير شعوبها وشعوب العالم اجمع ، فسعى الى هذه الشعوب بدعوة متفائلة ، هي دعوة التعايش السلمي، والتعاون الدولي ، وتحريم استخدام الاسلحة النووية •

اذن فالحرب النفسية سلاح خطير حقا ولكنه مع ذلك سلاح ذو حدين ، ولعل مروجي الحرب الباردة ان يدركوا ان الانسان مهما انساق وراء غرائزه أو انفعالاته ، فهو في النهاية وفي المحظة الحاسمة لابد من ان يعود الى حكم العقل ، خاصة اذا كانت القضية تتعلق بمستقبل الجنس البشري ووجوده •

فما يقال عن الحرب الاقتصادية أو الدبلوماسية أو الكيميائية يقال عادة عن الحرب النفسية . فاسم الحرب اذن يطلق على تطاحن القوات باسلحة ، والحق هو اننا لو عرفنا الهدف الذي تهدف اليه كل حرب لاستطعنا ان نتبين ان كل حرب هي في الواقع (نفسية) . وليس من شك في ان الحرب تستهدف هزيمة الخصم . وما الهزيمة غير حالة من حالات النفس ، حالة من (الاقتناء) بعدم جدوى المقاومة ، ومن ثم يتحتم التوقف عن القتال. فان الذي يقاتل انه يقاتل ويناضل لاقتناعه بشرعية هدف يسعى اليه ، وبامكانية الوصول الى هذا الهدف و على الاقل بشرف الموت في سبيله . فاذا ذهب عن المقاتل (اقتناعه) وزوى عنه ايمانه بقضيته ، فقد أصبح اشبه شيء بالآلة التي يتعطل فيها المحرك الدافع الى الحركة .

اذ كيف يكون قتال أو صراع أو نضال بغير دافع يدفع إلى ذلك ؟ ومعنى هذا كله ان الحرب كسلوك من المسالك لابد لها من دافع ، لا بالمعنى للكلمة Exogne ، وانما بمعنى ان يعيشه الشخص من حيث هو دافع يحركه من باطن Endogene فيتوق للقتال ويتحرق اليه . والدافع الذي يعيشه الفرد هو دافع نفسي يدفعه الى القتال ما تواجد ، وعن القتال ما يضمحل أو حين ينطفيء .

ولعلنا نتبين صحة هذا القول بالنظر الى مثل اللص حين ينتبه فجأة فتراه منتصبا بين الظلال يوجه يده بشيء ما الى صدرك ، ويأمرك في قوة الا تتحرك ، وان تفعل كذا أو كذا من الامر . كل ما يهدف اليه اللص في هذه الحالة هو أن يحقق عندك عن طريق المفاجئة حالة من الرعب أو الكف العام ، بمعنى ان ينزل ما يشبه الشلل بفكرك وعضلاتك ، فلا تستطيع حلما ولا تصرفا بل ولا حراكا .

لقد كان بوسعك لو علمت بمقدم اللص أو لو سمعت وقـع اقدامه وانت يقظ لم تنم بعد ، كان بوسعك ان تقدر الموقف وان تتخذ ما تراه مناسبا من وسائل الدفاع أو الهجوم حتى تنتصر عليه أو تتخلص منه .

وقد لا تنفعل بهذا كله فلا يستولي عليك الرعب حينما يفاجئك اللص في هذا الجو المسرحي ، وانما تتمالك نفسـك بل وتحشد قواك وتعبيء طاقتك لتضرب ضربة قوية قاضية في هذه الحالة يتحتم على لصك ان يكون من طراز آخر ، فيسعى اليك أو قل يسـعى بك الى ان (تقتنـع) بالهزيمة عن طريق وسائل اخرى فيفتش في حياتك الخاصـة حتى يعثر على موطن من مواطن الضعف ، فيشهر في وجهك سلاح التهديد بالفضيحة أو يخطف منك أعز ما لديك من [illegible] تاج ، فيملي عليك وقـد تخاذلت ، كل ما يراد من شروط . ومهما يكن من أمر ، فلم يبلغ لصك النجاح الا اذا تعرف عليك بدرجة كافية ، واكتشف في جوانب نفسـك [illegible] يسمح له [illegible] يصل الى [illegible] [illegible]ك) [illegible] يمة والاسـتسـلام من اقصر الطرق وايسرها

كذلك الحال بالنسبة الى الحرب ، مهما كانت دامية صاخبة شاملة فان العدو لا يدخر سبيلا من السبل حتى يقنعك بعدم جدوى المقاومة ، ومجابهتها بكل منطق ومصلحة ، وان الخير كل الخير انما يكون في الاستسلام والتسليم له [illegible] يسعى العدو الى ذلك [illegible] يسعى اليه بدهاء الدبلوماسـية ، وعبقرية الدعاية ، ويسعى اليه بقواته الحربية واساطيله ومدرعاته وآخر مخترعاته ويسـعى اليه بامكانياته الاقتصادية ، وكذلك يسعى اليه احيانـا بمكروباته وامراضـه . وهو لا يستهدف من وراء حربه الدبلوماسية أو الدعائية أو الحربية أو الاقتصادية أو الكيميائية ، لا يستهدف من وراء هذا كله أو بعضه ، غير القضاء على المقاومة وروح النضال واقناعك بالهزيمة .

وهكذا فالحرب نفسية ، ويستحيل ان تكون غير ذلك ، استهدفت اقناع العدو بهزيمته • ان الحرب لا يمكن ان تكون غير نفسية وان استخدمت وسائل مختلفة ، دبلوماسية أو دعائية أو حربية أو اقتصادية أو كيميائية أو مكروبية أو مرضية •

وقد اصطلح بعض الناس على تسمية هذه الحرب (بحرب الدعاية) واصطلح البعض الآخر على تسميتها (بحرب الاعصاب) ، ونعتها البعض الثالث (بالحرب الباردة) وذهب الاخير بوصفها (بالحرب النفسية) مستندا بذلك الى ان تحدث تأثيرها مباشرة في نفسية الخصم ، ودونما استعانة بقنابل المدافع ، أو مناورات الساسة ، أو حملات الميكروبات ، أو ازمات اقتصادية مثارة • وقد رأينا بوضوح ان الحرب لا يمكن ان تكون غير نفسية ، وان هي استعانت بمختلف الوسائل وشتى الطرق• وقد تبدو حرب الدعاية أكثر مباشرة في اتجاهها الى نفسية الخصم ، ولكن ليس في هذا ما يبرز انفرادها، واتسامها وحدها بانها نفسية •

فانْ استخدمت حرب المعارك العسكرية الاساطيل والطائرات والمدافع ، لتبلغ عن طريق الخسائر التي تحدثها في العدو الى القضاء على امله في النصر ، واقناعه بالهزيمة ، فان حرب الدعاية تستخدم هي ايضا كثرة كثيرة من الاجهزة والادوات والمعدات والوسائل وحسب ان نذكر انها تجد وسيلتها في كل كلمة مكتوبة أو منطوقة ، وفي كل صورة مرسومة أو مطبوعة • فهي لا تعدو بذلك أكثر (مباشرة) في اتجاهها الى النفس من انواع الحرب الاخرى • وانما هي بالأحرى اكثر انسيابا بوسائلها في تيار الحياة اليومية للناس ، فلا تتنبهون اليهم تنبههم الى المدافع والاساطيل • ومن هنا تستطيع ان تسري فيها بامصالها دون ان يتنبه ضحاياها تمام التنبه

الى هذه الشبكة من العوامل التي تلقى عليهم ، وتطرقهم ، فتنتهي بهم قليلا قليلا الى تبديل آرائهم ، بل والى ان (يعتنقوا) من الآراء والاتجاهات ما ترسمه لهم وتفرضه عليهم هذه الشبكة من حولهم •

اما فيما يتصل بالتسميات الاخرى فكلها تكاد تشير الى نفس الشيء •

فحرب الدعاية ، وحرب الافكار ، وحرب الاعصاب ، والحرب الباردة ، وحرب الايدلوجيات ، تستهدف نفس الاهداف ، وتستعين في الغالب بنفس الوسائل ، مما يسمح لنا ان ننظر اليها جميعا على انها مترادفات تعبر عن شيء واحد هو ما سنتحدث عنه تحت اسم (الحرب الدعائية) •

وغني عن البين ان الانسانية قد استعانت منذ أقدم عصورها بكثير من الوسائل التي تنتسب اليوم الى ما نسميه بحرب الدعاية • وغني عن البيان ايضا ان الانسانية قد تطورت من وسائلها وطرائقها هذه ، حتى بلغت بها في قرننا العشرين الى ذروة ما يمكن ان تكون عليه • ولقد كان للحرب العالمية الثانية أثر بالغ الخطورة ، فاتسع مجال الدعاية به وحفل عملها ، فلم تعد الدعاية تقتصر على المقاتلين في المعركة أو المجندين في الحرب ، تدفعهم عن المقاتلة الى الاستسلام ، وتقنعهم بالهزيمة المؤكدة ، بل ولم تعد الدعاية تقتنع بالاضافة الى ما سبق بسكان الاراضي المحتلة تكسبهم لقضيتها ، وتخلق منهم الانصار والاعوان مباعدة ما بينهم وبين اعمال التخريب والتدمير وما الى ذلك من اوجه المقاومة ، وانما اضطلعت الدعايه ايضا بمهمة اخرى فأخذت تهيء من أمر السكان وتكسبهم لقضيتها ، سيان كان ذلك قبل القتال ، أو ابان القتال خارج نطاق المعركة • لذلك نرى ان الدعاية متنوعة احيانا ستراتيجية أو تكتيكية واخيرا تعزيزية ، فالدعاية الاستراتيجية تتميز ببعد مرماها في الوقت ، فهي لا تستهدف كالدعاية التكتيكية هدفا قريبا محددا ومباشرا يتصل بالمعركة ، وانما يتلخص عملها في التمهيد بما

يتلخص عمل الدعاية التكتيكية في التسديد والتعزيزية في التأييد • فالدعاية التكتيكية تسدد ضرباتها الى العدو في المعركة تماما ، كما تفعل المدفعية أو الدبابات ، فهي سلاح يتعاون مع سائر الاسلحة الاخرى ضمن جبهة القتال • ومن الاعمال المميزة للدعاية التكتيكية القاء المنشورات بالمدافع والطائرات والدوريات ، بالاضافة الى استخدام مكبرات الصوت لاذاعة وضعه الاخبار السيئة عن مؤخرة العدو ، ولاقناعه بانه على علم بما يجرى في بلده بل وعلى علم بوحداته وذخائرها ، ناهيك عن اذاعة الاغاني والموسيقى التي تثير عند العدو الحنين الى الوطن ، وتذكره بما كان عليه وهو ابن السلم وبما يمكن ان يصير اليه حين يسهم في بنائه على نحو جديد وحين يدخر حياته لهذا العمل الانشائي العظيم بدلا من ان يضيعها ضحية اقليه انانية مستغلة مستبدة • و على سبيل ... بما كان عليه استخدام مكبرات الصوت في معركة (د يان فو) في الهند الصينية قد أكثر ما وجه المواطنون من احاديث باللغة العربية الى الجزائريين المقاتلين في مواقع الفرنسية ، فكان لذلك أكبر الاثر في كسب المواطنين للمعركة ضد الفرنسيين •

وأما الدعاية التعزيزية. فتستهدف ما استهدفت كسب المحتلين بقناعتهم
أما الدعاية التعزيزية فتستهدف استهدفت كسب المحتلين بقناعتهم
الهزيمة نهائية ، لا مفر منها • وان كل مقاومة مصيرها الفشل وسكرات الضحية • والخير كل الخير ان يتعاون الجميع مع السلطة القائمة للتعمير وتحقيق الرفاه في الحلقة •

اذن ليس هناك من ينكر أهمية الاستعدادات المادية • والمعدات الحربية والمخترعات الآلية ، ولكن هذه جميعا تظل معطلة وعديمة الجدوى بغير طاقة بشرية ومعنوية تعمل على استغلالها والافادة منها الى اقصى الحدود ، ولكن نذكر ما كان عليه الجيش الايطالي في الحرب الاخيرة من قوة المعدات ، ووفرة المهمات ، بل وما كان عليه الجنود من مستوى رفيع في

التدريب ، ولكن كانوا يتلمسون الفرص واوهن الأسباب للألقاء بالسلاح والتسليم • فلم يكن الايطاليون (مقتنعين) بالحــرب في اعماقهم ، ولم يكونوا بالتالي ليحفلوا بالهزيمة أو النصر بقدر ما كانوا يحرصــون على الالقاء بالسلاح ابقاءً على حياتهم • ولعلنا لا نجهل ان معسكرات الاسرى منهم لم تكن تحتاج الى حراسة ، بل ان الجندي الواحد كان يضـطلع بحراسة الألاف منهم •

وكان الحال على النقيض من ذلك تماما بالنسبه الى الجنود الالمان وكم سمعنا عن الواحد منهم يسقط جريحا في المعركة ، ويتنبه في صحو الموت ليمد يده المتثاقلة الى رشاشه • وهذا ما يرضي ضآلة ما للتفوق المادي من أهمية بالقياس الى التفوق المعنوي • ولقد كان نابليون محقا حين اولى معنوية الجنود من الاهميــة ضـعف ما اولاه للاستعدادات المادية والعســكرية ، والتدريبات الحربية •

وليس جديدا علينا ان نجد اهتمام جميع الحركات الثورية في العالم كله اهتماما بالغا باجهزة الدعاية • بل ان اول خطوة تحرص كل ثورة عليها تكاد تنحصر في الاستيلاء على هذه الاجهزة • من محطات الاذاعه ، ودور النشر ، وما يلحق بذلك من صحف ومجلات ومنتجات مسرحية وسينمائية ••• الخ •

لا تكاد الحرب النفسية تختلف عن حرب المعارك العسكريه من حيث ما تستعين به من خطة عامه للعمل • ومعنى ذلك ان الدعاية قد تهجم ، وقد تدافع ، وقد تنسحب صامتة في قطاع من الجبهة لتشن هجومها في قطاع آخر ، بل انها لتتسم في هذا كله بما تتسم به المعارك الحربيـة من مرونة تامة • فقد يكون دفاع الدعاية من قبيل تكتيل الصــف وتوجيه الجبهة الداخلية وما يتصل بذلك من غرس للعقيدة الوطنية •

وقد يكون دفاع الدعاية من قبيل التعزيز ودمج العناصــر الجديدة

في القطاع المحتل ضمن جبهتنا دمجا متكاملا . وقد يكون الهجوم صريحا مباشرا يهدف الى كسب العدو ، وقد يكون الهجوم اكثر صراحة واكثر مباشرة ، ولكنه يستهدف مع ذلك الدفاع عن صفنا والابقاء على وحدته اكثر مما يسند حق احداث الخسائر عند العدو . وذلك على وجه الدقة ما يحدث في الدعاية المضادة التي هي هجمة ترد هجمة العدو وتعيدها الى نحره .

وسواء كانت الدعاية انتسبت الى الهجوم أو الدفاع ، واتسمت بالاستراتيجية أو التكتيكية أو التعزيزية فانها تستهدف الاقتناع والاقناع بالنصر ، والاقناع والاقتناع بهزيمة العدو ، تستهدف زعزعة ايمان العدو بايدلوجيته ، أي بمبادئه وافكاره ومعتقداته القومية والسياسية وحمله على الشك في شرعية قضيته ، والايمان ببطلانها . ومن ثم زعزعة ثقته في نفسه وفي النصر ، فيتخاذل ويقتنع بالهزيمة . ومن ناحية اخرى يتحتم على الدعاية ان تعمل على تحقيق نقيض ذلك في جبهتها ، وان تحميها من كل ما يهدد ثقتها بذاتها .

ويجب ان تباشر التفرقة في جبهة العدو بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، فتفرق بين العدو وحلفائه ، وداخل جبهة العدو تفرق بين الحكومة والشعب ، وفي الجيش بين القادة والجنود ، وفي داخل شعب العدو الى التفرقة بين مختلف طوائفه ، بين الاغلبية والاقلية ، سواء كانت هذه الاقلية دينية أو عنصرية أو حزبية أو اقليمية أو لغوية ، وبين الشيع أو العشائر المتباينة وبين المدنيين والعسكريين ومن الناحية الثانية تحتم على الدعاية ان تعمل على تحقيق نقيض ذلك في جبهتها تماما ، وان تحميها من كل ما يهدد وحدتها .

وبالتالي تقوم الدعاية على كسب العناصر التي عزلت عن طريق التفرقة كأنصار لها ، يضطلعون بأعمال المناوأة التي تذهب في التمارض والهرب الى التمرد والتخريب والمقاومة الصريحة . ومن الوجهة الاخرى يتحتم

على الدعاية ان تنتبه الى هذا كله في جبهتها ، أي الى كسب العناصر المحايدة أو المترددة الى صفها ضد العدو •

تلك اذن هي مرامي الدعاية سواء كانت هجومية أو دفاعية ، من التمهيد أو التسديد أو التأييد • ويمكن لها ايضا ان تلبس صورا أخرى ، فهناك الدعاية الرسمية ، والدعاية المتنكرة ، والدعاية المتخفية •

فالدعاية الرسمية لا تزيف ولا تخفي مصدرها أما الدعاية المتنكرة فهي التي تتخذ لنفسها اسما زائفاً تتنكر وراءه • ويسمح لها هذا التنكر بأن تنسب الى صاحب هذا الاسم المستعار كل ما يحلو لها من اخبار دون مسؤولية •

واما الدعاية المتخفية فهي التي تخلع برقع الحياء ، فتتحدث بما يحلو لها دون ان تنتسب الى مصدرها الحقيقي او الى مصدر آخر ، ودون ان تخشى بالتالي حرجا او مسؤولية او دعاية مضادة •

ومهما يكن من أمر الدعاية في كل صورها ، ومختلف مصادرها تستهدف الى تغيير الفكر والاتجاه ، تغيير المعتقد والرأي والسلوك في جماعة من الجماعات ، تغييرا يحقق الكسب لها والهزيمة للعدو •

ان الهزيمة لا تعدو ان تكون مجرد الاقتناع بالهزيمة وما قوة التسليح المادي غير دعامة لرفع الروح المعنوية الحية ، وخفضها عن طريق الخسائر في جبهة العدو • وتاريخ المعارك الحربية مليء بالامثلة التي تدل على فشل التفوق المادي من حيث هو تفوق مادي فحسب •

اذن من الواجب على كل بلد وكل جيش بل وكل جماعة من الجماعات التي تفهم طبيعة الاشياء من ان تبصر أفرادها بمختلف العوامل المتصلة بالدعاية ، وحيلها ، حتى يكتسب الأفراد ما يشبه المناعة • اما دعاية العدو فلا يمكن تجنبها • ولعل هذا هو السبب في استحداث الجيوش

الحديثة لكتائب الدعاية الميدانية ، بالاضافة الى جهاز دعايتها المركزي ، هذا الذي يتخذ من الامة كلها وفي امم العالم كل مجال عمله •

ومن المؤسف لضيق الوقت والمجـــال لم تتمكن بصورة تفصيلية ان نبين الطريقة المنهجية لتحليل الدعاية ، اذ انـه لاستخلاص الهدف العام ، المباشر وغير المباشر ، وما تنطوي عليـه القطعة الدعائية من اهداف جزئية راهنة او بعيدة المدى وما تستخدمه من وسائل لكسب الجمهور الذي تتجه اليه ، فلا بد من الحاجة الى برنامج التحليل الدعائي ذلك ما نجده في شتى البحـوث النفسـية من توزع الاتجاهـات مـ بين النزعتين (الانسانية) Humarism و (طبيعيـــه) Nituralism (التجـــريبية) Sxperemental (ومن يرد التوسع يراجع بين الخصائص المميزة لكل من النزعتين) في كتاب لاجاش (وحدة علم النفس) ترجمه المؤلفين سنه ١٩٦٠ • ومعنى هذا اننا نجد فريق من النفسيين القائمين بتحليل الدعايه ينظرون الى القطعه نظرة كلية ، وكأن هذه القطعة في وحدتها المكاملة أشبه ما تكون بالكائن العضوي الذي يضم تحت وحدته أعضاء مختلفة ، يضطلع كل منها بدوره ضمن الجهاز الكلي ، هذا الذي تندرج تحته ، في حد من الاتزان ، مختلف الادوار المتفاعله •

أما الفريق الآخر من النفسيين القائمين بتحليل الدعاية فينظر الى القطعه الدعائية نظرة (تجريبيه) فيسـعى بالتحليل الى تحديد العناصر الاولية المكونة ، والوسائل المستخدمه ، (ويقيس) ما تتمتع به هذه الوسيلة أو تلك من وزن كمي •

والحرب كما قال (كلاوزفتش) انما هي استخدام مختلف الوسائل لارغام العدو على أن يعمل تبعا لرغبتنا • وسواء كان العدو فردا أو جماعة أو قيما معنوية ، فثمة صراع ما بين رغبتنا وبين شيء آخر نريده أن ينثني

ويطاوع ، فيفسح الطريق امام رغبتنا •

وقد تختلف الوسائل التي نلجأ اليها في الحرب كما قلنا ، فتكون مادية فيزيائية ، أو نفسية معنوية ، ومن ثم تكون الحرب ساخنة أو باردة • فالحرب الباردة هي ما تعرف بالحرب النفسية ، أو حرب الاعصاب ، أو حرب الدعاية ، أو الحرب المعنوية ، أو حرب الايديولوجيات •

فقد كانت الحرب النفسية قديما محدودة المجال والوسائل ومع ذلك فقد استخدمت أستخداما موفقا للوسائل النفسية نسبيا وللاشاعات بصورة خاصة •

فقد كان جنكيز خان مبرزاً في نشر الاشاعات المروعة عن جيشه ، فكانت قوافل التجار تشيع بين أعدائه وصفاً أسطورياً لجيشه ، مؤكدة ان جنوده يتغذون بالثعالب والكلاب • ولكن الوسائل النفسية قد دخلت بمعنى الكلمة الى مسرح الحرب مع ظهور القوميات وما يتصل بها من شعبية ورأي عام ، مما حوّل البشرية الى (حرب الشعوب) يكافح كل شعب فيها عن ايديولوجيته الخاصة وكيانه القومي المتميز •

ولقد برز هذا التطور في الحرب العالمية الاولى وبلغ قمته في الحرب العالمية الثانية ، فلعبت الاشاعات دوراً فعالاً في احراز النصر في الحروب وهكذا سنرى ان سيكولوجية الاشاعة انما تمثل جانباً مهماً من عالمنا المعاصر، وأداة النقل للاشاعة هي في العادة الكلمة المنطوقة ، وأحيانا ما تظهر في الصحف والمجلات وتجد طريقها الى موجات الاذاعة والتلفزيون •

واشاعات الخوف كان لها أثر بالغ على معنويات الجبهة الداخلية اثناء الحرب • فاشاعات الخوف ، بما تنطوي عليه من انذار بالخطر ، كانت تميل الى الكف من ثقة الشخص في النهاية المظفرة لمجهوداته الحربية فهي اذن كانت تولد قلقاً لا لزوم له ، وكانت أحياناً تؤدي الى نظرة انهزامية •

والاشاعات الرائعة ، من ناحية أخرى ، بما تنطوي عليه من تفاؤل ساذج ، قد أدت احيانا الى الرضا عن الحال بما يوهن العزائم ويبدد استعداد الناس (للاستنامة) عند تلقيهم للاخبار السارة من هبوط تبرعات الدم أثر أخبار الانتصارات الهامة . فكلما اعتقد الناس في اشاعات النصر الوشيك أو النهاية القريبة للحرب كانوا يميلون الى التلكؤ في الجهود التي يبذلونها والى التقليل من التضحيات التي يقدمونها .

ولو رجعنا الى التاريخ لوجدنا ان اباطرة الرومان كانوا يعانون وباء الاشاعة ، الى حد انهم عينوا (حراس اشاعات) (Delatores) كانت مهمتهم تنحصر في مخالطة الاهالي ، ونقل ما يسمعونه الى القصر الامبراطوري . كانت التقولات الشائعة تعد بمثابة بارومتر دقيق للمشاعر الشعبية . وكان لحراس الاشاعة ، حين يقتضي الامر ، أن يشنوا من جانبهم حملة مضادة من الاشاعات (شادويك سنة ١٩٣٢) . فالحرب النفسية ليست بالجديدة . فعلى الرغم من أن الاشاعة تنتقل أساسا عن طريق الحديث التلقائي الشفوي ، فلا ينبغي أن تقلل من أهمية الدور الذي تلعبه الكلمة المطبوعة .

وعليه يجب على كل شخص منا ازاء الاخبار التي تصل الى سمعه أو يقع عليها بصره ، يتحقق من صحة هذه الاخبار بالرجوع الى تجاربه السابقة التي يمكن التعويل عليها ، وبالرجوع الى المعايير الموضوعة للصدق . ومن الممكن تعيين أشخاص بالذات من مختلف المستويات يكلفون بان يسجلوا كل ما يصل الى أسماعهم من اشاعات ويبلغوا عنها ، فانهم حين نحسن إختيارهم يمكن الاستعانة بهم في فهم الرأي العام .

وينبغي تشجيع المواطنين أن يقوموا بالتبليغ عن جميع الاشاعات التي يسمعونها بالبريد وينبغي على الهيئة المسؤولة ان ترد كل خطاب بعلم

وصول ينطوي على الشكر والامتنان ، وينبغي اتخاذ جميع الاحتياطات لضمان ثقة الجمهور في الهيئة المختصة من حيث اخلاصها ونبل مقاصدها • وينبغي دحض الاشاعات عن طريق السلطات المسؤولة للجيش والمكاتب الخاصة للاعلام ••الخ • ويجب أن يكون الدحض منطقيا ومدعما بالوقائع، بالاضافة الى أن برامج الاذاعة يجب أن تتسم بالفاعلية في محاربة الاشاعات•

فبالرغم من أن الشائعات قد تكون هدامة في أهدافها الا أن من الضروري اعتبارها كأداة لقياس تحركات وانفعالات الجماهير ، بمعنى أن طمس الشائعة ومقاومتها لا يؤدي على الاطلاق الى مواجهتها وفقا للمنهج العلمي وانما يعتبر هروبا من الواقع الاجتماعي والانساني الذي قد تمثل الشائعة جانبا يضيق يتسع منه بحسب درجة ارتباطها باحتياجات جماهيرية قائمة بالفعل ولا تزال في مرحلة التوقع

ومن هنا كانت مسؤولية المسؤولين عن وسائل الدفاع في الحروب النفسية لمختلف عناصرها خطيرة للغاية ، معنى ذلك ان دورها لا يقتصر على دراسة الرأي العام فحسب وانما يتعداه الى تحسس التغيرات التي تنتاب بناءها الاجتماعي نتيجة للدعاية أو الاشاعة من نشرات واذاعة ••• الخ • التي تنطلق فيه من وقت لآخر سواء وقت السلم أو الحرب أو الهدنه • بمعنى أن دور هذه الوحدات المسؤولو سواء كانت مدنية أو عسكرية يبدأ مع تحركات الحشود حتى يصل الى تحركات الرأي العم • وهذا التحسس سواء يكون عن طريق أجهزة معملية للقياس أو الى قادة محليين يعيشون حياة الجماهير وينفعلون بانفعالاتهم بحيث يصبحون على درجة كبيرة من الحساسية لكل حدث مادي أو معنوي يتعرض له مجتمعهم المحلي • ودور هؤلاء القادة في مجتمعاتهم المحلية لا تقوم على التجسس أو الاثارة أو المبالغة في تفهم احساسات الجماهير في مجتمعه المحلي ، وانما تقتصر على التعرف

على الموضوعات التي ارتفعت الى مستوى المناقشة الجماهيرية أو السريان الجماهيري باعتبار ان انتقالها من اطار الحديث الفردي الضيق الى مستوى الحديث الجماعي يعني أنها بصورتها التي تتخذها انما ترتبط فعلا بأوجاع الجماهير وأمانيهم وتطلعاتهم التي لا يستطيعون الجهر بها او التي لا يعرفون الطريق السليم لتوصيلها الى المسؤولين • ومن ثم يصبح دور القادة حيويا للغاية في استقبال الشائعات والدعايات بعناصرها وأساليبها وفي التعبير عنها كأداة توصيل جيدة لكافة التغيرات التي تصاحب مجتمعهم المحلي • فبالرغم من الاعتقاد بصحة المثل القائل بأنه (لا يفل الحديد الا الحديد) الا ان معركة الشائعات والدعايات ••• الخ ليست في حقيقتها الا حربا نفسية مستترة تخفي وراءها قوى خافتة مضمحلة • واسلحة هذه الحرب هي (الكذب والتظليل) وأساليبها هي الرواية الكلامية وغيرها التي تظهر في صورة نكتة أو أقصوصة وقد تتخذ أحيانا أسلوب الرسم الكاريكاتيري • وهذه الاسلحة كلها ـ على ضراوتها ـ صالحة لان تمثل أسلحة لحرب دفاعية تبغي كشف الاكاذيب وازالة القناع عن أصحاب المصلحة الحقيقيين في تصميم وترويج الشائعات • كما ان الاساليب التي تستخدمها ليست صالحة أيضا من حيث الشكل لكي تستخدم في مواجهة الحرب النفسية •

ولهذا فان الاسلوب الامثل لمواجهة الحرب النفسية بصورة عامة والشائعات والدعايات بصورة خاصة يقوم على دعائم المنهج التكاملي في علم الاجتماع الثقافي بوجه عام وفي علم النفس الاجتماعي بوجه خاص •

فالرأي العام الناضج القادر على الحركة بسرعة والفاعلية يمكنه أن يقضي بسرعة أيضا على أية سموم يمكن أن تجتاح البناء الاجتماعي ،ويمكنه

أن يلفظها ويدفعها عن طريقه بأسلحة أخرى تدور جميعا في تلك التعبئة النفسية والرضا النفسي وهي مـا تعرف بالمساعدة النفسـية ، والتوضيح النفسي ، والتصبير النفسي ، والتعديل البيئي الثقافي ٠

فأسلحة مواجهة الحرب النفسية ليست أسـلحة هجومية وانما هي عبارة عن قوى فكرية وروحية ترتكز على مخاطبة العقل والملكات الناقدة الواعية ، وتعمل على إيقاظ الضمير وتدعيم الايمان في المواطنين كأفراد من جهة ، وفي تشكيلاتهم الجماعية من جهة أخرى ٠

المصادر باللغة العربية والاجنبية

١ ـ القرآن الكريم •

٢ ـ أحمد فؤاد فائق ـ جنون الفصام

٣ ـ ابراهيم حافظ ومحمد عبدالحميد ابو العزم والسيد محمد عثمان ـ علم النفس التربوي •

٤ ـ الدكتور احمد عزت راجح ـ اصول علم النفس •

٥ ـ المكتبة الاعلامية ـ الرأي العام والحرب النفسية •

٦ ـ المواطن الاشتراكي ـ سلسلة اجتماعية قومية ـ الشائعات •

٧ الدكتور احمد عزت راجح ـ (ترجمة) علم النفس التطبيقي •

٨ ـ اسماعيل صفوت ـ (ترجمة) فن قيادة الشباب •

٩ ـ أحمد زكي محمد وداود حلمي السيد ـ كيف تكامل الشخصية •

١٠ـ الدكتور احمد محمد خليفة ـ مقدمة في دراسة السلوك الاجرامي •

١١ـ الدكتور احسان النص ـ الخطابة العربية في عصرها الذهبي •

١٢ـ الارشتمديت يوسف فرج ـ ادارة الضمير وأمراض النفس

١٣ـ الدكتور احسان النص ـ الخطابة السياسية •

١٤ـ الدكتور احمد محمد الحوفي ـ فن الخطابة •

١٥ـ الدكاترة احمد زكي صالح ورياض عسكر والسيد محمد خيري وصبري جرجس وعثمان نجاتي ومختار حمزة ويوسف مراد ـ ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية •

١٦ـ الدكتور أكرم نشأة ابراهيم ـ علم النفس الجنائي •

١٧ـ الدكتور اسحاق رمزي ـ مشكلات الاطفال اليومية •

١٨ـ ابراهيم الكواز ـ الروح في الاسلام •

١٩- الدكتور احمد محمد خليفة - اصول علم النفس الجنائي والقضائي.
٢٠- امين مرسي قنديل - اصول علم النفس .
٢١- امين الخولي - فن القول .
٢٢- الدكتور احمد زكي صالح - علم النفس التربوي .
٢٣- احمد زكي محمد - علم النفس التعليمي .
٢٤- الدكتور ابراهيم حافظ (ترجمة) المراهقة .
٢٥- الدكتور ابراهيم حافظ - علم النفس التربوي .
٢٦- الدكتور أحمد زكي محمد - علم النفس والتربية الحديثة .
٢٧- الاب لويس شيخو اليسوعي واميل ادء - علم الخطابة .
٢٨- احمد زكي صفوت - جمهرة خطب العرب .
٢٩- ابراهيم سلامة - (تعريب) الخطابة لارسطو .
٣٠- أبو هلال العسكري - (الصناعتان) الكتابة والشعر
٣١- الدكتور ابو مدين الشافعي - الفعل الارادي .
٣٢- اسحاق رمزي - علم النفس الفردي (اصوله وتطبيقه) .
٣٣- احمد سويلم العمري - الرأي العام والدعاية .
٣٤- ابراهيم امام - فن العلاقات العامة والاعلام .
٣٥- الدكتور اسحاق رمزي - مقدمة من التحليل النفسي (ترجمة) .
٣٦- بول موكور - علم النفس العسكري .
٣٧- ت أمين - (تعريب) عش هادىء الاعصاب .
٣٨- جلال زكي - لماذا نخطأ الوقاية والعلاج .
٣٩- الدكتور جابر عبدالحميد جابر والدكتور عمادالدين سلطان - الفرد وسيكولوجية الفرد والجماعة .
٤٠- الدكتور جابر عبدالحميد جابر (ترجمة) - استاذ الجامعة .
٤١- جمال‌الدين عبدالرزاق - كيف تكون نفسك .
٤٢- جماعة علم النفس التكاملي - مجلة علم النفس

٤٣- جورج عزيز - الحكومة الخفية (ترجمة) •
٤٤- حامد عبدالقادر - العلاج النفساني •
٤٥- العميد الركن حسن مصطفى - التعاون العسكري العربي •
٤٦- حمير الرشيد - (ترجمة) الحرب النفسية •
٤٧- الدكتور حسين الهراوي - الضعف التناسلي في الرجال والنساء والارتخاء وعلاجه •
٤٨- حسين خضر - علاج الكلام •
٤٩- حسنين عبدالقادر - الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة •
٥٠- خيري العمري وسعدية الرحال وكاظم هندي - الاحداث في التشريع الجنائي العراقي •
٥١- خليل صابات - الصحافة رسالة •
٥٢- دار العلم للملايين - عدوك الاول الخوف •
٥٣- دائرة المعارف السيكولوجية - تغلب على الخوف •
٥٤- دار العلم للملايين - الموت المخجل •
٥٥- دار المعارف بمصر - الشخصية العسكرية •
٥٦- دار العلم للملايين - فن الترويح عن النفس •
٥٧- دار العلم للملايين - كيف نستفيد من علم النفس •
٥٨- دار العلم للملايين - حذار من الهم
٥٩- دار العلم للملايين - الذاكرة •
٦٠- دار العلم للملايين - تفسير الاحلام •
٦١- دار العلم للملايين - كيف تنام •
٦٢- دائرة المعارف السيكولوجية - المجلد الثاني •
٦٣- رفعت رمضان ونجيب اسكندر - (ترجمة) التربية الجنسية •
٦٤- الدكتور سعد جلال - المرجع في علم النفس •

٦٥- ساطع الحصري (أبو خلدون) - دروس في أصول التدريس •
٦٦- الدكتور سامي الدروبي - علم الطباع - المدرسة الفرنسية •
٦٧- سلامة موسى - عقلي وعقلك •
٦٨- الدكتور جلال - التوجيه النفسي والتربوي والمهني •
٦٩- سعدي بسيسو - قضاء الاحداث علما وعملا •
٧٠- صلاح نصر - الحرب النفسية (جزئين) •
٧١- الدكتور صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق - (ترجمة) وحدة علم النفس •
٧٢- صلاح مخيمر وعبده ميخائيل - سيكولوجية الاشاعة •
٧٣- الدكتور صبري جرجس - مشكلة السلوك السيكوباتي •
٧٤- الدكتور صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق - المدخل الى علم النفس الاجتماعي •
٧٥- صلاح عبدالعزيز - التربية وطرق التدريس •
٧٦- الدكتور صلاح عبدالعزيز والدكتور عبدالعزيز مجيد - التربية وطرق التدريس
٧٧- طه أبو الخير ومنير أبو عصرد - انحراف الاحداث •
٧٨- طارق فوده - التعليم ومعنى الحياة (ترجمة) •
٧٩- عبدالكريم حسون جارالله - نفسك في الميزان •
٨٠- عباس محروس - مشكلة الاحداث •
٨١- الدكتور عزيز فريد - علم النفس للجميع •
٨٢- عبدالمنعم محمد الزيادي - (تعريب) دع القلق وابدأ الحياة •
٨٣- علي حامد بكر - عملية تدريب الرؤساء •
٨٤- عبدالمنعم الزيادي - (تعريب) المرض النفسي طريق الى السعادة •
٨٥- عمر القباني (ترجمة) - القيادة التنفيذية •

٨٦- عبدالحليم ثابت - (ترجمة) كيف تكون مديراً ناجحاً •
٨٧- الدكتور عبدالمنعم المليجي - خبراء النفوس •
٨٩- الدكتور عباس الحسني والدكتور حمودي الجاسم - الاحداث الجانحون •
٩٠- الدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد - (ترجمة) محاضرات في علم النفس •
٩١- الدكتور عزيز فريد - الامراض النفسية العصبية •
٩٢- الدكتور علي حسين الوردي - شخصية الفرد العراقي •
٩٣- الدكتور علي حسين الوردي - خوارق اللاشعور •
٩٤- عبدالرزاق القيسي (المحامي) - آداب السلوك في المجتمع •
٩٥- عبداللطيف شرارة (تلخيص) - تغلب على التشاؤم •
٩٦- عبدالجبار عريم - نظريات علم الاجرام
٩٧- الدكتور عبدالعزيز القوصي - أسس الصحة النفسية •
٩٨- الدكتور عبدالعزيز القوصي - علم النفس ، أسسه وتطبيقاته التربوية
٩٩- الدكتور عبدالمنعم المليجي - النمو النفسي •
١٠٠- الدكتور عطية هنا والدكتور عماد الدين اسماعيل - علم النفس قديماً وحديثاً •
١٠١- عبداللطيف حمزة - الاعلام له تاريخه ومذاهبه •
١٠٢- عبدالمحسن الخشاب (ترجمة) - الحياة العامة اليونانية •
١٠٣- الدكتور فاخر عاقل - علم النفس •
١٠٤- فريد نجار - طريق السعادة •
١٠٥- الدكتور فؤاد البهي السيد - علم النفس الاجتماعي •
١٠٦- الدكتور فؤاد البهي السيد - اسس النمو النفسي •
١٠٧- فؤاد دياب - الرأي العام وطرق قياسه •
١٠٨- الدكتور كمال دسوقي - (ترجمة) علم النفس الاداري •

١٠٩- كمال الدين الحناوي - فن معاملة الناس .
١١٠- الدكتور زكريا ابراهيم - سيكولوجية الفكاهة والضحك .
١١١- كامل احمد ثابت - رسالة في علم النفس القضائي .
١١٢- لويس الحاج (ترجمة) - تغلب على القلق .
١١٣- الدكتور محمد نسيم رأفت (ترجمة) تعاون الآباء والمدرسين .
١١٤- الدكتور محمد خليفة بركات - نفسك في الميزان .
١١٥- مكتبة الدراسات النفسية والاجتماعية - قصة علاجي بالتحليل النفسي .
١١٦- منشورات جماعة علم النفس التكاملي - الكتاب السنوي في علم النفس .
١١٧- مكتبة علم النفس - علم النفس الحربي .
١١٨- محمود نافع (ترجمة) فن القيادة والتوجيه .
١١٩- منشورات دار بيروت - بهيج شعبان (ترجمة) تغلب على الخوف .
١٢٠- الدكتور محمد الجوهري - الصحافة والحرب .
١٢١- الدكتور مصطفى فهمي - الشذوذ النفسي .
١٢٢- الدكتور مصطفى فهمي - سيكولوجية التعليم .
١٢٣- منشورات دار بيروت الايحاء الذاتي .
١٢٤- الدكتور محمد كمال قاسم - أسباب الاصابة بالامراض النفسية .
١٢٥- محمد فتحي بك - مشكلة التحليل النفسي .
١٢٦- محمد جلمي بكري - الشخصية والسلوك .
١٢٧- مكتبة علم النفس - علم النفس في حياتنا اليومية .
١٢٨- الدكتور محمد رفعت رمضان ومحمد سليمان شعلان وخطاب عطيه علي - اصول التربية وعلم النفس
١٢٩- الدكتور مصطفى فهمي - في علم النفس .
١٣٠- منشورات جماعة علم النفس التكاملي - سيكولوجية الاشاعة .
١٣١- مكتبة النهضة المصرية - فن القيادة .

١٣٢- مجموعة سيكولوجية العلاقات الانسانية - التحليل النفسي والسلوك الجماعي •

١٣٣- محمد مصطفى الشعيبي وجابر عبدالحميد جابر - مقالات في علم النفس - الدوافع والانفعالات •

١٣٤- منشورات دار بيروت - سلطان الارادة •

١٣٥- منشورات دار الشرق الجديد بيروت - فن الخطابة •

١٣٦- الدكتور محمد فهمي الشنيطي - الشخصية •

١٣٧- منشورات دار بيروت - سحر الشخصية •

١٣٨- مكتبة الدراسات النفسية والاجتماعية - فصول من علم النفس العسكري •

١٣٩- محمد عبدالحليم أبو العزم - علم النفس والاخلاق •

١٤٠- محمد عمادالدين اسماعيل وعطية محمود هنا (ترجمة) علم النفس قديماً وحديثاً •

١٤١- محمد فتحي - علم النفس الجنائي - علماً وعملا •

١٤٢- الدكتور محمد نجيب حسني - المجرمون الشواذ •

١٤٣- الرائد الركن محمد حسن شلاش (اعداد وترتيب المفكرةالعسكرية للضباط وضباط الصف والجنود) •

١٤٤- الدكتور مصطفى مشرفه بيك - العلم والحياة

١٤٥- الدكتور محمد خليفة بركات - في علم النفس •

١٤٦- منشورات دار بيروت - كيف تكسب المال •

١٤٧- محمد الغزالي - جدد حياتك •

١٤٨- منشورات دار بيروت - سيطر على نفسك •

١٤٩- منشورات دار بيروت - تغلب على الخجل •

١٥٠- محمد عطية الابراشي - وحامد عبدالقادر - في علم النفس •

١٥١- الدكتور مصطفى فهمي - سيكولوجية التعليم .
١٥٢- محمد الخضر حسين - الخطابة .
١٥٣- محمد ابو زهرة - الخطابة .
١٥٤- الدكتور محمد خليفه بركات - تحليل الشخصية .
١٥٥- الدكتور محمد قاسم - في النفس والعقل .
١٥٦- الدكتور مصطفى فهمي - سيكولوجية التعليم .
١٥٧- الدكتور مصطفى فهمي - سيكولوجية الطفولة والمراهقة .
١٥٨- الدكتور مصطفى فهمي - الدوافع النفسية .
١٥٩- محمد عبدالحميد ابو العزم - (ترجمة) علم النفس والاخلاق .
١٦٠- محمد عبدالغني حسن - الخطب والمواعظ .
١٦١- محاضرات الدكتور ابراهيم سلامة في الخطابة .
١٦٢- مختار التهامي - الصحافة والسلام العالمي .
١٦٣- مختار التهامي - الاعلام والتحول الاشتراكي .
١٦٤- الدكتور محمدخليفةبركات - مشكلةطفل في العيادةالسيكولوجيه
١٦٥- محمد فخرالدين الرازي - مفاتيح الغيب والتفسير .
١٦٦- محمود عيسى - الصحافة العسكرية .
١٦٧- محمد عثمان نجاتي (ترجمة) معالم التحليل النفساني .
١٦٨- الدكتور نقولا فياض - الخطابة .
١٦٩- الدكتور نظمي لوقا - (تلخيص) تفسير .
١٧٠- الدكتور يوسف مراد - (ترجمة) مبادىء علم النفس .

1. Dr. Abbass Al Hassani. Le régime éducatif des mimeurs Délinquants en droit pénal Suisse.
2. Dr. Abbass Al - Hassani - Les immunites et Privileges diplomatiques prevus dans Le Convention de Vinne de 1961.
3. Albig, W. Modern Public Opinion (Mc Graw Hill, 1965.
4. Alport (F,H.)
Social Pslchology (Houghton Miffliu, 1924).
5. Anastasi, A.: Differential Psychology.
6. Aubouin (E): "Technigue et Psychologie du Comique". Paris, 1948.
7. Augiev (E.) "Sar le Comique"; "Revue du Mois", 1920, Vol XX., pp. 393-407.
8. ARON (Raymond).—Essai sud La theorie de L'histoire dans L'Allemagne Contem poraine, La Philosophie Crilique de L'hiscoire, Paris, Vrin, 1938.
9. A. T. POFF.NB.RGER: Principles of Applied Psychology. New York. D. Appleton - Century Co., 1942.
10. Arastasi (Anne) and Foley (John P.) Differential Psychology. New York The Macmillan Co., 1946.
11. Andrews, T.G' Methodos of Psychology. New York Wiley, 1938.
12. Bossard J. H. S. : The Sociology of child Development.
13. Bastide, Roger. Socilogie et Psychanalyse, Paris, P. U. F., 1950.
14. Blondel, Charles. Introduction a la Psychologie Collectiv, Paris A. Colin 1927.
15. Baudelaire (ch.) "Curiosites Esthetigues" De Essence du Rire et generalement du Comique dans les arts Plaustigues, Calmann-Levy, Paris, 1884, TomeII.
16. Baudoin (G.) "Tragedie et Comedie" Paris, 1946.

17. Bergson (H.) ; "Le Rire; Essai sur la Signification du Comigue", Paris, P. U. F., 67'ed, 1946.
18. Bartley (F.C.) [illegible] gy and The Soldier, Cambrilge Services. Washington, The Jnfantry Journal, 1945. University Press (1927).
19. Boring (Edming [illegible] Psychology for The Armed
20. Bray (Charles W. [illegible] and Military Proficiency . New Jers [illegible] ton [illegible] niversity Paris. 1948 .
21. Boring, E. G [illegible] rimental Psychology . New York : [illegible] tury - Crofts, 1950 .
22. Borst, M., [illegible] imentales Sur l,educabilite e [illegible] e [illegible] Temoignage (Archives de Psychologie, 3, 203-312) .
23 Cantral, H. Gauging Public Opinion (Princeton, 1947) .
24. Cattel, R. B. : General Psychology .
25. Canguilhem (Georges) . -Essia sur quelques problemes concernant le normal et le pathologique. Publications de la Faculte des Lettres de l' Universite de Strasburg, fasc. 100. Libraire « Les Belles-Lettres » , The Med, Strasbourg. 1943.
26. Cannon (W. B.) — Organisation for Physiological homeostasis, phychological Review, IX. 399-431, 1929 .
27. Claparede (Edouard.) — La psychologie fonctionnell, Acta psychologica, 1936 .
28. C. R. GRIFEITH : An Introduction To Applied Psychology. New York : The Macmillan Co., 1937 .
29. Crawford C.C. : How To Teach .
30. Doob (L.W.) Public Opinion and Propaganda. Cresset Preess, 1949 .
31. Dennis Wayen—Readins in General Psychology.
32. Durkheim, Emile Les F[illegible]es et [illegible] res de la vie retigieuse, Paris, [illegible]
33. Delage (Y) : "Sur [illegible] du [illegible] la "Revue du mois" . 1919, Vol. X [illegible]

34. Dugas (L.) : Psychologie du Rire" , Paris. 1902 .
35. Dumas (G.) "Le Sourire "Lllustre" , Paris. 1902.
36. Dumas (G.) "Nouveau Traite de Psychologie" Ti LLL., 1933.
37. Dupreel (E.) "Le probleme sociologigue du rire." , in "Revue philosophigue ." , 1928.
38. De Creffff, E. Introduction a la criminolgie. presses Universitaives de France. Paris 1948.
39. Dewey J. How We Think.
40. Fleming C. M. Adolescence
41. Freud, S. Psychologie Collective et Analyse du moi, Paris. Payot, 1927
42. Freud, S. Malaise dans la Civilzation, Paris, Denoel et steele 1934
43. Freud., S. Moise et le Monotheisme, Paris, Gallimard, 1948 .
44. Fabre (S.) "Le Rire et les Rieurs." Paris, 1929.
45. Freud (Anna) Le Moi et les mecanismes, de defense, traduction francaise, Paris presses Universitaires de Frence, 1949
46. Gorphe. Critique de Temoinage. ed. 1927.
47. Guillauine, Pall. La Psychologie de la Forme Paris, Flammarion. 1937
48. Gurvitch, Georges (Ed.). La Sociologie au xxe siecle. (2 vols). Pafis, P. V. F., 1947
49. Gurvitch Georges et le - la Vocation Actuelle de la Sociologis, Paris, P. U. F., 1950 .
50. Guillaume (paul). - La Psychologie du comportement. In La Vie mentale, Encyclopedie francaise permanentes, VIII, 8006-11, 1938
51. Guillaune (paul). - Psychologie Animale, Paris, Armand Colin, 1940 .